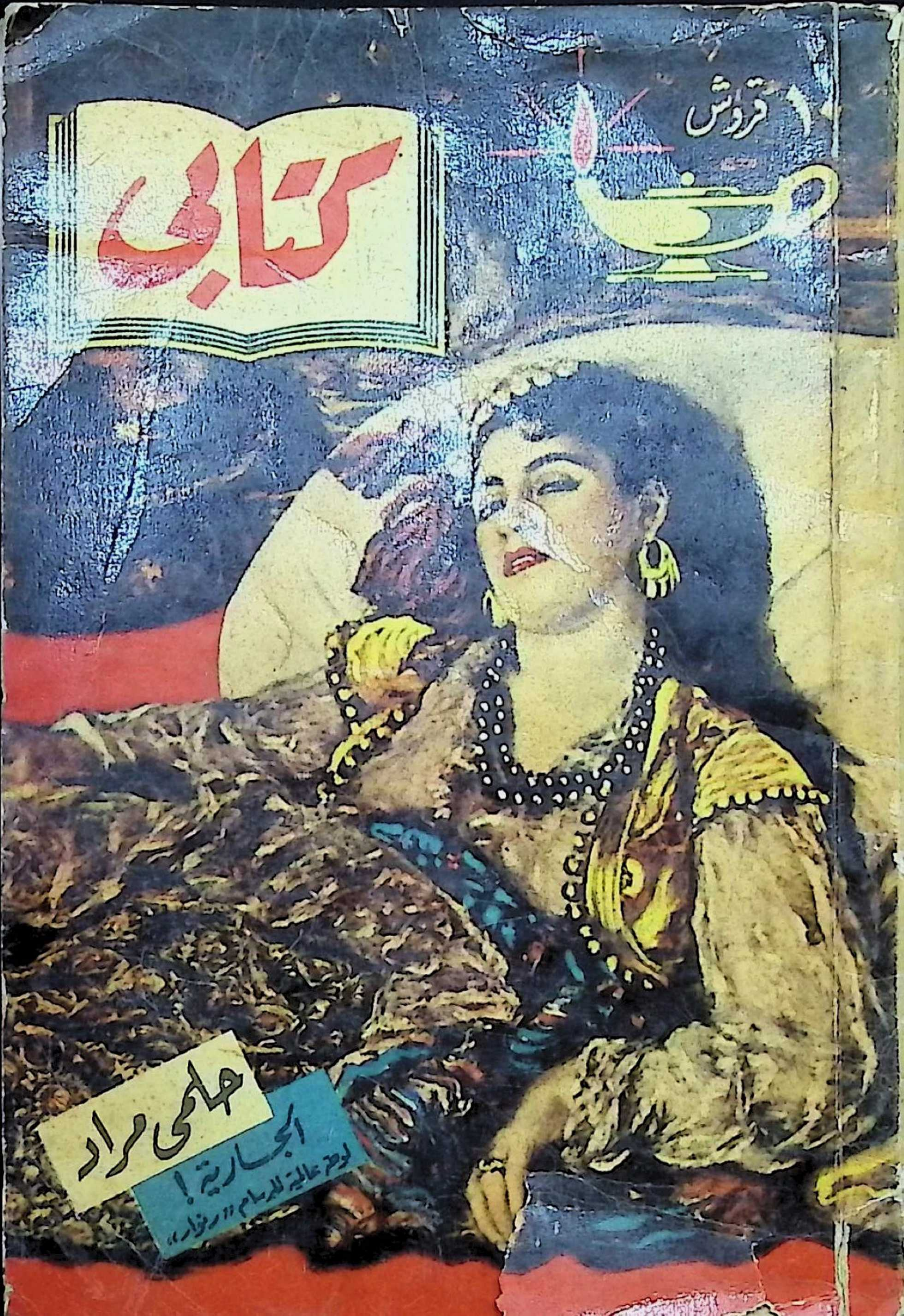
كتابي
١٠ قروش
حلمي مراد
الجارية!
لوحة عالمية للرسام "رفائيل"

العرافة الفجرية ! لوحة فوتوغرافية من باليه « حياة الغجر » كما رقصته الفرقة الرومانية الشعبية بدار الأوبرا بالقاهرة فى الشهر الماضى ٠٠ وقد التقطتها عدسة الأميرالاى الدكتور ناجى يسى

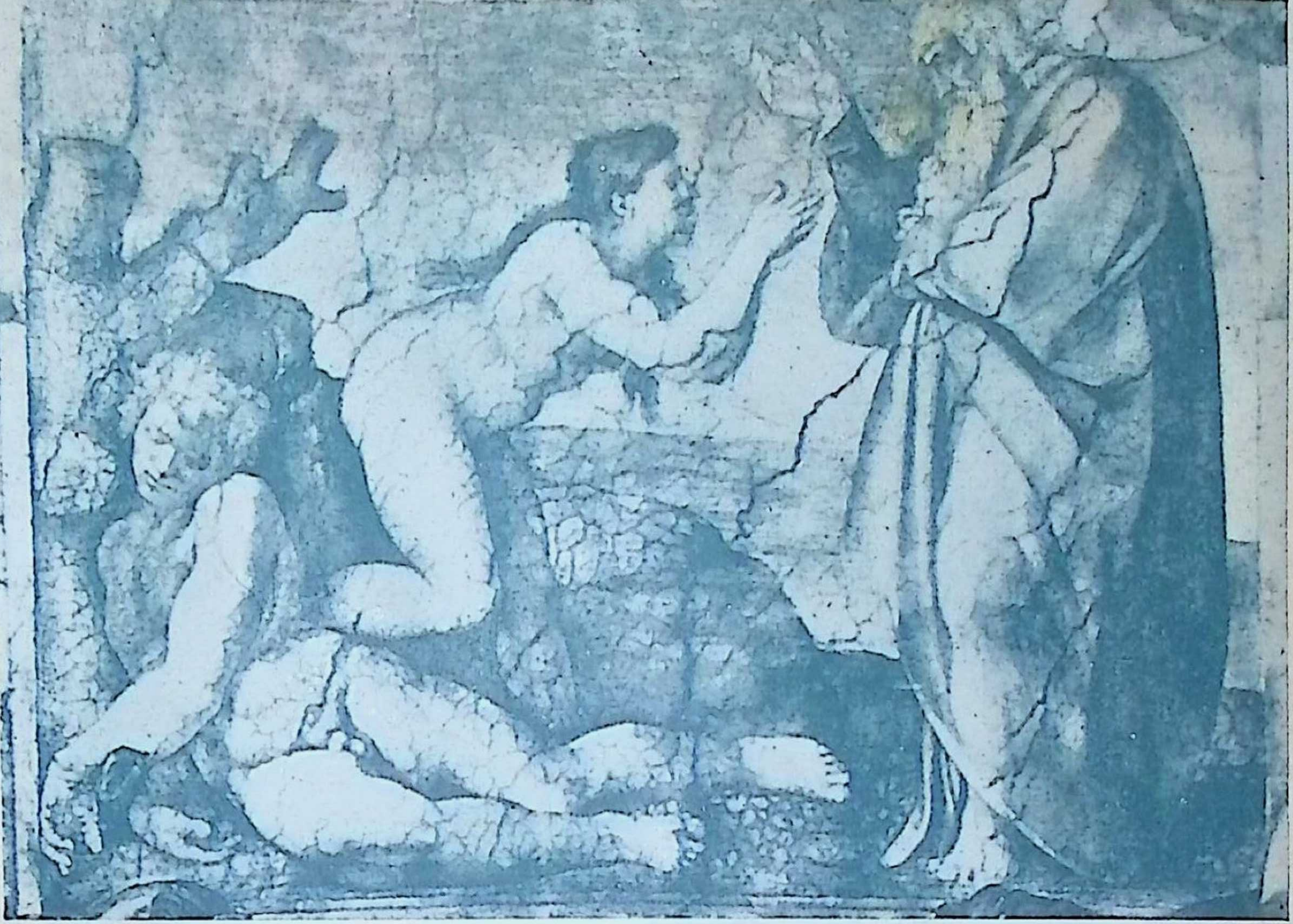

حواء تستغفر ، بعد سقطتها ! احدى اللوحات الخالدة التى رسمها « ميكيل انجلو » على جدران كنيسة « سيستين » بالفاتيكان؛ اقرأ قصة حياة الفنان الأعظم فى هذا العدد)

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الخامس والأربعون (السنة الرابعة) : ديسمبر ١٩٥٥
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

ردود .. لاتنقصها الصراحة !

عزيزى القـــارىء ..

◆ لم اكد اطالعك فى افتتاحية العدد الماضى بتفصيلات المشروع الجـديد الضخم الذى اعددته من اجلك ، والذى اخذت فيه على عاتقى – منفردا – «عبء» نشر الترجمة « الكاملة » الأمينة لشوامخ الكتب العالمية ، لأول مرة فى عالم المطبوعات العربية « الشهرية » – (بل لأول مرة « على وجه الاطلاق » بالنسبة للأكثرية الساحقة من تلك الكتب العالمية التى انقضت على اصدارها قرون ، ترجمت خلالها الى جميع لغات العالم الحية ، ما عدا لغتنا العربية التى لم تحظ حتى الآن بأية ترجمة لها) .. اقول اننى لم اكد انشر عليك تفصيلات هذا المشروع الجديد ، ثم لم يكد يظهر الكتاب الأول من سلسلة هذه المطبوعات فى صورتها الشهرية الجديدة ، منذ اسبوعين ، حتى تلقيت سيلا من الرسائل المتضـمنة لبعض امانيك ومطالبك بشأن هذا المشروع الوليد ..

القائمـــة تتضخم !

◆ وقبل أن استعرض ما يتسع له المقام من هذه الرسائل الكريمة ، لأجيب عما ورد بها من مطالب واقتراحات ، يسرنى أن إضيف الى قائمة حضرات الأدباء الأكفاء الذين رحبوا بالتعاون معى على تادية هذه الرسالة الثقافية التى « ورطت نفسى » فى آخذ مسئوليتها الكاملة على عاتقى ، السادة :

الدكتور طه حسين	الدكتور أمير بقطر
الدكتور حسين مؤنس	الدكتور سعيد عبده
الأستاذ احمد حسن الزيات	الأستاذ عبد المنعم محمد الزيادى

.. وذلك الى جانب حضرات الذين اعلنت اسماءهم فى العدد الماضى ، وهم :

الدكتور محمد مندور	الدكتورة سهير القلماوى
الأستاذ فرج جبران	الأستاذ محمد بدر الدين خليل
الدكتور لويس عوض	الأستاذ كليم ابو سيف

وكاتب هذه السطور ..

الـــكتاب القـادم

◆ وبهذه المناسبة ، يسرنى ان اقدم لك فى العدد المقبل من سلسلة «مطبوعات كتابى » الجديدة – الذى يصدر بعون الله فى ١٣ ديسمبر الحالى – تحفة نادرة المثال ، اعتقد انها ينبغى ان تاخذ مكانها بجدارة فى مكتبة كل بيت ، هى النص الـكامل لمآسى « اوديب » الثلاث المشهورة :

١ ـ أوديب ملـــكا : ⎫ لعميـد الأدب اليونانى
٢ ـ أوديب فى (كولونا) : ⎭ القديم « سوفوكليس »

٣ ـ أوديب : للـكاتب الفرنسى الـكبير اندريه جيد (وهي المأساة الحديثة ، نسبيا ، التى عالج فيها « جيد » القصـة ذاتها ، ولـكن من زاويته الخاصة المختلفة ٠٠ وبتفكيره الخاص ٠٠ وأسلوبه الخاص)

وقد ترجم القصص الثلاث ، بقلمه الساحر ، وصدرها بمقدمة طويلة ممتعة حقا : الدكتور طه حسين ٠٠ وكفى !٠٠ وهكذا تتيح لك « مطبوعات كتابى » ان تقرا هذه الدرر الثلاث ، فى كتاب واحد ، وبثمن زهيد لا يصل الى ربع او خمس الثمن الذى يدفعه قارئ الانجليزية او الفرنسية كى يقرا قصة واحدة من هذه القصص الثلاث !

تنبيه مشكور ٠٠ ولـكن !

◆ وقد نبهتنى احدى الرسائل التى تلقيتها ، بصدد هذه المطبوعات ، الى ان « بعض » الـكتب العالمية التى نشرت قائمة باسمائها فى العدد الماضى ، والتى شرعت فى اعدادها للنشر بنصها الكامل فى مطبوعات كتابى ، قد سبق ان نشرت ترجمة لها فى طبعات بعض دور النشر الزميلة فى بيروت أو دمشق !

ورغم أن الكتب التى ينطبق عليها هذا القول انما هى نسبة ضئيلة بالقياس الى القائمة التى اعددتها للمشروع الجديد ـ فضلا عن انى لم أكن أعلم بصدور ترجمات لها فى بعض الأقطار الشقيقة ـ الا انى أشكر لصاحب هذه الرسالة تنبيهه المشكور ، وردى عليه بسيط وواضح : وهو انى أرحب بطبيعة الحال بتجنب تبديد الجهود لغير حكمة أو مسوغ ، ولعل هـذا ما دفعنى الى المسلك الصريح الذى التزمته حين اعلنت فى العدد المـاضى ـ وفى اعلاناتى بمختلف الصحف اليومية الكبرى ـ القائمة الأولى لأسماء الكتب التى اعددتها للنشر ٠٠ ولاشك انى اكون شاكرا ممتنا لتلك الدور الناشرة لو تكرمت فارسلت الى ـ او اعلنت فى مطبوعاتها ـ قائمة باسماء كتبها السابقة واللاحقة ، كى اتجنب جهد الطاقة عناء اعادة ترجمتها عند اعداد قوائمى التالية ٠٠

اسـراف فى الصراحة !

◆ وثمة رسالة من قارئ آخر ، يسالنى فيها : لماذا اعلنت اننى ساصدر بعض الـكتب فى جزاين ، ولم لا أطبعها كلها بالحروف الصغيرة حتى يتسع لها الجزء الواحد ؟!

وردى على التساؤل ، تساؤل آخر «مضـاد» ، هو : لو سلمت ـ جدلا ـ بأن أغلبية القراء تستسيغ أن يكون الكتاب كله بالحروف الصغيرة ، فما قولك فى الـكتب التى يصل عدد

صفحاتها فى الأصل الافرنجى الى الخمسمائة صفحة ، او السبعمائة ، أو الألف ؟٠٠ هل يمكن أن يتسع لها جزء «واحد» حتى لو جمعت كلها بحروف « أصغر » من الصغيرة ، بل حتى لو زيدت صفحات هذا الجزء الواحد الى الثلاثمائة صفحة مثلا ، وزيد ثمنه تبعا لذلك الى خمسة عشر قرشا ؟!

اما القارىء الآخر الذى يقترح فى هذا الصدد ان تزاد صفحات الجزء الواحد الى اى مدى تستلزمه الترجمة الكاملة ، ويزاد ثمنه تبعا لذلك ، مهما بلغ !٠٠ فانى ردا عليه اقول ، واكرر القول ، ان هدفى من مشروعى هذا هو ان اتيح فرصة قراءة شوامخ الكتب العالمية ، للقارىء الذى لا يستطيع - او قد لايريد - ان يدفع فى كتاب ما - ايا كان ! - عشرين او ثلاثين قرشا ، فكم بالأحرى لو طلب اليه ان يدفع هذا « المبلغ » دفعة واحدة ؟٠٠ وهذا الاستطراد يقودنى فى الواقع الى تقرير حقيقة مؤلمة ، لايجدى فى انكارها ان نتجاهلها او نخفيها عن طريق اخفاء رؤوسنا فى الرمال ، كالنعام !٠٠ وهذه الحقيقة ، هذه المأساة التى يقاسى منها جميع الناشرين فى مصر - ولا اقول فى لبنان ، بل فى سوريا او العراق ، حيث تجد قراء يدفعون فى الكتاب الواحد ، عن طيب خاطر ، ما يساوى جنيها مصريا ، ويشعرون مع ذلك انهم الرابحون ، المعتزون بالكتاب الذى يقتنونه ليغذوا به عقولهم وعقول اولادهم واحفادهم من بعدهم ٠٠

أقول ان المأساة التى يقاسى منها الناشرون ، فى مصر بالذات - مع الأسف الشديد - هى أن القارىء قد يدفع ، ثمنا لعلبة السجاير التى يدخنهـــا ، عشرة قروش « كل يوم » ، دون غضاضة أو ضيق !٠٠ أما أن تطالبه بأن يدفع عشرة قروش « كل شهر » ثمنا لكتاب ثمين لن يتبدد بعد قراءته دخانا فى الهواء ، وانما سيبقى فى مكتبة البيت تراثا وزادا عقليا لجميع أفراد الأسرة ، جيلا بعد جيل ، يطالعونه ويرجعون اليه فى كل مناسبة ٠٠ فذلك سفه وتبذير « حرام » ، وأى حرام !

هذه كلمة سواء ، ربما لم يجرؤ على كتابتها - علانية ! - كاتب من قبل ، سواء بدافع النفاق ، او الغرور !٠٠ لكنى اقولها واكتبها ، فى حديثى هذا اليك ، ربما لأنى عودتك ان اكون صريحا معك الى اقصى الحدود - فيما لك وما عليك - وربما لأقنع الصديق « الحالم » صاحب اقتراح اصدار الكتاب الكامل فى جزء « واحد » ضخم ، ولو فى خمسمائة صفحة او اكثر ، ولو بثلاثين قرشا او اكثر !

ترى هل يقتنع بعد هذا بانى محق فيما اضطر اليه احيانا من تجزئة الكتاب

الطويل الى جزاين ، كى ايسر على الكثيرين وسيلة مطالعة الكتب القيمة التى احلم لهم بان يطالعوها ، و « اورطهم » فى هذه المطالعة ، ولو بسلاح التجزئة الى جزاين ؟! (والغاية تبرر الواسطة .. وان كانت الغاية هنا نبيلة ، والواسطة مشروعة !)

واخيرا ، فما كان اغنانى عن كل هذا العناء لو سلكت الطريق السهلة التى يسلكها غيرى ، فنبذت « مثالية » الترجمة « الكاملة » ، وقدمت لك بدلا منها ترجمة مبتورة ناقصة ، لاتجاوز حدود الجزء الواحد باى حال ، ولو مرغ انف المؤلف المسكين فى الرغام !.. ولو انكمش كتابه الأصلى الذى قد يكون وضعه فى ثلاثة او اربعة اجزاء ، الى جزء واحد ، بقدرة قادر والعياذ بالله !

.. ماكان أغنانى عن كل هذا العناء ، لو لم أكن أتطلع الى هدف ــ يستحق فى نظرى كل عناء ــ وهو أن يشرق على بلادنا العربية ، يوما ما ، فجر البعث الجديد .. يوم يصبح لنا «رأى عام» قارىء ، يؤمن بالكتاب ، ويعتز به ، ويقتنيه .. كما يؤمن اليوم بالصحيفة ، والخبر ، وفتاة الغلاف !

ولك أخلص تحياتى

حلمى مراد

« كتابى » يشترى الاعداد الستة الأولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الأولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لايبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الأولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشان ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ــ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و٧٠ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الحجاز والكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وامريكا وفرنسا واستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد ، وفى المانيا ١٦٠ قرشا (عن سنة) بخلاف أجر البريد الجوى

كتابى

اعـداد نفـدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « عشيقة نابليون » ، والثامن « مذكرات كيوبيد » ، والتاسع « صنم تحطم » ، والعاشر « حديقة الله » ، والحادى عشر « عندما تحقد المرأة » ، والثانى عشر « لعبة الحب والموت » ، والثالث عشر « توبة خاطئة » ، والرابع عشر « أيهـا الربيع ترفق » ، والخامس عشر « الشـيطان على الأرض » ، والسادس عشر « ليدى هاملتون » ، والسابع عشر « الارملة المرحة » ، والثامن عشر « حياة جورج صاند » ، والتاسع عشر « حياة سارة برنار » ، والعشرون « رباعيات عمر الخيام » ، والحادى والعشرون « حياة بتهوفن » ، والثـانى والعشرون « حياة موسولينى » ، والثالث والعشرون « كوخ العم توم » ، والرابع والعشرون « الزوج والعشيق » ، والخامس والعشرون « البوهيمية » ، والسادس والعشرون « فتاة لها ماض » ، والسابع والعشرون « ترويض النمرة » ، والثامن والعشرون « فن الحب » ، والتاسع والعشرون « الجريمة والعقاب » ، والثلاثون « المنافق » (طرطوف) ، والحادى والثلاثون « أميرة مصر » ، والثانى والثلاثون « الامطار » ، والثالث والثلاثون « أفروديت » ، والرابع والثلاثون « أقنعة الحب السبعة » ، والخامس والثلاثون « سالومى » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤

◆ وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولاتقبل العملة الاجنبية أو أذون البريد الخارجية . وتحرر الأذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين
٢ ـ ذات الثوب الأبيض
٣ ـ الخـالدون
٤ ـ الخاطئـــة
٥ ـ حياة امرأة (الجزء الأول)
٦ ـ حياة امرأة (الجزء الثانى)
٧ ـ الخطيئة الأولى وفتاة من الأقاليم

وثمن كل من الأول والرابع ، عشرون قرشا خالصا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش ، والخامس والسادس ١٠ قروش ، والسابع ١٢ قرشا .

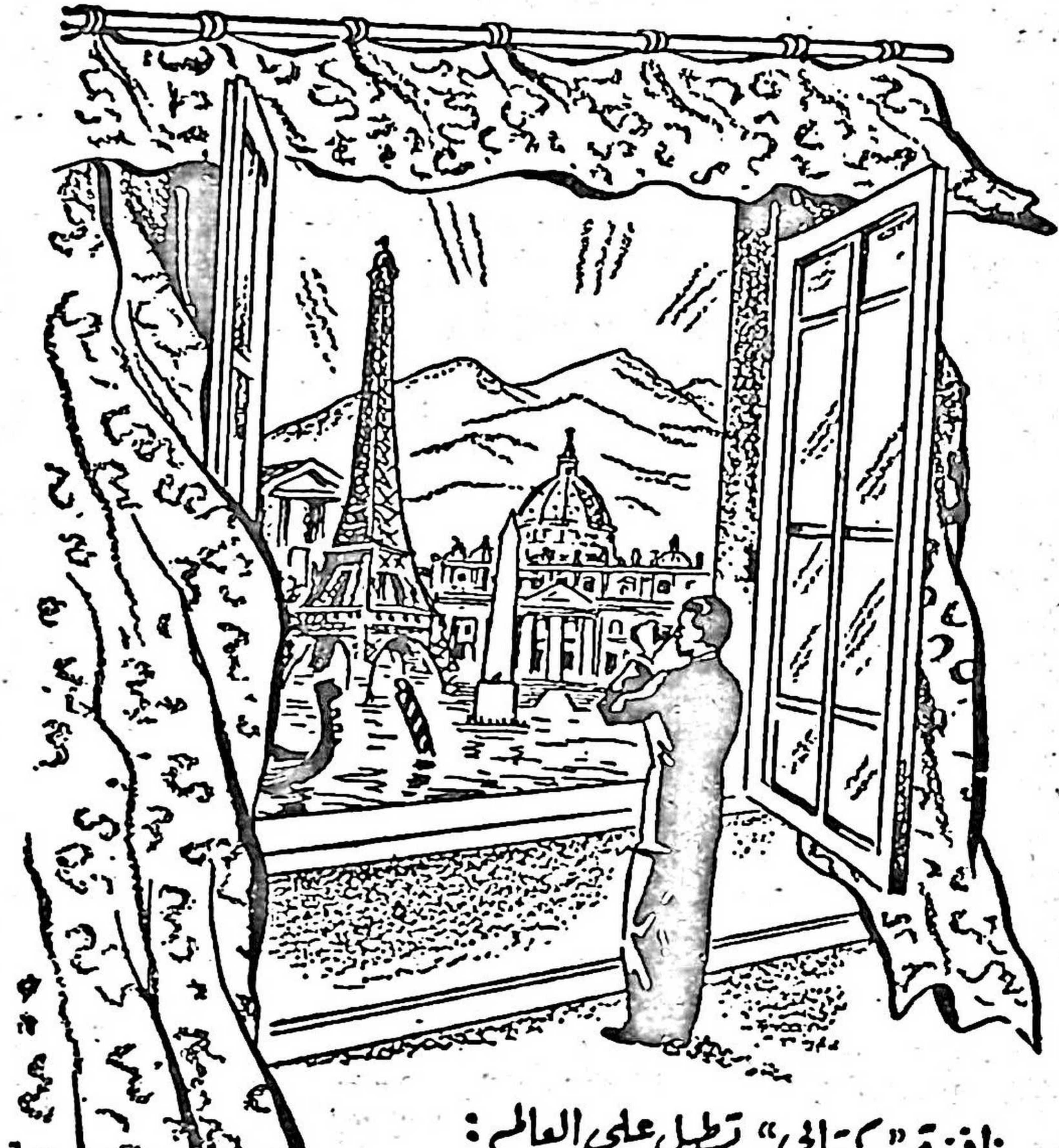

نافذة «كتابي» تطل على العالم:

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

•• وأشرق على باريس الصباح !

◆ حدثتك فى الفصل السابق عن ثلاث من سهرات باريس الليلية ، مضينا فيها تباعا الى مسرحها العالمى المشهور « الفولى برجير » •• ثم شهدنا احد استعراضات العراة فى ملهى من ملاهى ميدان « بيجال » الخليعة التى اتخذتها باريس « طعما » يجذب اليها السائحين من جميع اقطار العالم ! •• واخيرا اصطحبتك معى الى تلك « المقبرة » الكئيبة من مقابر « الوجوديين » التى يطلقون عليها « كهوفا » ، والتى يمارسون فيها صخبهم المجنون ورقصهم وغناءهم ، فى جو خانق كريه ، تطل عليهم فيه من جدران الكهف نماذج شاذة لعشرات الجماجم ، والأيدى المقطوعة ، والصور البشعة غير المفهومة •• لعقلى المتواضع على الاقل !

•• ثم اشرق على باريس الصباح ، فسكتت عن اللهو غير المباح •• وسطعت فى سمائها الغائمة شمس الفن الرفيع ، كما تتجلى فى معالمها النهارية الخالدة •• التى نبدأ زياراتنا لها فيما يلى :

العدالة تمهل •• ولا تهمل !

◆ **ولنبدأ** زياراتنا لمعالم أقدم أحياء باريس ، بزيارة ذلك الصرح الشامخ المهيب الذى يتوسطه : قصر العدالة ــ الذى يؤلف مع سجن « الكونسييرجيرى » وكنيسة « سانت شابيل » مربعا ضخما من المبانى المتشابهة فى طرازها القوطى العريق • وقد ذكرت لك فى العدد الأسبق أن تجديد قصر العدالة قد استغرق أكثر من سبعين عاما (من عام ١٨٤٠ الى ١٩١٤) بحيث لم يكد يبقى فيه حجر على حجر ! واليوم أقص عليك طرفا من تاريخ القصر ، وأصف لك بعض معالمه

كان القصر يوم أنشىء مقرا للملوك والحكام ، فقطنه فى البداية حكام الغال الرومان ، ثم ملوك فرنسا الاولون • وفى القرن الثالث عشر أضيفت اليه أجنحة جديدة كما أنشئت الكنيسة الملحقة به ــ «سانت شابيل»ــ وفى القرن التالى أنشئت

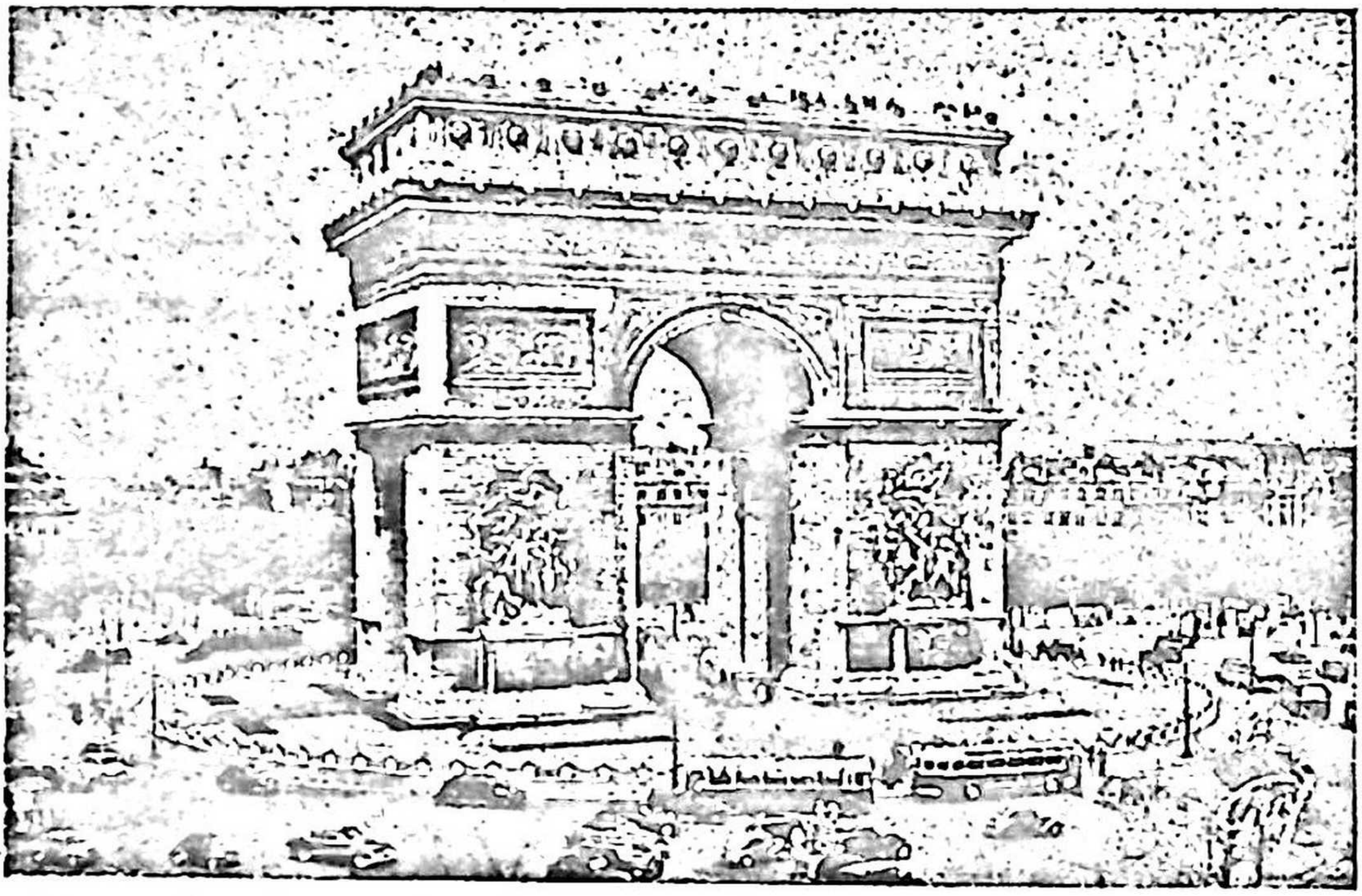

« قوس النصر » الذى بدا تشييده فى عام ١٨٠٦ ، تمجيدا لانتصارات نابليون ، وان لم يتم العمل فيه الا فى عام ١٨٣٦ بعد سقوط الامبراطور • وتزين القوس تماثيل ولوحات بارزة تصور اشهر المعارك التى انتصر فيها نابليون

مبانى « الكونسيير جيرى » والقباب الأربع الرائعة المواجهة للسين ، وفى عام ١٣٥٨ كان يقطن القصر ولى عهد فرنسا « الأمير شارل » ـ فى فترة اسر أبيه فى انجلترا ـ فاقتحم مخدعه عميد تجار باريس وقتئذ ، على رأس مظاهرة ، وقتل المتظاهرون مستشارى الأمير أمام عينيه •• بل ووضع عميد التجار قبعته ذات اللونين الأزرق والاحمر على رأس الأمير ، امعانا فى التحدى ! •• ولكن لم تمض أشهر حتى قتل عميد التجار ، واسترد ولى العهد سيطرته على الموقف •• غير أن ذكريات تلك المذبحة التى جرت أمام بصره وسمعه

ما فتئت تقض مضجعه ، فلما نودى به ملكا على فرنسا ـ باسم « شارل الخامس » ـ كان أول ما فعله أن نقل مقره من ذلك القصر الى قصر اللوفر ، واتخذ الأول مقرا للبرلمان . (وكان لفظ « البرلمان » يومئذ يعنى المحكمة العليا للدولة !)

وكان أعضاء ذلك البرلمان « يعينون » فى ذلك العهد بأمر الملك ، **حتى جاء الملك فرانسوا الاول عام ١٥٢٢ فواجه أزمة مالية أضطرته الى أن « يبيع » حقوقه فى ذلك التعيين الى أعضاء البرلمان فى عهده ، الذين صاروا « يملكون » تلك**

جانب من حدائق « اللوكسمبرج » ، اشهر حدائق باريس ، وهى ملتقى عشاق المطالعة الهادئة ، وبقية «العشاق » !

قصر اللوكسمبرج ، وامامه البحيرة الجميلة التى تتوسط حدائقه الغناء ذات الطابع الكلاسيكى التاريخى

العضوية ويورثونها لأبنائهم جيلا بعد جيل ! •• وقد استغل أولئك القضاة ـ ذوو الثراء والمكانة الرفيعة ـ حقوقهم هذه لمناوأة العرش ، فصاروا يوجهون اليه الانذارات ، ويعطلون تنفيذ المراسيم ـ عن طريق امتناعهم عن تسجيلها فى سجلاتهم ! ـ الأمر الذى صار يضطر الملك فى بعض الأحيان الى نفى بعضهم أو الزج بهم فى السجن ! •• فلما كان عام ١٧٨٨ (السابق لنشوب الثورة مباشرة) ألغت الجمعية التأسيسية ذلك البرلمان •• ثم جاءت الثورة فأرسلت بأعضائه الى المقصلة ، وأعادت تنظيم « الدولاب القضائى » للدولة ، جاعلة من ذلك القصر الملكى القديم مقرا لمحاكم باريس العليا بمختلف دوائرها ، وأطلقت

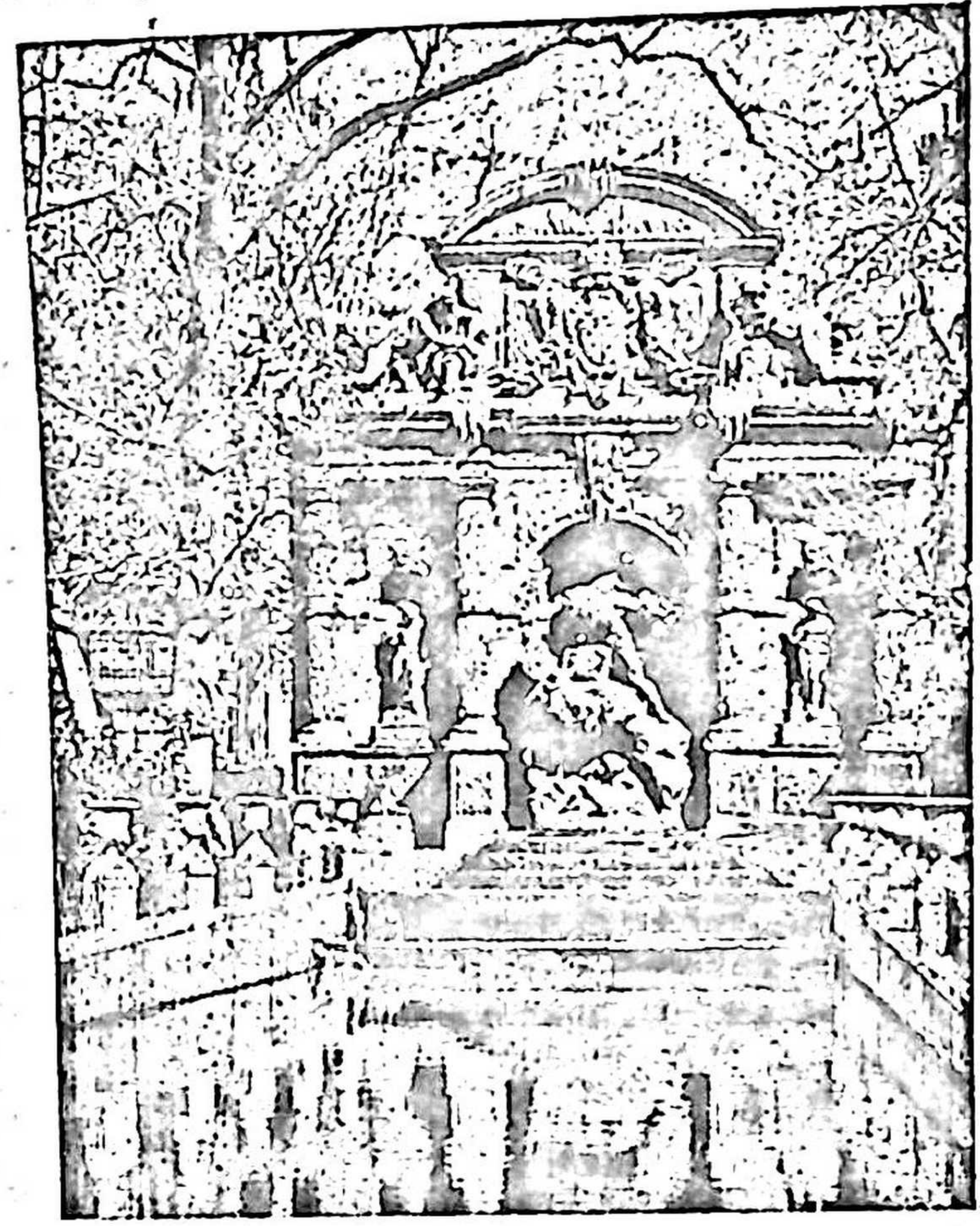

نافـورة « مديتشى » بحـدائق قصـر « اللوكسـمبرج » بباريس ، وقـد سميت باسم الملكة «مارى دى مديتشى» التى أمرت بتشييد القصـر

عليه : « قصر العدالة » .. ثم جـاء مجدد باريس « هوسمان » ـ فى عهد نابليون الثالث ـ فبدأ « ثورة » اصلاح باريس وتجديد شبابها من الناحية المعمارية والسـياحية ، وكان قصر العدالة من بين ما امتدت اليه يد الاصلاح ـ سيما بعد أن شب فى بعض أجزائه حريق كبير فى عام ١٧٧٦ ـ وقد استغرق ذلك التجديد أكثر من سبعين عاما كما أسلفنا !

ولن أحدثك هنا بالتفصيـل عن روعة أبهاء قصر العدالة ، وقاعاته الهائلة التى تشغلها دوائر محاكم باريس العليا .. ولا عن المهابة والجلال اللذين توحى بهما هندسته المعمارية

الفريدة ، بل يوحى بها كل ركن من أركانه : قاعاته ، وأعمدته ، وجدرانه ، وأسقفه ، وسلالمه ، وأبوابه ، وأرضياته — ولم لا أقول كل حجر فيه ؟! — انما أكتفى من ذلك كله بالاشارة الى شيئين يراهما الداخل الى القصر فى بهوه الرئيسى ، ويلقيان فى روعه شعورا بالثقة والاطمئنان الى أنه انما يطأ « حرما » تاخذ فيه العدالة مجراها ! : أولهما النصب التذكارى الذى أقيم على الجدار المواجه ، تخليدا لذكرى المحامى الشهير « برييه » .. والثانى تمثال قد أقيم الى يمين ذلك النصب ، يمثل « العدالة » وقد وضعت قدمها فوق ظهر سلحفاة ! — اشارة الى أن العدالة قد تمهل أحيانا ، ولكنها لا تهمل !

الشارع الذى يؤدى الى كنيسة (المادلين) الفخمة — فى اقصى الصورة — وتتجلى روعة هندسة المعمار فى المبانى التى تحف به من الجانبين

« سانت شابيل »

◆ **فاذا** خرجنا من قصر العدالة الى فنائه الأمامى ، ألفينا أنفسنا ـ قبل أن نخرج الى الطريق ـ بازاء ممر يفضى الى مبنى آخر ، داخل نطاق السور ذاته ، هو كنيسة « سانت شابيل » .. التحفة الخالدة من تحف الفن القوطى التى تبهر العيون بجدرانها « الزجاجية » الشاهقة الارتفاع ، المنقوشة برسوم ولوحات بيزنطية ملونة غاية فى الدقة والابداع ، يبلغ عددها ١١٣٤ رسما ومشهدا من التوراة والانجيل ، تمثل قصصهما بأكملها ، ويصور كل مشهد عشرات الشخصيات المعروفة فى تلك القصص ! .. وتقوم القاعة الكبرى للكنيسة على عشرات الأعمدة التى يستند الى كل منها تمثال لرسول من رسل المسيحية .. وفى القاعة مقصورتان كانتا مخصصتين للملك وأسرته . ورغم انقضاء سبعة قرون على تشييد الكنيسة ، فان مبناها لم يصب بأدنى صدع أو شرخ ، الأمر الذى يشهد بدقة هندستها وتوازنها . ويبلغ ارتفاع برج الجرس الخاص بها ٧٥ مترا ، وهيكله مصنوع من الخشب ، لكنه مكسو بطبقة من الرصاص . وقد دمره الحريق ثلاث مرات ، وكانت آخر مرة أعيد تشييده

فى هذه الأعمدة الجميلة التى تقوم نموذج رائع لفن المعمار ، يتجلى عليها واجهة كنيسة « المادلين »

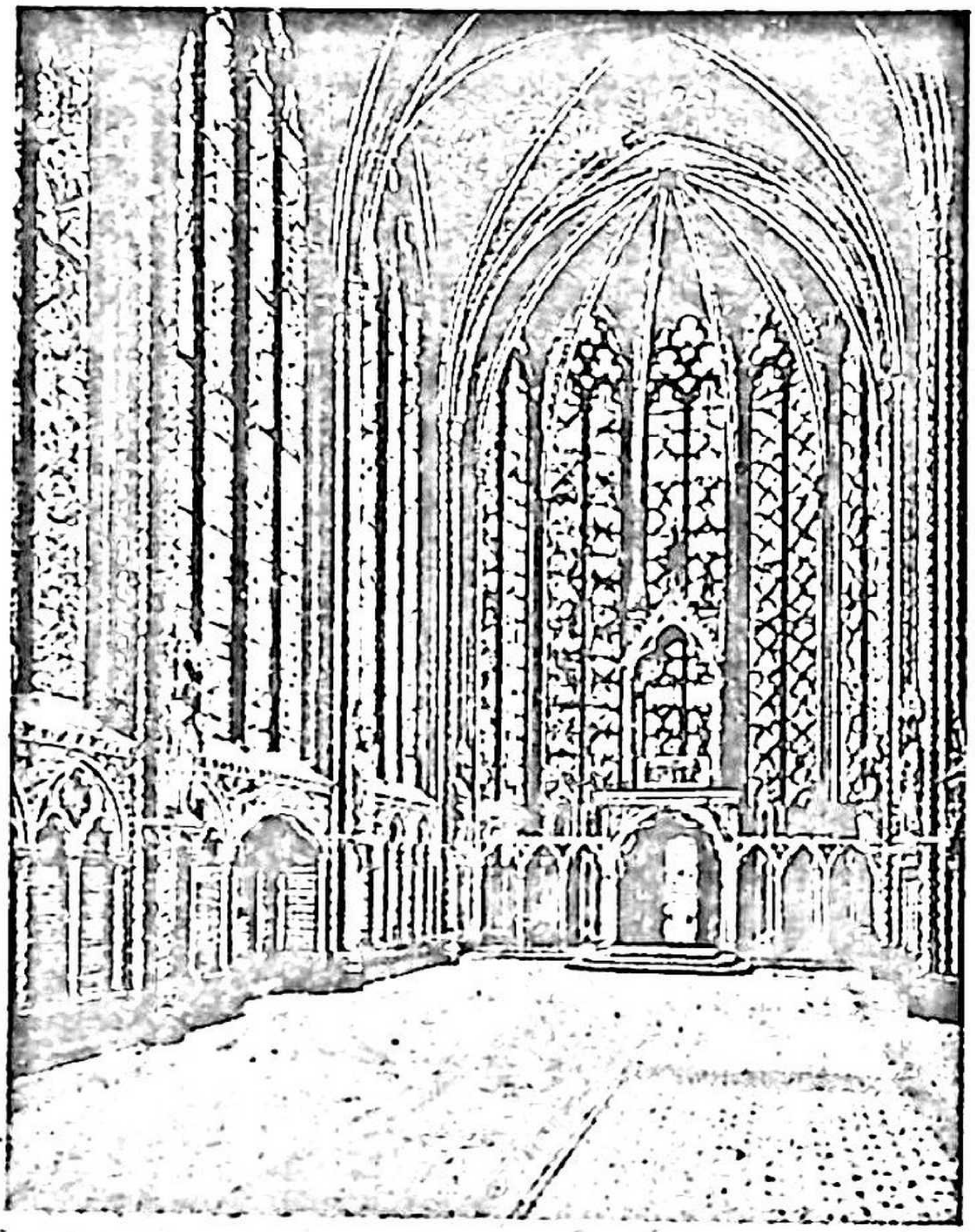

الطابق الثانى من كنيسة « سانت شابيل » ، التى تنفرد بين كنائس العالم بجدرانها ذات الألواح الزجاجية الملونة الشاهقة الارتفاع ، البالغة الروعة

فيها عام ١٨٥٤ . وفوق قمة البرج تمثال من الرصاص لملاك يدور على محوره بطريقة آلية تشبه دوران آلة الساعة ، حاملا فى يده صليبا يرى أثناء دورانه من أربعة أركان الأفق

ولانشاء هذه الكنيسة قصة : فان « بودوان » امبراطور القسطنطينية كان قد احتاج الى مبلغ كبير من المال ، فاقترضه من بعض مرابى مدينة فنيسيا (البندقية) ، مقابل رهنه لديهم اكليل الشوك الذى وضعه اليهود على رأس المسيح امعانا فى ايلامه . فلما حل موعد وفاء الامبراطور

بالدين ، عجز عن السداد .. واذ ذاك تدخل الملك لويس التاسع (١) ، ملك فرنسا ، فعقد تسوية مع الدائنين واسترد أكليل الشوك منهم عام ١٢٣٩ . ثم ظل يجمع كل ما يستطيع الوصول اليه من مخلفات المسيح والعذراء – وقد أنفق فى هذا السبيل أموالا طائلة – وأخيرا أمر بتشييد هذه الكنيسة ليحتفظ فيها بتلك المخلفات المقدسة . ومن العجيب أن نفقات الحصول على هذه المخلفات بلغت أكثر من ضعفى نفقات انشاء الكنيسة المذكورة التى أنشئت لحفظها !

وقد استغرق انشاء الكنيسة ٣٣ شهرا – أقل من ٣ أعوام – وهو رقم قياسى فى السرعة . وقد تم البناء فى عام ١٢٤٨ . وأغلب الظن أن واضع تصميمه كان المهندس المدعو « بيير دى مونترو » .

وحين نشبت الثورة الفرنسية ، أرسل الصندوق الذى كان يضم تلك المخلفات الى المسبك للانتفاع بمعدنه ، أما محتوياته فقد أنقذ أكثرها من الضياع (وهى محفوظة الآن فى كنيسة « نوتردام »)

والآن ، تعال ندلف الى خارج السور الذى يحيط بقصر العدالة و « سانت شابيل » ، ثم نتجه الى اليسار فندور حول زاوية القصر المطلة على السين .. فاذا نحن نجد فى ذلك الضلع من السور بابا يفضى بنا الى :

السجن الذى كتب فيه فصل هام من تاريخ فرنسا !

◆ وقد أطلق اسم « الكونسيير جيرى » على هذا المبنى من مبانى القصر الملكى القديم الذى كان تحت تصرف

---

(١) و « لويس التاسع » هذا هو الذى ترك عرشه وجاء من فرنسا فاشتبك مع المصريين فى معركة (المنصورة) – عام ١٢٥٠ – التى هزم فيها واسر ، ثم اشترى حريته بفدية ضخمة .. وقد ظل طيلة حياته يخشى الاغتيال ، فبنى لنفسه تجويفا فى حائط كنيسة « سانت شابيل » يسمع منه القداس دون أن يراه أحد !

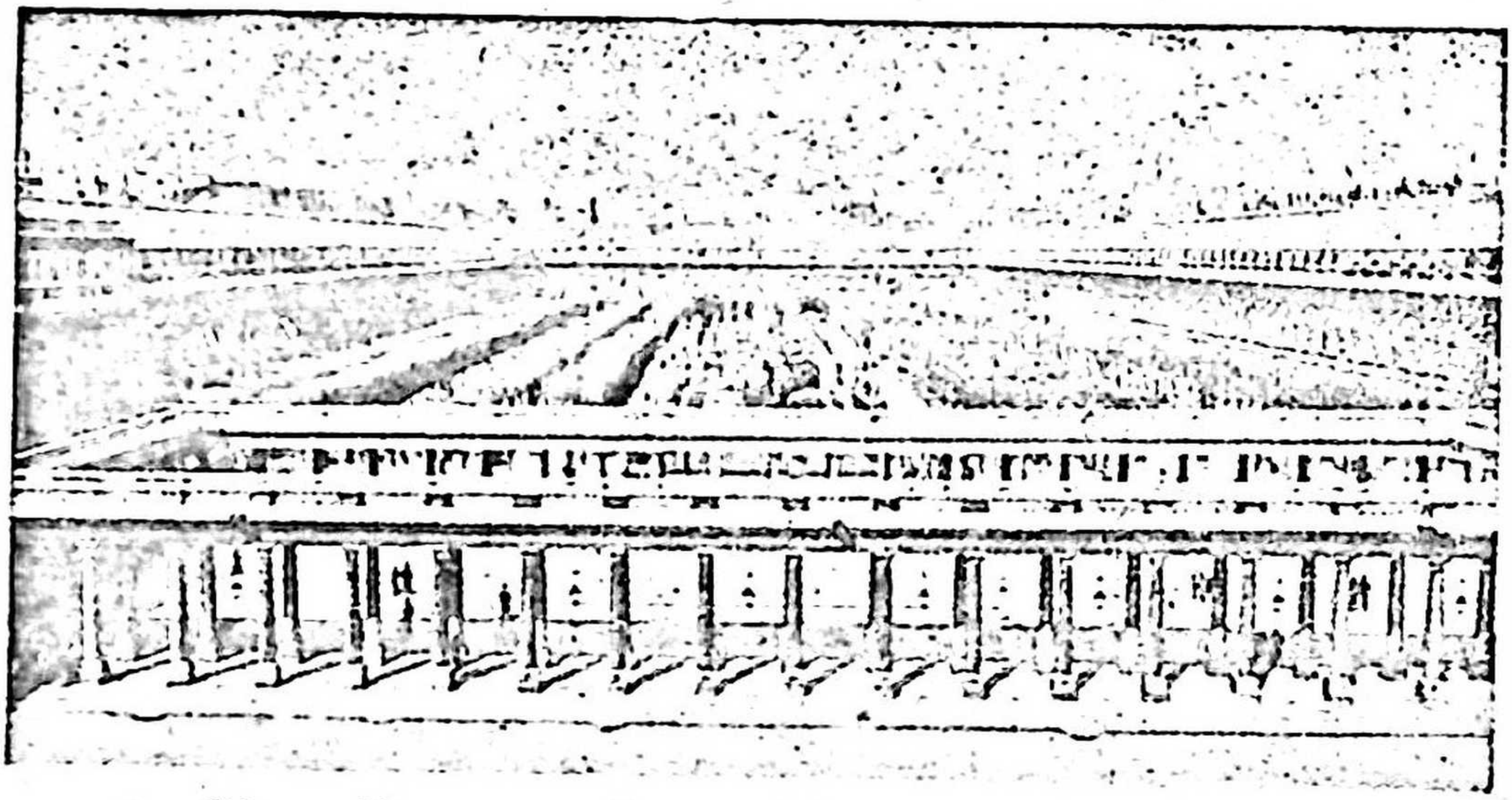

البواكى المحيطة بحدائق « الباليه رويال » ـ (القصر الملكى) ـ وقد شيدت قبل الثورة مباشرة ، وظلت خلال عهد الثورة وحكومة الادارة ، مكان التقاء الطبقة الراقية الأنيقة .. اما الآن فقد تحول عنها الزحام الى أمكنة أخرى قريبة

« الكونسييرج » ـ وهو ناظر أو « حاكم » قصر الملك ـ وكان الناظر المذكور يتولى تأجير العدد الكبير من الحوانيت الملحقة بالمبنى ، لحسابه الخاص ؛ فكانت تدر عليه ايرادا هائلا . وكان المبنى يستخدم كمعتقل أو سجن خاص لأعداء الملك والدولة .. فكان بين من سجنوا فيه : « مونتجمرى » قاتل الملك هنرى الثانى .. و « شاتيل » الذى حاول الاعتداء على الملك هنرى الرابع .. و « رافاك » الذى أجهز على الملك المذكور .. و « لوفيل » قاتل « الدوق دى برى » .. و « فييشى » الذى دبر مؤامرة كبرى ضد الملك لويس فيليب .. وغيرهم

فلما قامت الثورة الفرنسية خصص السجن لاستقبال المقبوض عليهم من أعداء الثورة ـ وكان عددهم يبلغ أحيانا

١٢٠٠ مسجون في الوقت الواحد ! - وفى عهد الارهاب كان السجن بمثابة المعتقل التمهيدى الذى يؤدى الى محكمة الثورة ، ومنها - فى تسعة أعشار الحالات - الى المقصلة !٠٠ وهكذا احتوت زنزاناته من بين من احتوت : الملكة مارى انطوانيت ، مدام اليزابيث (شقيقة لويس السادس عشر) ، مدام ريكامييه الحسناء ، مدام رولان ، شارلوت كورداى (قاتلة الزعيم مارا) ، مدام دى بارى (محظية لويس الخامس عشر) ، الشاعر « اندريه شينييه »، الجنرال هوشى ٠٠ الخ٠ كما كان من بينهم العالم المشهور « لافوازييه »، الذى طلب ارجاء اعدامه حتى يتم كتابة مذكراته ، فأجابه أحد القضاة بقوله : « أن الجمهورية ليست فى حاجة الى علماء ! »

وحين انقلب حكم الارهاب على زعمائه ، كالهرة تأكل بنيها ، تتابع على الحظوة « بضيافة » الكونسيير جيرى جميع رؤساء الجمعية الوطنية ، قبل أن يجيء دورهم للصعود الى عربة الاعدام ، ثم الاثنان والعشرون خصما للزعيم دانتون (منأقطاب الجيروندين) ، ثم دانتون نفسه و ١٥ من أتباعه (الذين ضحى بهم روبسبير) ٠٠ ولحق بهم روبسبير ذاته

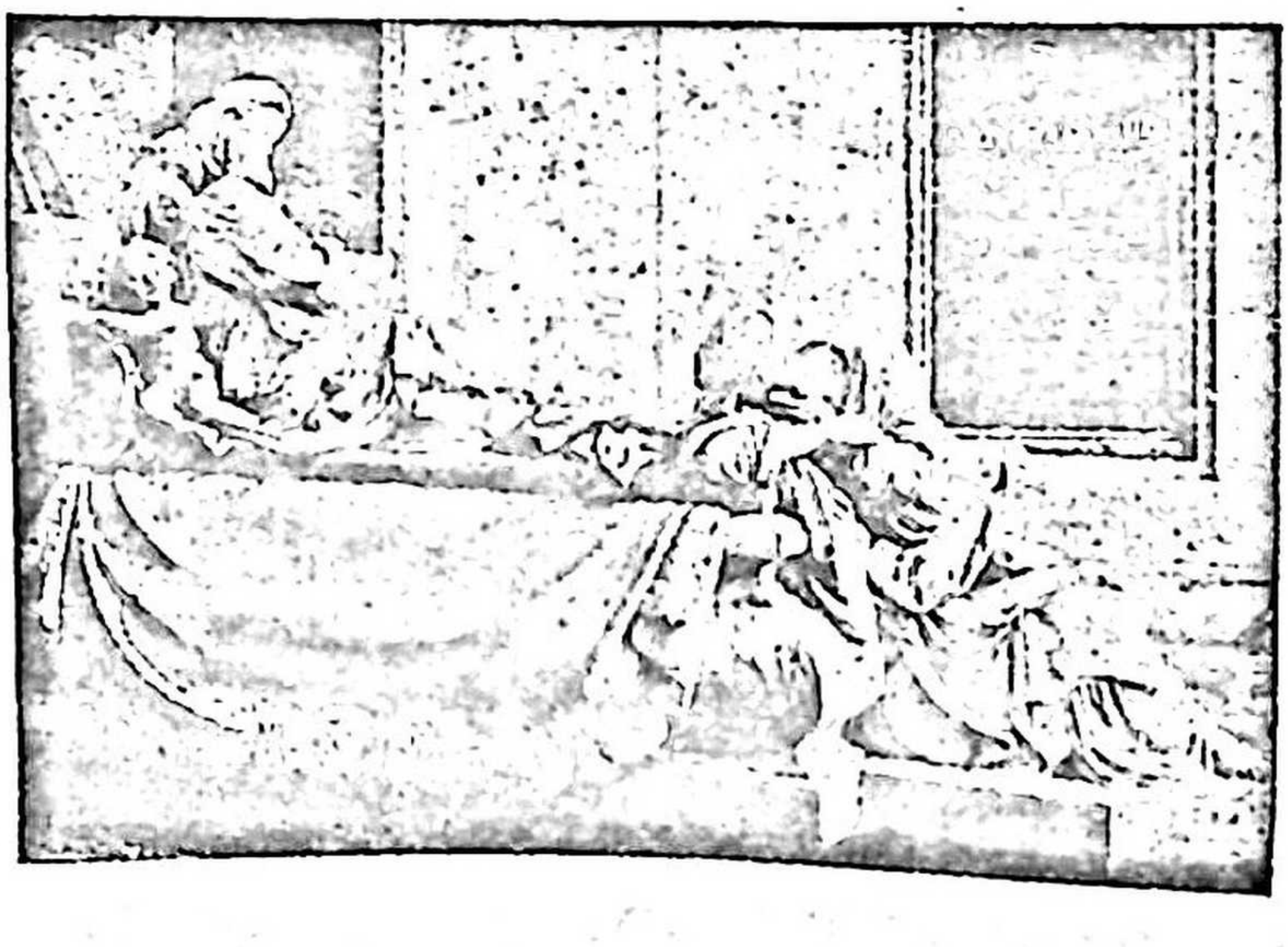

قبر الكاردينال ريشليو ، فى كنيسة جامعة السوربون ، ويعلوه تمثال للسياسى الفرنسى الداهية

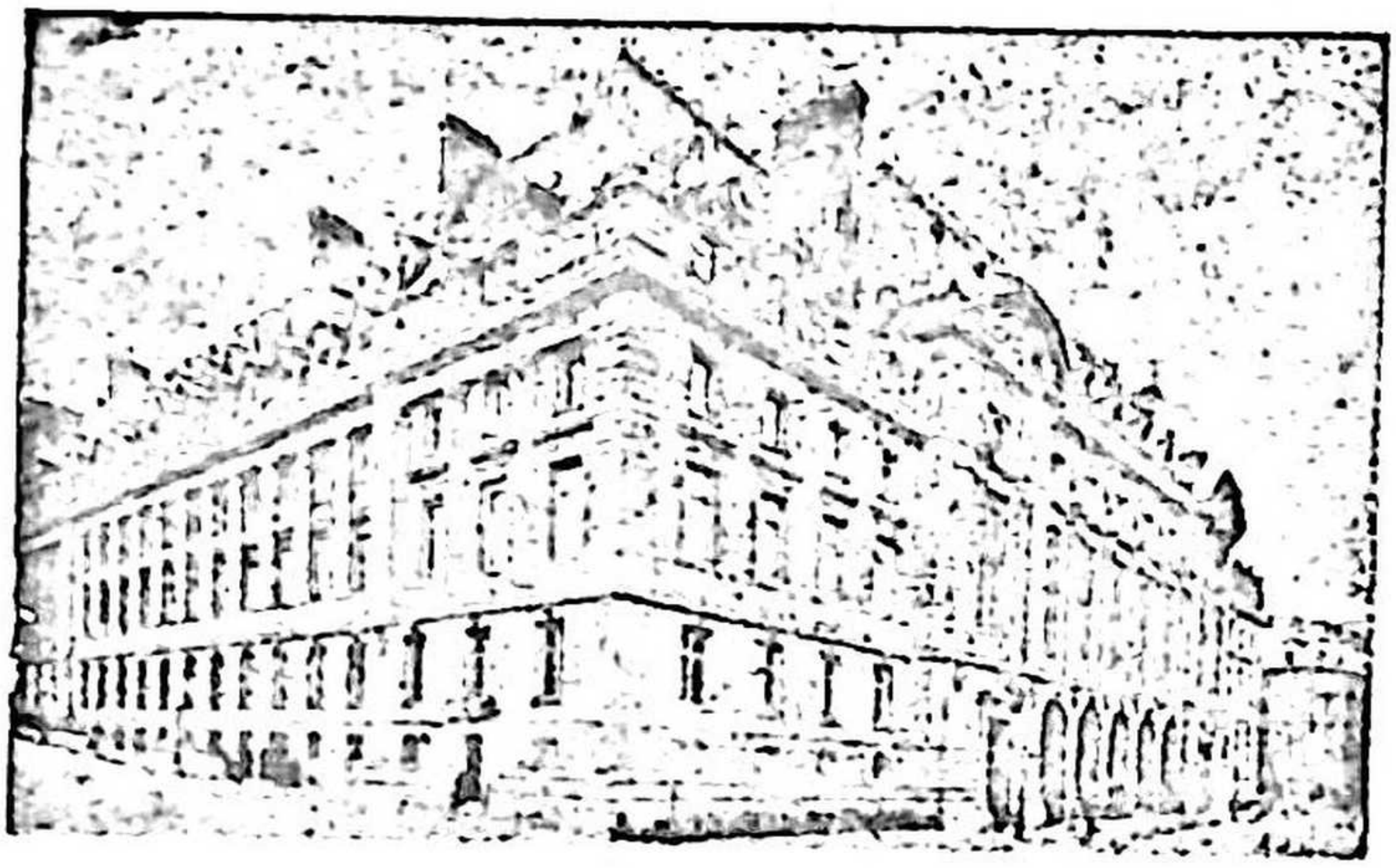

جامعة «السوربون» العتيدة بباريس

وعشرون من أنصاره (الذين أودى بهم انقلاب « ترميدور ») .. وأخيرا جاء دورالمدعى العام « فوكيه تنفيل » ومرؤوسيه من قضاة محكمة تلك الثورة ومحلفيها ..

فاذا فرغنا من هذه العجالة التاريخية ، فتعال نطوف بأهم معالم ذلك السجن المشهور ، وان كنت سأقتصر منه على أطرف ما يسترعى النظر :

زنزانة مارى انطوانيت : وقد شغلتها الملكة المحكوم عليها من يوم ٢ أغسطس الى ١٦ أكتوبر سنة ١٧٩٣ ، حين اقتيدت منها الى ميدان لويس الخامس عشر — « الكونكورد » ، الآن — حيث كانت المقصلة تنتظرها ، وتحتوى الزنزانة على سرير لشخص واحد ، ومقعد ، ومنضدة للزينة . ولم يكن يحجب الملكة عن أنظار حراسها ليل نهار ، سوى حاجز « بارافان » صغير ! .. وتتصل الزنزانة بأخرى مجاورة لها ، هى التى قضى فيها « دانتون » أيامه الأخيرة ، كما قضى فيها « روبسبيير » ليلته السابقة لاعدامه .

مطبخ السجن : وكان يعد فيه الطعام لعدد يتراوح بين الألفين والثلاثة آلاف شخص كل يوم ، منهم أفراد الأسرة

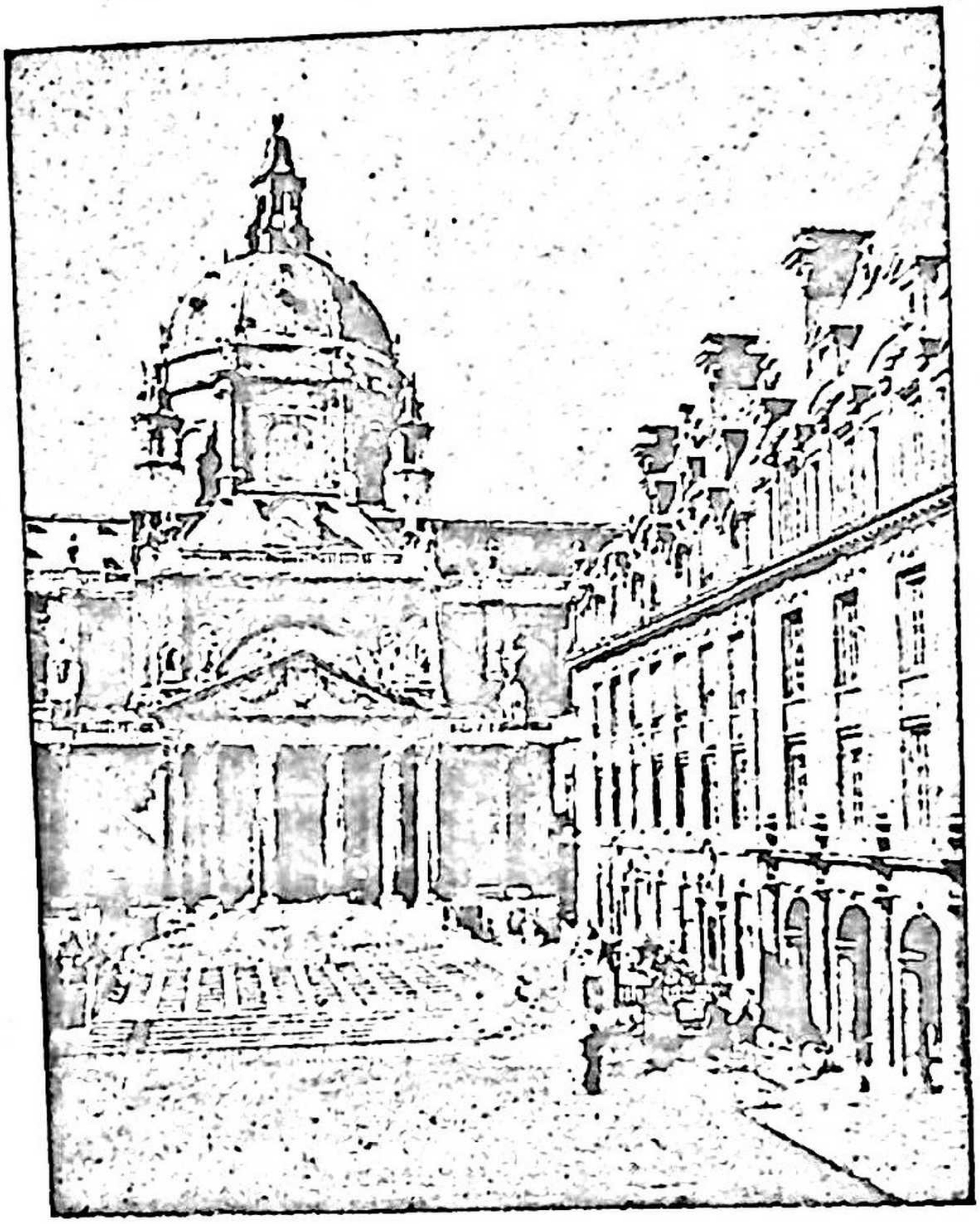

« فنـاء الشرف » فى جامعـة « السوربون » ، يتوسـط مبانيها العريقة فى القدم ، التى شـيدت فى القرن الثالث عشر ، وجددت فى القرن التاسع عشر

المائكة • وكان هذا الطعام يقتصر فى الغـالب على اللحم المشوى أو المسلـوق • ومن ثم ترى فى أركان « قاعـة » المطبخ الفسيحة أربع مداخن ضخمة هائلة الحجم

« شارع باريس » : وهوالرواق الذى كان مخصصا لنوم المسجونين الفقـراء ، على أكوام من القش •• أما الأغنيـاء وميسورو الحال فكانوا يوضعون فى عنـابر صغيرة ذات أسرة متعددة مريحة ، أو ـ فى بعض الحالات الممتازة ـ فى زنزانات ذات سرير واحد

بهـو المسجونين : وهو البهـو الرئيسى للسجن ، وقـد

كان أكثر الاماكن ازدحاما فى عهد الثورة : بالوافدين الجدد الى السجن ، والخارجين منه الى المقصلة ، والزائرين والمحامين ، والسجانين ، والحراس ٠٠ الخ ٠ وفى الجانب الأيسر منه كانت تجرى للمسجونين الخارجين الى المقصلة عملية «الزينة» الاخيرة ، فكانت تربط سواعدهم الى ظهورهم ، وتوسع فتحات قمصانهم عند الرقبة ، ويقص شعرهم عند العنق ! ٠٠ وفى أقصى البهو يوجد السلم الذى تقود الى الطابق الأعلى ، حيث كانت تنعقد محكمة الثورة

كنيسة الجيرونديين : وقد حولت بعد ازدحام السجن الى عنبر آخر جماعى ، وضع فيه الجيرونديون الاثنان والعشرون ٠ وقد كانت العادة أن يختار ضحايا المقصلة ــ لليوم التالى ــ فى منتصف الليل ، فيقضون ليلتهم الاخيرة فى الشراب والغناء ! وقد انتحر أحدهم ذات ليلة فى هذا العنبر ، فتركت جثته ممددة أمام الباقين طوال الليل ، ثم نقلت معهم فى الصباح الى المقصلة !

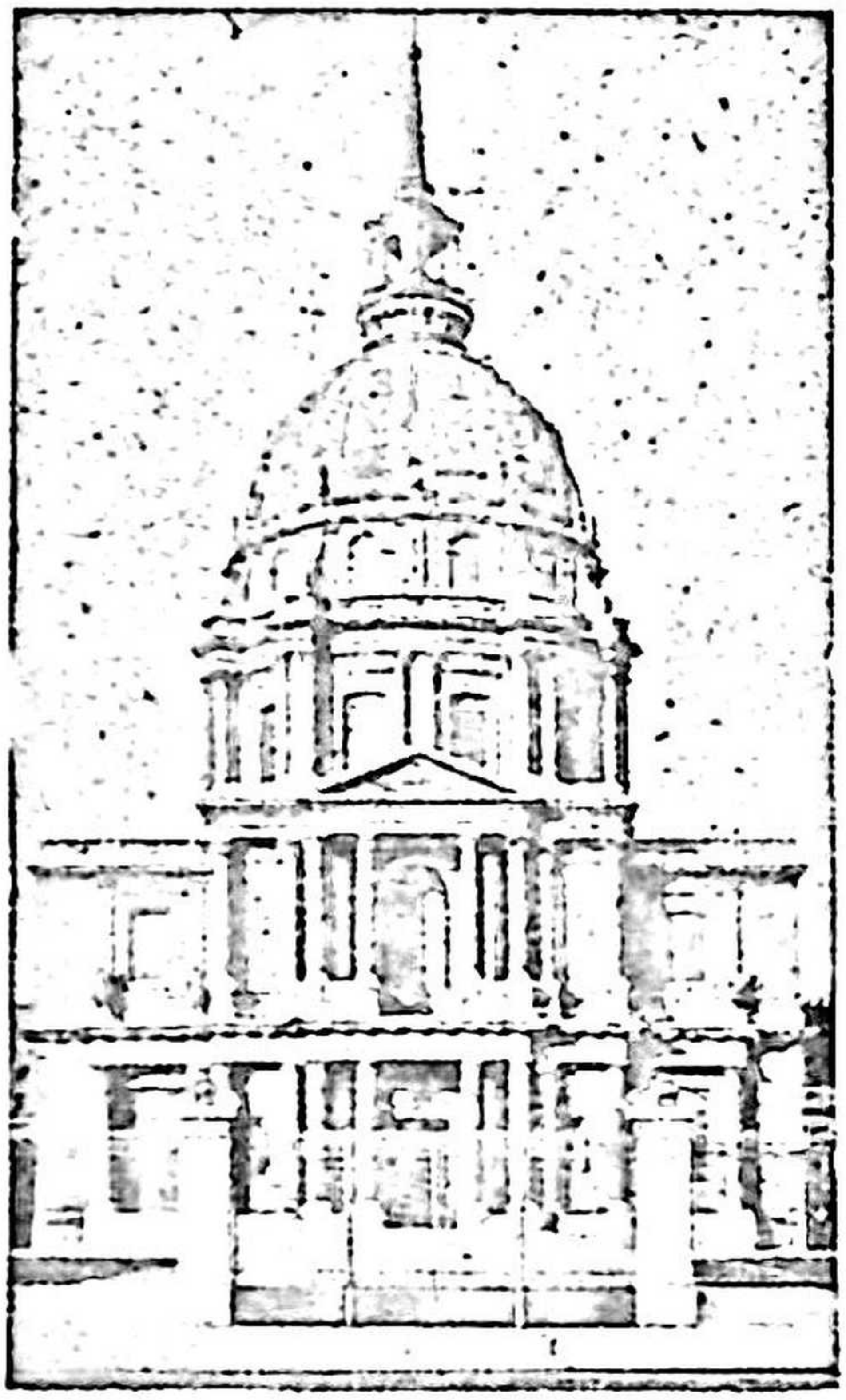

« الأنفاليد » : شيد فى عهد لويس الرابع عشر ، ويضم الآن جثمان نابليون ، وجثمان ابنه « النسر الصغير »

متحف السجن : وترى فيه مسودة الخطاب الذى كتبته مارى انطوانيت ــ برأس دبوس ! ــ الى صديق من

من الشرفة الدائرية الواقعة تحت قبة « الانفاليد » ، يطل الزائر على هذا القبر الرخامى الاحمر الذى يضم جثمان نابليون !

المخلصين لها كان يحاول انقاذها . كما ترى فيه صليب الملكة الصغيرة ، وبعض اللوحات والنماذج المحفورة من فن عصر الثورة ، ونموذج لزنزانة ، وآخر لسلاح المقصلة و « أوامر حبس » بعض المسجونين السياسيين فى عهود أخرى : ومنهم الأمير نابليون (الامبراطور نابليون الثالث فيما بعد) ، و « النمر » الفرنسى « كليمنصو » ، وابن فيكتور هوجو .. الخ

فناء النساء : وهو فناء مكشوف تحيط به صفوف زنزانات السجينات من النساء . (وقد كانت الفقيرات منهن ، اللواتى ينمن على القش ، يوضعن فى الطابق الارضى .. والميسورات الحال فى الطابق العلوى) . وكانت السجينات يتنزهن فى ذلك الفناء أثناء النهار ، أو يجلسن حول المنضدة الصغيرة الحجرية التى تتوسطه .. أو يغسلن ثيابهن فى مياه النافورة التى ما تزال موجودة فى الفناء .

والآن تعال نغادر السجن لنزور صرحا آخر من أهم معالم حى « الجزيرة » - بل لعله من أهم معالم باريس على وجه العموم - وهو كاتدرائية نوتردام ، قبل ان نترك الجزيرة الى الحى اللاتينى .

وفى طريقنا الى الكاتدرائية ، ونحن نسير على رصيف السين ، نمر بالمنظر التقليدى المأثور عن باريس : منظر باعة الكتب

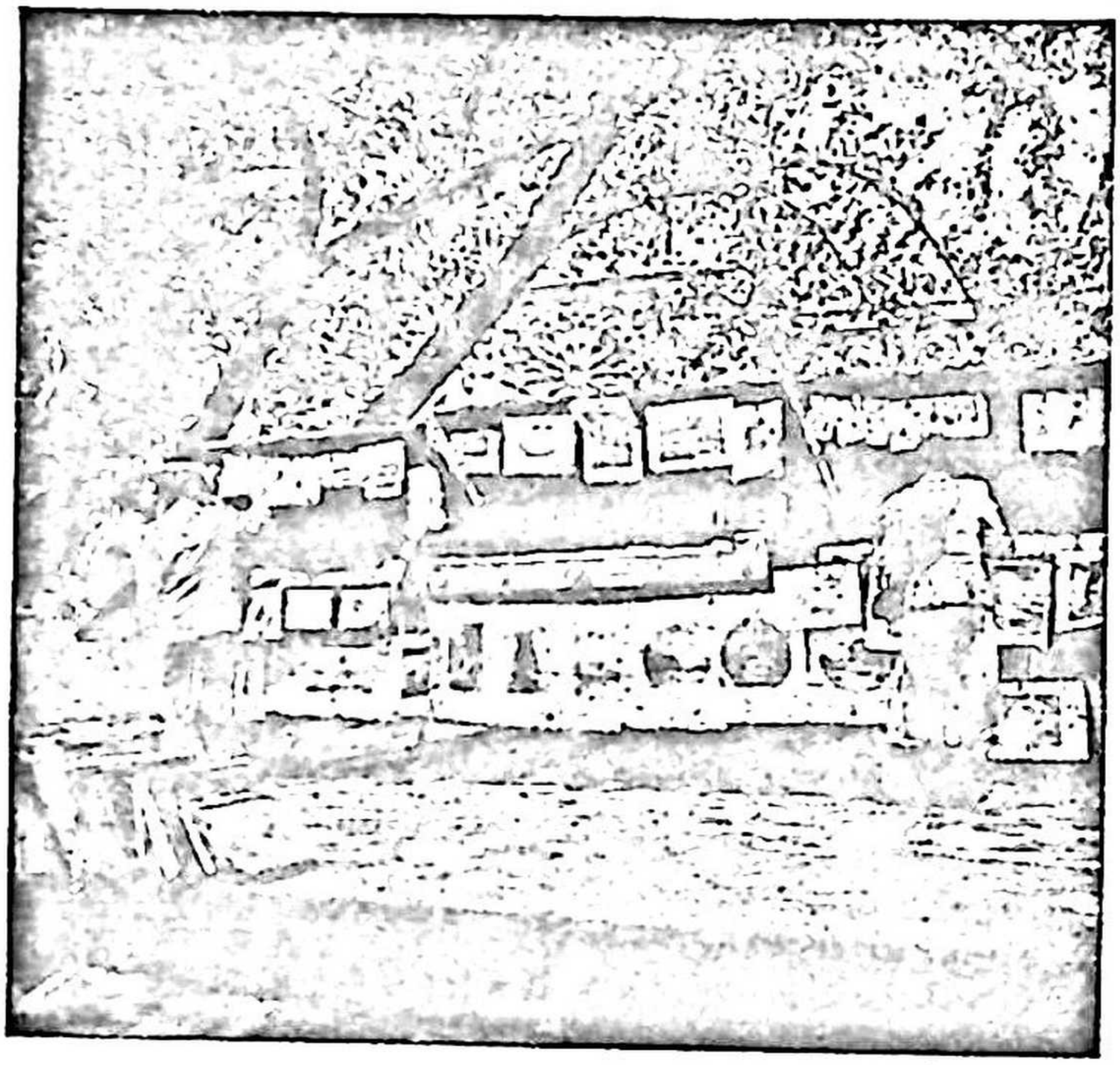

المنظر التقليدى الخالد على ضفة السين : أحد باعة الكتب والصور الفنية ، يعرض بضاعته على سور النهر

والصور الفنية الذين يتخذون من أرصفة السين مكانا مختارا يعرضون فيه بضاعتهم المحببة لجمهور المتسكعين على ضفة النهر الخالد • ووقفت ألقى نظرة على بضاعة أحد أولئك الباعة : مئات من الكتب ، فى شتى الموضوعات والطبعات ، بمختلف الاسعار ، يحار القارىء من فرط اغرائها أيها يأخذ وأيها يدع • وقد صفت جميعها على حامل أو عربة ذات أرفف أنيقة عريضة تفسح للعابر مجال التقليب والاختيار •• والى جوارها مجموعة من اللوحات الفنية ، القديمة والحديثة ، تتيح لأفراد الطبقة المتوسطة ان يزينوا جدران بيوتهم مقابل مبلغ معتدل لا يرهق ميزانيتهم بحال ••

حيث توج نابليون نفسه امبراطورا •• بيديه !

◆ **ها نحن** قد وصلنا الى كاتدرائية نوتردام ــ التى أطلق « فيكتور هوجو » اسمها على روايته المشهورة «نوتردام دى بارى»

(أو « أحدب نوتردام » كما تعرف بالعربية) ٠٠ وقد كانت تشغل مكان الكاتدرائية ـ قبل انشائها ـ أماكن مختلفة للعبادة ، تتابع أحدها بعد الآخر منذ نحو عشرين قرنا٠٠وكان أولها معبد للاله « جوبيتر » أنشأه الرومان فى القرن الأول للميلاد ، بمعاونة أهل البلاد أنفسهم من الغال ٠ (ولعله مثيل لمعبد جوبيتر الذى أنشأوه أيضا فى (دمشق) ، والذى أقيم فى مكانه بعد ذلك « المسجد الأموى » ٠ وما تزال بعض أطلال المعبد الرومانى قائمة بجوار المسجد الى اليوم)

٠٠ وعلى أثر اندثار الوثنية من باريس أقيمت فى مكان معبد جوبيتر كنيسة رومانية ، فأخرى ٠٠ وكلما تهدمت واحدة خلفتها غيرها ٠٠ حتى جاء أسقف العاصمة فى عام ١١٦٠ فقرر الاستعاضة عن الكنيسة المتواضعة الموجودة ، بكاتدرائية ضخمة شامخة ، غير مبال فى هذا السبيل بحملات خصومه الذين

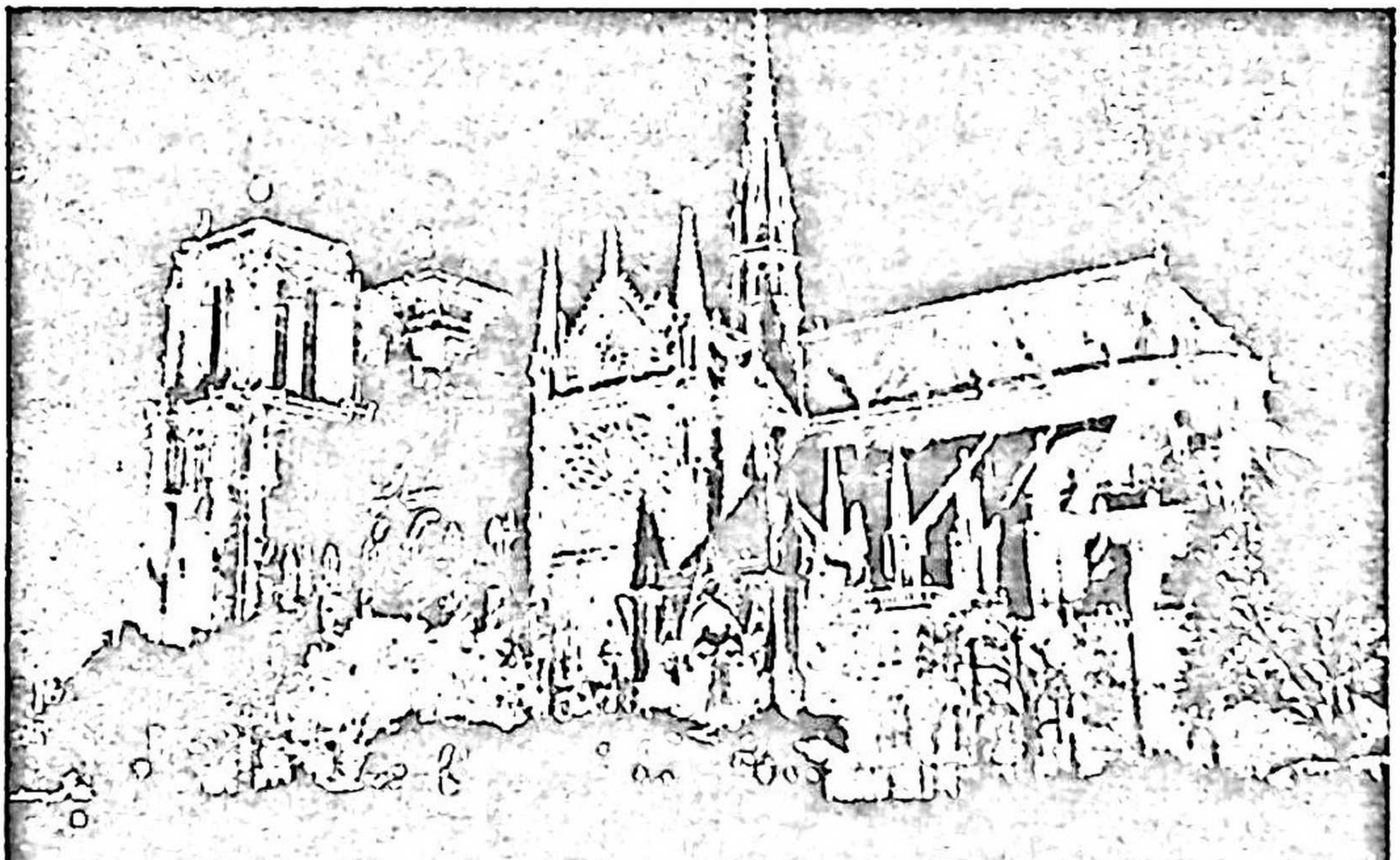

كاتدرائية نوتردام كما تبدو فى الليل وقد سلطت عليها الاضواء الكاشفة

راحوا ينددون بالمشروع ، بحجة أن من شأنه « تغطية الاحجار بالذهب ، وترك فقراء باريس عرايا ! »

وبدأ العمل في « نوتردام » في سنة ١١٦٣ ، وتم الجانب الرئيسى منها بعد ٨٧ عاما ، لكن الأعمال والتحسينات الاضافية استمرت حتى سنة ١٣٣٠ ٠ وانه لمن سوء الحظ أن العبقرى الذى وضع تصميم الكاتدرائيـة ذات الطراز القوطى ما يزال مجهولا ! ٠٠ **وقد أقيمت في « نوتردام » حفلتا تتويج ملكيتان : أولاهما حفلة تتويج « هنرى السادس » ـ ملك انجلترا خلال حرب المائة عام ، الذى طردته جان دارك من فرنسا بعد ستة أعوام ! ـ والحفل الثانى أقيم لتتويج نابليون امبراطورا على فرنسا فى سنة ١٨٠٤ ٠ وقد حدث فى الاحتفال الأخير أن**

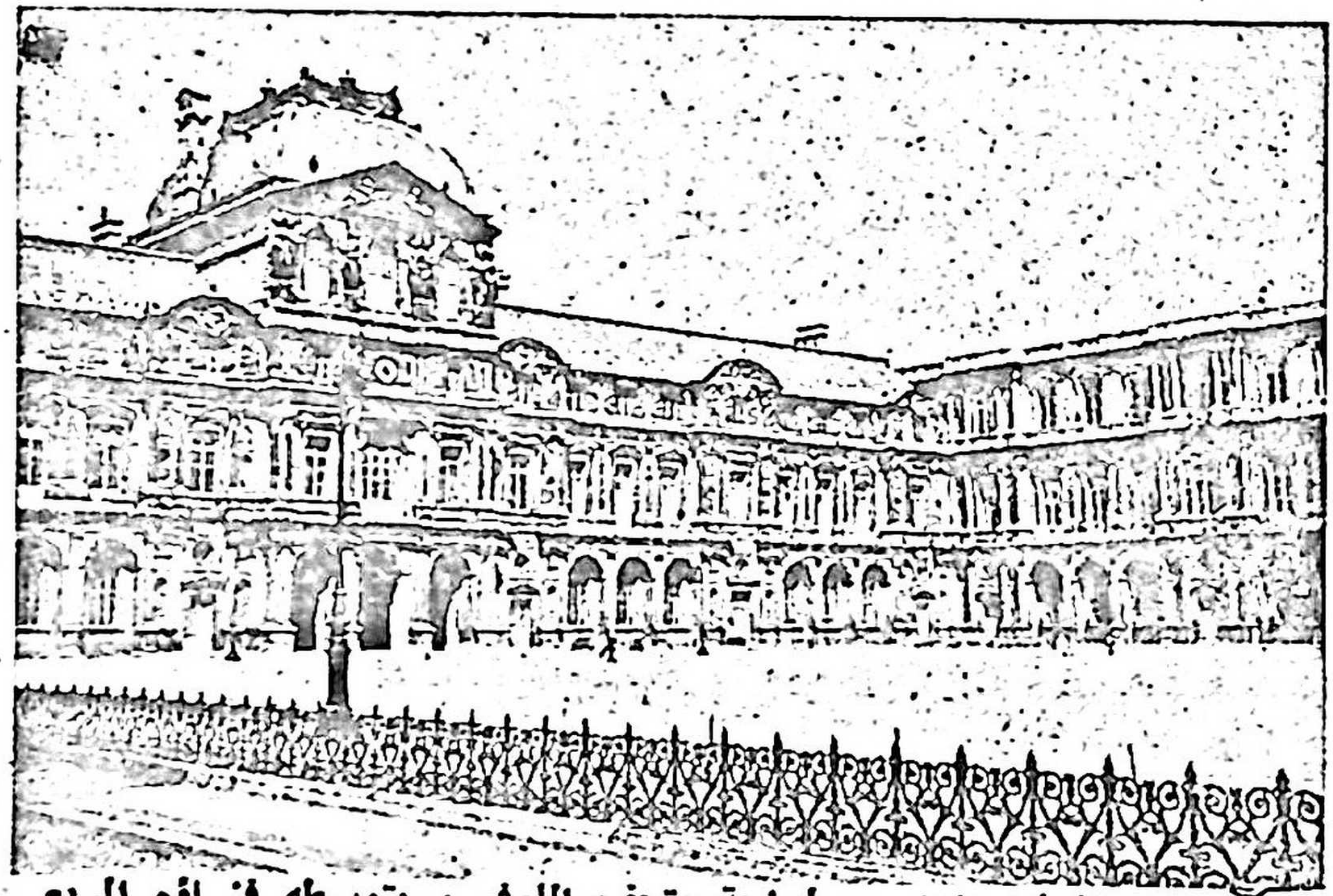

جزء من جناح واحد من اجنحة متحف اللوفر ، يتوسطه فناؤه المربع الفسيح ٠ وقد كان المتحف فى الأصل قصرا ملكيا فى عصر الملك « فيليب اغسطس »

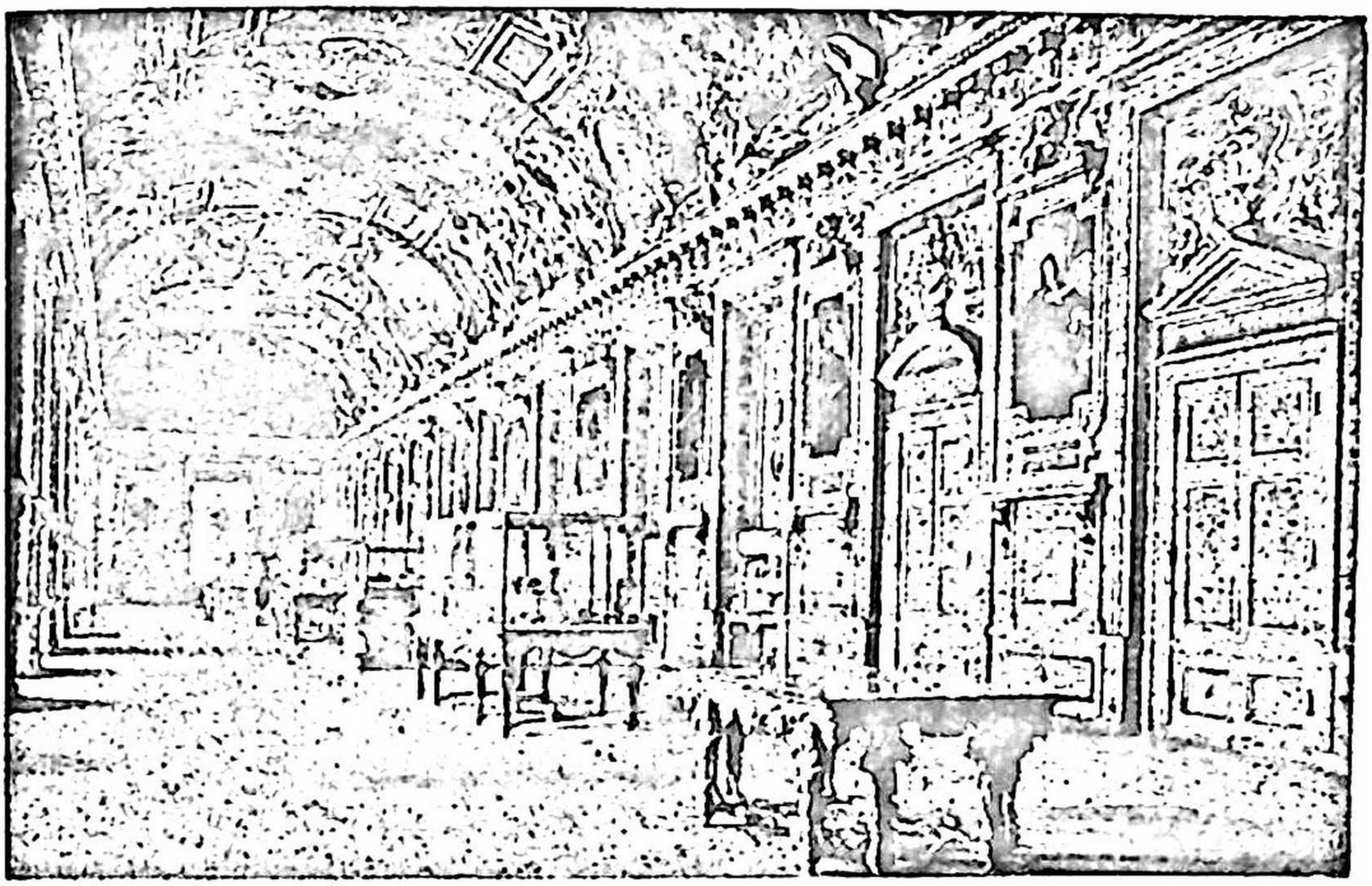

قاعة « ابوللو » ، اجمل قاعات متحف اللوفر ، وتزين سقفها وجدرانها نقوش ولوحات لا مثيل لروعتها ، وتتوسط القاعة صناديق زجاجية تعرض فيها مجوهرات ملوك فرنسا وكنوزهم الثمينة

الامبراطور تجاهل وجود البابا « بيوس السابع » ، فتناول التاج من فوق المذبح ووضعه على رأسه ـ بيده ! ـ ثم وضعه على رأس زوجته « جوزفين » فتوجها بدورها !

وقد ظلت حالة « نوتردام » تتدهور من سيىء الى أسوأ خلال القرن الثامن عشر ، ثم جاءت الثورة فأصابتها بتلف بالغ .. الى أن صدر « قانون » عام ١٨٤١ الذى أوجب اصلاحها ، فعهد بهذه المهمة الى المهندس المعمارى « لودوك » ، الذى تدين له باريس بفضل انقاذ صرحها الأثرى العريق

وتمتاز الكاتدرائية ـ فضلا عن هندستها المعمارية القوطية المنعدمة النظير ـ بأبوابها الثلاثة الضخمة الشاهقة ، التى لا تقدر قيمتها الفنية بمال .. فقد حفرت على أخشابها لوحات

مجسمة تمثل مشاهد كاملة من التوراة والانجيل ، بارزة ومنحوتة كالتماثيل • وفوق المدخل نافذة هائلة على شكل وردة كبيرة ، منقوشة الزجاج باللوحات الملونة ، يبلغ قطرها نحو عشرة أمتار ! وهى أكبر نافذة مستديرة جرؤ المعماريون على تصميمها ، وقد بلغ من اتقان صنعها انها لم تحوج أحدا الى أن يمد يدا لاصلاح شىء فيها منذ انشائها الى اليوم ، طيلة أكثر من سبعمائة عام !•• وقد صنع كثير من أساطين الفن صورا مصغرة منقولة عنها ، فى أكثر من مناسبة

أما برجا أجراس الكاتدرائية ـ اللذان تسلقهما « أحدب نوتردام » فى قصة فيكتور هوجو الخالدة ، فرارا من مطارديه ، وأطل من قمتهما على الجماهير الثائرة ـ فيبلغ ارتفاعهما ٢٢٦ قدما ، وهو ارتفاع شاهق يوازى ارتفاع عمارة ذات ٣٠ طابقا !•• ومن قصص الكفاح والمثابرة العجيبة المأثورة عن تاريخ انشاء هذه الكاتدرائية أن الملك « فيليب أغسطس » ارتاب ذات يوم فى النزعة السياسية للقائمين بانشائها ، فأمر بايقاف العمل فيها ، وأقام حراسة مشددة عليها لهذا الغرض • ورغم ذلك فقد بلغ من تحمس الأهالى للمشروع أن مواد البناء ظلت تنقل الى داخلها سرا تحت جنح الظلام من الضواحى البعيدة ـ خلال انفاق شقت خصيصا من أجلها تحت الأرض ـ فلما رفع الحظر بعد نحو خمس سنوات ، كان العمل قد تم فى ٣٧ هيكلا من الهياكل التى بداخلها ، ووقع على كل منها بعلامة الجعران والبوصلة • ونتيجة لهذه المساهمة الشعبية الواسعة النطاق ، مازالت شخصيات الكثير من الفنانين الذين صنعوا مختلف تحفها النادرة •• مجهولة تماما !

ضريح الامبراطور

◆ وعلى ذكر نابليون وحفل تتويجه فى ذروة مجده ، تعال نزوره فى لحده ! انه يقيم على مقربة ، فى ضريحه المهيب :

« الانفاليد » • ومبنى الانفاليد شيد فى الأصل ، فى عهد لويس الرابع عشر ، ليكون ملجأ لمشوهى الحرب من العجزة ، وقد تم بناؤه فى عام ١٥٧٦ ، أما قبته المشهورة التى صارت طابعا له فقد شيدت عام ١٦٧٩ • وفى يوم ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ـ يوم سقوط الباستيل ـ علمت الجماهير الثائرة أن فى « الانفاليد » مخزنا للأسلحة ، فهاجمته وأفلحت فى اقتحامه ، ثم خرجت منه مزودة بنحو ٢٨ ألف بندقية !•• **أما اتخاذ الانفاليد ضريحا لنابليون فيرجع الى عام ١٨٤٠ ، حين أفلحت فرنسا فى اقناع بريطانيا بحقها فى استرداد جثمان امبراطورها من جزيرة سانت هيلانة ، فأوفد الملك لويس فيليب ابنه الى الجزيرة ليرافق الجثمان • وفتح نعش الامبراطور ، فوجد فى**

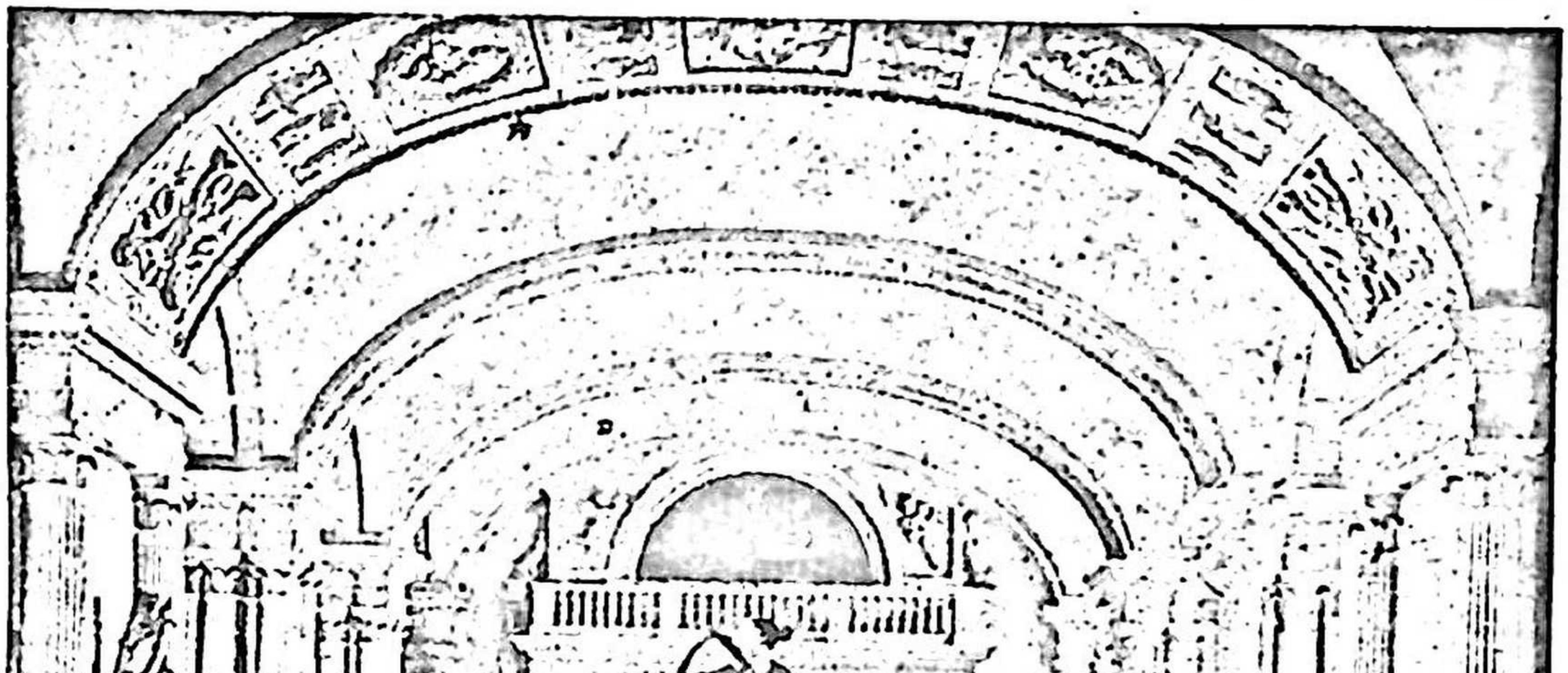

بهو التماثيل بمتحف اللوفر ، يتوسطه تمثال رائع لآلهة الصيد « ديانا »

حالة سليمة تماما ، واذ ذاك نقل الى باريس ، حيث احتفل بتشييعه الى مقره الجديد فى جنازة مهيبة ، يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٨٤٠ ، مارا بقوس « النصر » العظيم الذى سجل على جدرانه أمجاده وانتصاراته ، والذى كان هو صاحب الفكرة فى اقامته ، وان لم يتم صنعه الا بعد وفاته ..

وفى أبريل سنة ١٨٦١ وضع جثمان نابليون فى النعش الرخامى الأحمر الفاخر الذى يراه زائر الانفاليد اليوم ،والذى وضع تحت قبة المبنى بالضبط ، فى مستوى ينخفض عن مدخل الضريح بنحو ستة أمتار ، وأحيطت تلك الفجوة الفسيحة بسور أنيق يطل منه الزائرون على النعش المسجى فى القاع . فاذا أرادوا النزول لمعاينته عن قرب ، هبطوا اليه سلما من ٢٦ درجة . وقد صنع النعش من الجرانيت الفنلندى الأحمر ، ووضع على قاعدة من الجرانيت الفرنسى الأخضر ، وبطن من الداخل بطبقة من مرمر (كورسيكا) ـ مسقط رأس الامبراطور ـ وأحيط النعش بست لوحات مجسمة بارزة من المرمر الأبيض ، تضيئها عدة مصابيح جنائزية . ويقوم البهو كله ـ أو الفجوة المستديرة ـ على ١٢ تمثالا تعتبر بمثابة أعمدة يرتكز عليها . وفى مواجهة المدخل وضع تمثال لنابليون يصوره فى زى التتويج ، وعلى رأسه اكليل الغار المشهور ، وتحت التمثال وضع سيف معركة (اوسترلتز) ، والقبعة التى كان يرتديها فى معركة (ايلاو) ، والمفاتيح الثلاثة لنعشه فى سانت هيلانه .

وفى أجنحة أخرى من الانفاليد ، أقيمت أضرحة ثانوية لبعض أبطال فرنسا العسكريين ـ ومنهم « فوش » ، و « ماك ماهون » و « لوكلرك » ـ وقد انضم اليهم فى سنة ١٩٤٠ ابن نابليون (النسر الصغير ، أو ملك روما) الذى مات بالسل فى نحو العشرين من عمره فى جناح أمه « مارى لويز » بقصر

(شونبرون) بفيينا · وكان هتلر قد نقل جثمانه الى جوار أبيه على اثر دخوله باريس فى بداية الحرب الأخيرة ، استرضاء للفرنسيين وتملقا لمشاعرهم !

وفى الممر المؤدى الى مدخل الانفاليد ، صفت بطارية من ١٨ مدفعا من البرونز ، يرجع عهدها الى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وتستخدم لاطلاق التحية فى المناسبات القومية والانتصارات الوطنية الهامة ، وقد أطلقت نيرانها بالتحية فى يوم الهدنة (١١ نوفمبر عام ١٩١٨) ، ويوم استعراض النصر (١٤ يوليو سنة ١٩١٩) ·· وقد نقل الألمان هذه المدافع الى بلادهم حين احتلوا فرنسا فى عام ١٩٤٠ ، لكنها أعيدت الى مكانها على اثر انتهاء الحرب ·

جنة الطلبة والعشاق !

◆ **والآن تعال نغادر « الانفاليد » لنواصل جولتنا ·** ياللجو الرائع الجميل ، ان الغمام الرقيق يفتر عن رذاذ لطيف ! **هل تحب السير تحت المطر الخفيف مثلى ؟ اذن تعال نرتدى معطف المطر ونتسكع فى طريقنا الى احدى حدائق باريس الشاعرية الجميلة ·· فلنمض الى « اللوكسمبرج » ، جنة الطلبة والعشاق التى قرأت معى أكثر من اشارة اليها فى قصص « بول بورجيه » ·· هانحن قد وصلنا اليها** ، أترى هذا البستان المنسق أبدع تنسيق ، بذوق باريسى رفيع ؟·· وهذه الممرات الظليلة التى انتثرت فيها المقاعد الخشبية ، وقد جلس روادها من الشباب ـ من الجنسين ـ يطالعون كتابا أو مجلة ، أو يستذكرون دروسهم ومحاضراتهم ، فى هذا الجو الشعرى المعبق ببراعم الزهر ؟·· وفى مواجهتهم وحولهم ، فى كل اتجاه ، تماثيل ربات الجمال عند اليونان والرومان ، تبارك كفاحهم وأحلامهم ، وتذكى فيهم الصبر والجلد ! **يكفى أن تقع أبصارهم عليها ، فى**

وقفتها الصابرة منذ آلاف السنين ، كي يتخذوها قدوة لهم ومثالا ٠٠ ويكفى أن يتأملوا جمال قسماتها الخالدة ، وروعة الفن الذى صاغها ، كي ينبثق فى وجدانهم ينبوع تذوق الجمال الرفيع ، والسمو بمشاعرهم الى السماوات العليا للعواطف والأمانى التى تغذى القلب والعقل ٠

فى القسم المصرى بمتحف اللوفر ، يربض هذا التمثال من الجرانيت الاحمر لأبى الهول !

بل يكفى أن تسرح خواطر طلاب الفن منهم وراء انثناءات كل تمثال منها ، وتعبير وجهه « الناطق » ، ومعالم قده المياس ، كى يحلم كل منهم بأن تمنحه الآلهة ازميل « ميكيل انجلو » أو « رودان » !٠٠ أما الطالب الأديب أو الشاعر فحسبه جلسة فى هذه الجنة الأرضية كى ينطلق قلمه ولسانه بأبلغ القوافى والأوزان ، وأرق أهازيج الحب والجمال !٠٠ولم لا أقول أن طالب الطب قمين بأن يدرس علم التشريح ووظائف الأعضاء على الطبيعة ، وهو يفحص أدق العضلات والمفاصل والشرايين والعظام ، فى تلك التماثيل المرمرية التى تكاد تنبض بالحياة !

تباركت يارب ٠٠ حقا لقد بدعت الخليقة من جديد يوم خلقت أنامل مخلوقاتك الخالقة !

وفى العدد القادم نواصل زياراتنا لمعالم باريس ، بادئين بالحى اللاتينى

عقدة « أوديب » !

◆ هل سمعت عن « عقدة اوديب » ؟.. وهل تعرف منشأ هـــذه التسمية التى اصطلح علماء النفس على اطلاقها على كل من يبدو منه ميل « جنسى » شاذ نحو امه ؟ ! .. او يبدو منه – على الأقل – تعلق مغالى فيه بهذه الأم ، يصرفه ويعوقه عن ان يبذل او يشعر بالحب الكافى لامـــراة غيرها ، أو يمارس حياته الجنسية الطبيعية مع زوجته ؟ !

سواء كنت سمعت بهـــذه العقدة ، او لم تســمع .. وقرات عنهـا ، او لم تقرا .. فما ينبغى ان تفوتك فرصـــة قراءة القصة الخالدة التى كانت منشـــا تسمية هذه الحالة بـ « عقدة اوديب »

انها قصة الكاتب اليونانى الأشهر « سوفوكليس » :

أوديب الملك

اقراها مع القصة التكميلية لها ، بقلم سوفوكليس نفسه :

أوديب

فى (كولونا)

الدكتور طه حسين

والقصة الحديثة التى ابتدعها – حول الموضوع نفسه – فن الــكاتب الفرنسى الــكبير « اندريه جيد » :

أوديب

ترجم المآسى الثلاث الخالدة ، وكتب لها مقدمة طويلة شائقة باسلوبه الساحر :

الدكتور طه حسين

وتقدمها لك فى عددها الجديد يوم ١٣ ديسمبر الحالى :

مطبوعات كتابى

انها تحفة نادرة .. لا تدعهـا تفوتك !

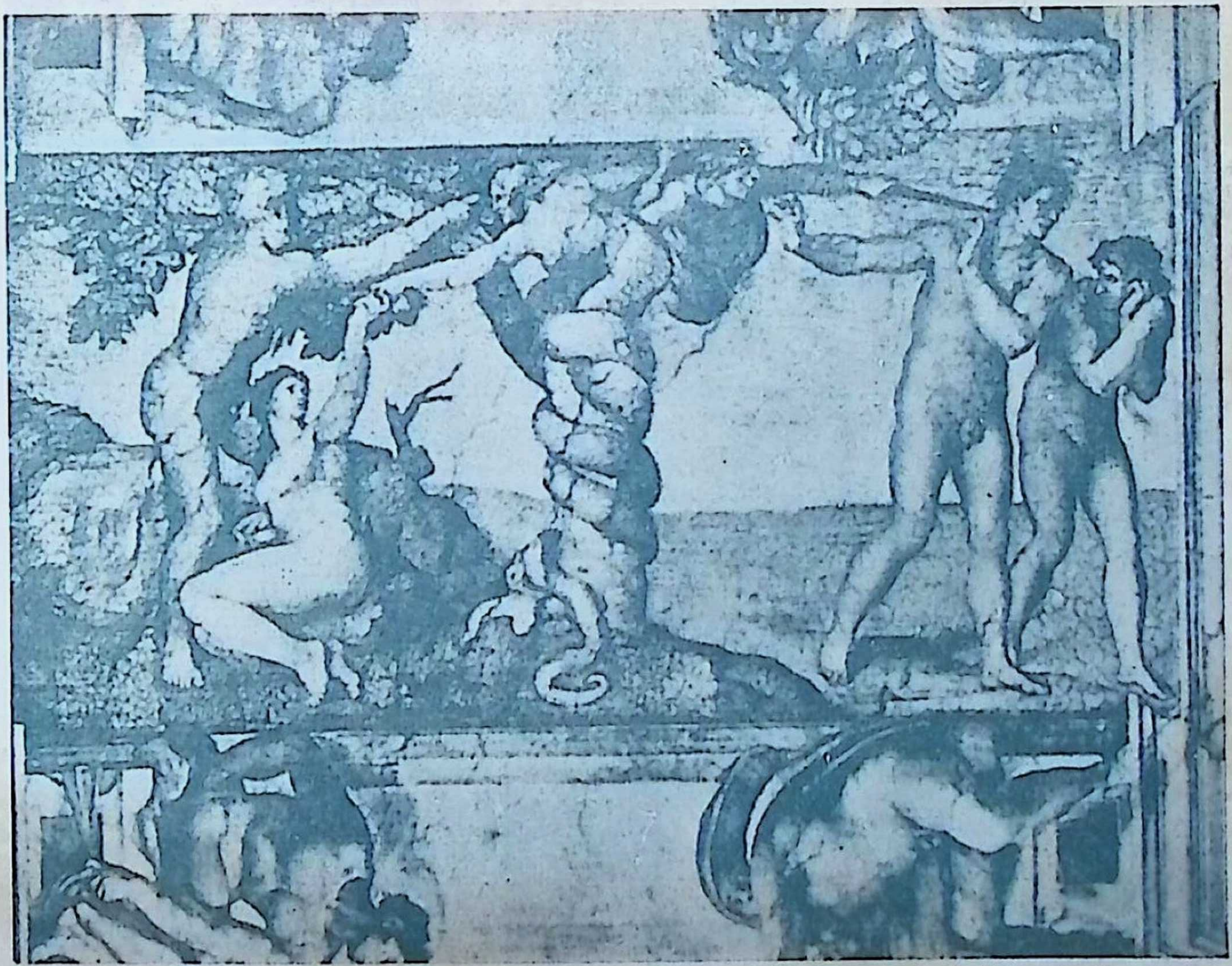

احدى اللوحات الخالدة التى رسمها الفنان الأشهر « ميكيل انجلو » على جدران كنيسة « سيستين » بالفاتيكان ، ويمثل الجانب الأيسر منها آدم وحواء وهما يقطفان « التفاحة » من الشجرة ، وقد التفت عليها الحية ٠٠ وفى أيمن اللوحة آدم وحواء وقد أشاحا بوجهيهما ندما وخزيا عند طردهما من الجنة

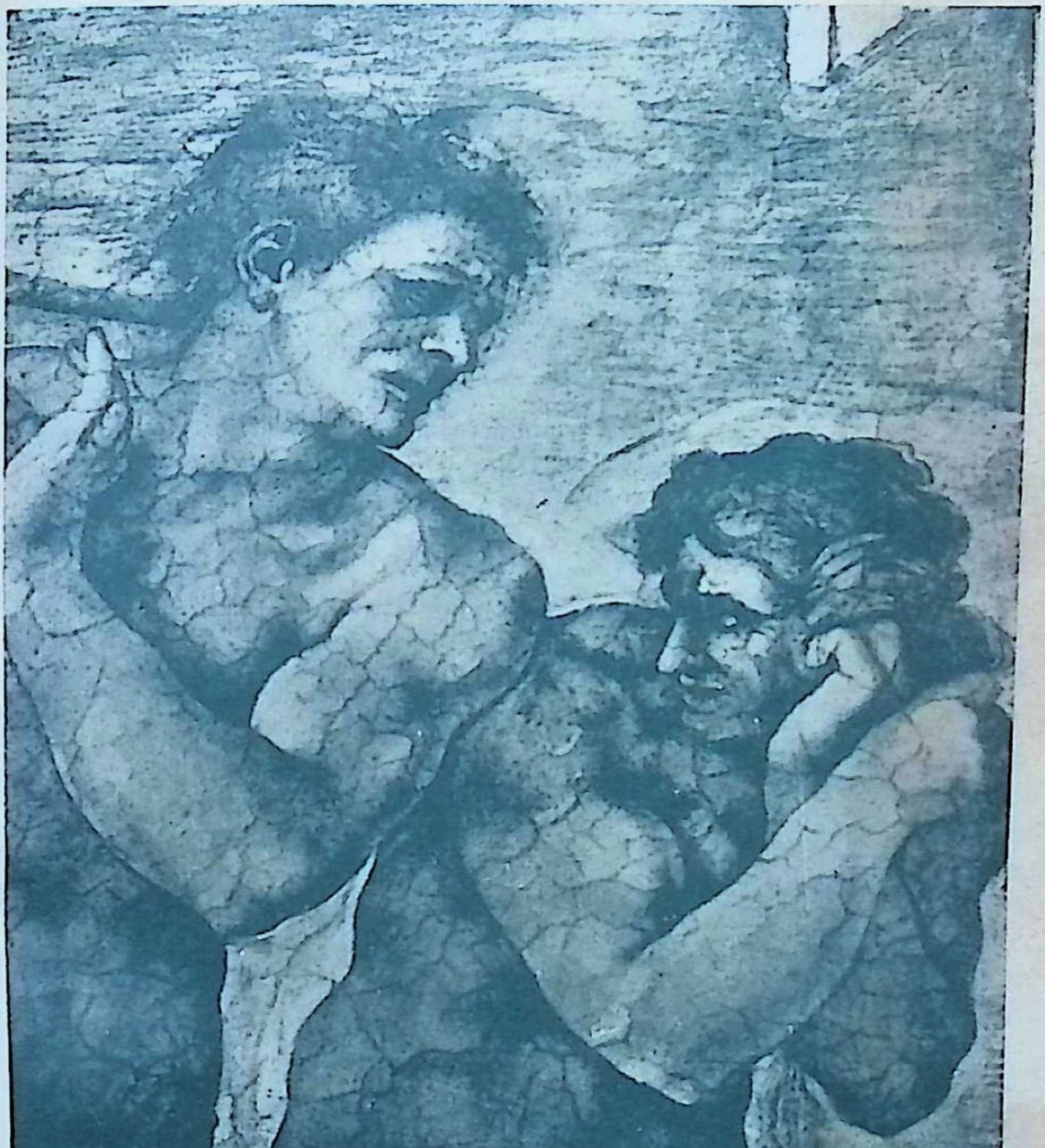

قطاع من اللوحة المنشورة فى الصفحة السابقة ، يبين خزى آدم وحواء عند طردهما من الجنة بعد أن أكلا التفاحة !

قصة مصرية

بقلم: يوسف جوهر

مسألة ضمير!

بدا عليه التعب ، فاقترحت عليه أن نجلس قليلا فى ظلال نخيل الضيعة • واتخذنا مقعدا شجرة عتيقة ضخمة شاخت ، وملت الوقوف ، فمالت الى الارض ، وتوسدت التراب •

وكنا مستسلمين للصمت ، فان الصمت يغدو أحيانا حلوا فى المساء ، وقت الغروب •• وكان الشيخ المتعب الذى يجلس الى جوارى قد ودع ولده وشيكا ، وأركبه قطار الدلتا الذاهب الى المدينة • وكنا عائدين من المحطة ، وفى عودتنا وقف بى عند مقبرة القرية الصغيرة ، التى تنام فى هدوء على حافة الطريق الزراعى •• وقف طويلا ، وقرأ الفاتحة ، ثم استغرق فى صمت مفعم بالحلم والحزن •• ولما عاودنا السير ، عاودناه ونحن فى موجة ذلك الصمت الحالم الحزين ••

جلسنا على جذع الشجرة التى توسدت الثرى •• ورأيت دموعا كبيرة تتجمع فى عينيه ! •• ورمقته يدير وجهه ويمسحها خلسة • وقد هزنى ذلك ، فان دموع الشيوخ غالية !

كان طبيعيا أن يكتئب قليلا ، فان ولده الذى غادر القرية الى المدينة هو ولده الوحيد ، وهو استاذ شاب فى الجامعة يزوره لماما •• ولكن كان مستغربا أن يأسى الى هذا الحد ! •• فقد رأيته من قبل يستقبل ولده ، ويودعه ، دون أن يتعرض لمثل هذا الاضطراب ! •• كان جليا انه ينحنى تحت ثقل هم دفين !

وكنا صديقين ، تلك الصداقة العذبة التى تتوثق أحيانا بين رجل متقدم فى العمر وفتى فى صدر الشباب • كانت أرضى مجاورة لأرضه ، وكنت أجىء الى الضيعة أياما لأشرف على شئونها ، وكنا لذلك نلتقى دواما ونسمر سويا •

ولا شك أنه رأى التساؤل فى عينى ، فقد ابتسم وهو يتنهد ومال على أذنى هامسا : « ان ابنى لن يكون لى وحدى بعد

اليوم ٠٠ فانه سيتزوج ٠٠ وقد جاء يخبرنى أنه وجد عروسه ويسألنى أن أبارك اختياره ٠٠ »

قلت له : « وهل فعلت ؟ »

قال : « نعم ٠٠ فإن ابنى عاقل ٠٠ ولست أشك أن قلبه قد هداه ٠٠ »

أجبته : « ولكننى أراك مهموما ؟ ! »

ضحك في وهن وكآبة وقال : « **كان خليقـا بى أن أغدو الآن طـروبا ، لـكننا مررنا فى عودتنـا من المحطة بمقبرة القرية ٠٠ وقد أثار ذلك فى نفسى ذكرى بعيدة موجعة ٠٠ ان أم الفتى تنام هنـاك ٠٠ فى ذلك اللحد الذى وقفنـا عنده ٠٠ منذ ميلاده ٠٠ »**

ونظرت اليه فاذا بعينيه قد عادتا نديتين ، واذا بالشجن يبلل صوته ٠٠ وأخرج كيس التبغ ولف سيجارة ، ووضعها فى المبسم ، وجذب منها نفسا طويلا نفخه فى بطء وشرد بصره وراء الدخان وهو يتلوى فى الهواء ٠٠ وكانت هـــذه عادته عندما يقبل على حديث طويل ٠

ولما رأى انى مصغ له ، حدثنى قائلا : « ان ابنى لا يعرف شيئا من هذا التاريخ الذى يعود الى ثلاثين عاما ــ ولن تحدثه أنت بشىء !٠٠ لقد دخلت خدمة الحكومة فى العشرين وبقيت فى القاهرة ، فى احدى الوزارات ، الى الثلاثين ٠ ثم مللت ٠ وكان أبى قد مات بعد شقيقى ، فورثتهما ، واصبحت الارض فى حاجـة الى من يعنى بها ٠ وفـكرت أن استغلهـا بنفسى ، فاستقلت ٠٠ وقصدت الى الريف

وكنـت قد تزوجـت من القاهرة قبـل قدومى الى الريف بعامين ٠ **كان زواجى من بدرية زواج شـباب مشـتعل ، من النوع الذى ينطفىء ، ويفقد الـكثير من حرارته بالوصـال ٠ ولذلك لم تلبث حياتنا القلبية ، بعـد الأعوام الثلاثة الأولى**

ان صارت حياة رتيبة هادئة ، مملة . كانت بدرية خاملة ، لا تدرى كيف تدفع السآمة عن حياتى وحياتها .. ولعل ذلك هو ما جعلها تتوق الى طفل ، يلهب حناننا ، وينير قلوبنا ، ويبدد الركود الذى يسود أيامنا .. فلما مضت اعوام خمسة دون أن يكون لنا نسل ، تقسمها الحزن ، وأضحت تذوب شوقا الى طفل !

وقد كانت مغالية فى ظنها انى سأحبها أكثر عندما تغدو أما .. فاننى لم أكن أكرهها . ولم يكن ثمة شقاق بيننا أو نفور . كل ما هنالك ان حياتنا كانت عادية ، ينقصها الاضطرام ..

والحق أن بدرية كانت جميلة ، ومخلصة ، وطيبة . وكان عيبها الوحيد ذلك الانطواء على نفسها ، والعجز عن التعبير عن مشاعرها .

واخيرا حملت بدرية .. وجاءت أيام الوضع ..

وكانت يتيمة ، فلم أر مناصا من أن أكتب لصديق لى طبيب ، فى المدينة المجاورة ، أسأله المعونة .. فوافانى ليلة الوضع ، ومعه ممرضة . ثم عاد أدراجه تاركا الممرضة لتعنى بالأم وبالطفل .

★ ★ ★

وكانت الممرضة صبية فى الثامنة عشرة ، ذات جدائل ذهبية ، وعينين ساحرتين ، ومحيا فاتن .. ولن أنسى ذلك الفرح الحلو الراقص فى عينيها وهى تحمل على ساعديها الناصعين الوليد لأول مرة ، لتريني اياه ..

ويحنا من هذه الاشياء التافهة ، التى تحدث عفوا ، ثم يكون لها أكبر التأثير فى توجيه حياتنا ! .. لقد حدث اننى انحنيت على الطفل لأقبله ، ولما رفعت وجهى لمس خدى وجنتها ، برهة ما ، مصادفة ! .. واذا بالخجل يصبغ محياها بذلك اللون

القانى المحبب !

ومنذ ذاك ، دخل فى نفسى شىء ٠٠ وعشت حينا مضطرب الصدر بمشاعر غامضة !

وقد كان كل شىء خليقا أن ينتهى عند ذلك لو أن زوجتى بدرية أسرعت الى النقاهة ولم يعد هناك محل لوجود « لولو » ٠٠ لكن المسكينة أصيبت بحمى النفاس ، وأصبح محتما أن تبقى الممرضة لتنفذ تعليمات الطبيب وتعنى بالمريضة ، وبالطفل أيضا ٠٠

ان لنا فى شبابنا نزوات تستمد أسفافها من ضعف الطبيعة البشرية٠٠ فقد تبينت اننى لم أكن ساخطا على مرض امرأتى ! وان خاطرا خبيثا راودنى ٠ أن تلك الحمى قد أسدت الى جميلا اذ أبقت « لولو » فى البيت !

وأحيانا تغلظ قلوبنا الرقيقة غلظة مؤسفة ٠٠ فانه لما غمض مرض زوجتى ، واستعصى عليها الشفاء ، وضعف قلبها ضعفا جعل الطبيب يتحدث عن الخطر وعن الموت المفاجىء ، حتى حينما حدث ذلك لم تستنكر نفسى التفكير فى أنه ربما يأتى يوم تغدو فيه « لولو » زوجة لى !

وقد أخذت رغبتى الأثيمة تهمس بى : ان بدرية ستموت ! وسيغدو الطفل بلا أم ! ولن يكون هناك لوم ان أبقيت الفتاة لتربيه ! وستكون بيننا عاطفة رقيقة ! ثم ينتهى الامر بالزواج !

واشهد ان لم يكن للفتاة ذنب فى هذه التصورات ٠ كانت تريد لبدرية الصحة والسلامة ، وتكافح المرض بكل عزيمتها ،

وتنفذ ارشادات الطبيب بكل أمانة٠٠وكانت مشغوفة بالطفل ، تغدق عليه كل الحنان الذى يزخر به صدر عذراء قلبها اناء مختوم تتراكم فيه الطهارة ٠

انها لم تفكر فى من البداية ، بل كان كل تفكيرها محصورا فى ابنى ٠ وأثناء ذلك كنت أرقبها ، وأستنشق العطر الساحر المنبثق من أنوثتها الحية ٠٠ ولم تكن لولو تلحظ تلك الثورة المضطرمة فى نفسى ٠٠ كانت كالزهرة النائمة فى كأسها ، لاتدرى كم هى فاتنة ٠٠ ولا كم مرة فى النهار تقطفها العيون المشغوفة بألوانها العجيبة !

وقد طال المرض ٠٠ وأضحى اليأس الممل مألوفا ككابوس ثقيل لا خلاص منه ٠ ومر أكثر من شهر ونحن عشيران ــ انا ولولو ــ نتناول الطعام وحدنا ، ونتحدث سويا ، ونلتقى عند هدف واحد ٠٠ ونما بيننا نوع محتوم من الألفة ، وقد صارت تغدق على عنايتها بذلك السخاء الصادر من طبيعتها المفطورة على البذل والعطاء !

وفي ذلك الجو الكئيب الذى تسوده المواساة ، والاحساسات المرهفة ، أصبحنا صديقين ٠ ولم تكن هى من جفاء الطبع بحيث تنفر من رقتى العميقة نحوها ، بل كانت ترضخ لها وعلى جبينها ظلال من الحيرة ٠٠ فانه فى الفترات التى تكون فيها زوجتى نائمة ، وخاصة فى الليل ، كنا ننسل من الحجرة ، لنوفر لها أكبر قسط من الراحة ٠ ونأوى الى الصالون لنسمر ٠٠ ثم تتقطع الكلمات بيننا وتذبل الرغبة فى الحديث ٠ ونتبادل النظرات فى صمت مرهق ٠٠

وليس من شك أنه هجس فى خاطرها ، كما هجس فى خاطرى ، أن ذلك ليس مأمون العاقبة ، فاننا بشر ٠٠ وبدأت ألحظ انها كانت لما تطول جلساتنا تلك ، تحاول ان تقتلع نفسها من مقعدها ٠ وكانت تنجح فى ذلك غالبا ، وتتركنى وحدى

مخفقا فى أن أضبط مشاعرى • فلم ألبث أن ألفت ، كلما رأيتها تهم بالنهوض ، ان امسكها من يدها واتشبث بذراعها لأردها الى مكانها •

وكان هذا هو بدء الشر •

★ ★ ★

وذات ليلة •• هبطنا الى الحديقة ، بعد العشاء ، وقد أعلن الربيع دفئـــه ، وأذاب القمر ضحـــكاته الفضية فى النسيم الفاتر •• وكان كل شىء ساحرا يتهامس : الأزهار الناضجة بعبيرها •• والنخيل النحيل الممشوق الباحثة هاماته عن احلامها فى السماء •• وأشجار الفاكهة المثقلة أغصانها بثمارها •

وكانت « لولو » وسط هذا الجمال ، لحن الطبيعة المكتمل البارع ، الذى لا يضارع • وطفقت أرقبها ونور القمر يعانق نور وجهها ، وأتفرس كل شىء فيها بنفس قد ذابت •• وضعفت

وكانت قد عقدت ساعديها وراء عنقها ، وأراحت عليهمـا رأسها ، وأغمضت عينيها •• وهكذا تركت ذراعيها تصنعان لمحياها اطارا من حسن لايحد !

وكانت فى هذا الوضع هى الفتنة فى ثوب امرأة ••

واختطفتهـــا فى جنون بين ذراعى !

ولم تقـاوم أول الامر •• كانت بـين الاستســلام ، والاغماء •• كانت قد أضحت حطام تلك المقـاومة الطويلة ، وذلك الـكفاح العنيف الذى توج بالفشل !

ثم فتحت عينيهـــا ••

وذادتنى عن شفتيها فجأة ٠٠ وأحسست بجسدها ينتفض - كأن رعدة حادة قد مرت به - وفى أذيال هذه الرعدة انبعثت واقفة ٠٠ وفرت وهى تغطى وجهها بكفيها !

فرت الى البيت ٠٠

★ ★ ★

ووجدت نفسى وحدى ، ذليلا ، غارقا مرة واحدة فى ذلك الندم الذى يثب توا من أعماق الضمير ، عقب الخطأ ٠

وبعد برهة سمعت « لولو » تصرخ صرخة يمزقها الرعب ، والأسى ، والاستنجاد !

وهرعت الى البيت ! ٠٠ وراءها !

واذا بزوجتى بدرية ملقاة عند عتبة النافذة المطلة على الحديقة ! ٠٠ وكان جليا انها مائتة !

ونقلناها الى سريرها ٠٠ وبعد أن نشرنا على وجهها الغطاء الابيض ، حدق كل منا فى الآخر ٠ رأيت عينى « لولو » تنطقان بنفس السؤال الذى غدا يمزق قلبى : « **ان بدرية نهضت من سريرها ، وتماسكت ، ونجحت فى أن تصل الى النافذة المطلة على الحديقة ٠٠ فهل رأتنا ، ولم يحتمل قلبها الذى أنهكه المرض الصدمة ؟ ! ٠٠ فسقطت على الارض ، ميتة ؟ !** »

هذا كلام طويل ٠٠ لكن معناه كان يومض فى عينى الفتاة ، فى نظرة واحدة قصيرة ! ٠٠ وقد تهالكت الصبية الى الارض ، وألقت رأسها بين ذراعيها ، على حافة الفراش ، عند وجه الفقيدة ٠٠ وصاحت منتحبة : «فليعاقبنى الله ٠٠ فليعاقبنى الله !»

★ ★ ★

ودفنت بدرية فى القبر الذى رأيتنى أقف عنده اليوم ٠٠ وبكيناها سويا ٠٠ أنا ولولو ٠٠ وعبثا حاولت بعد ذلك أن اقنعها بأن من المحتمل أن يكون الامر كله وهما ٠٠ وان بدرية لم تر شيئا ٠٠ بل سقطت ميتة قبل ان تطل من النافذة ! ٠

لـكنها لم تكن ميالة اطلاقا لأن تصدق ذلك •• ولم أكن أنا نفسى على هدى فى ذلك الامر •• بل كان عذابى أشد •

وفى بقية الليلة التى سهـرت فيها الى جوار سرير زوجتى الميتـة ، حـدقت طويلا فى وجههـا ، لأستشف الحقيقـة •• وحاولت أن أعرف أهى زرقة المنيـــة التى صبغت وجهها ، أم زرقة الحـزن لى والأسى لغدرى ؟ ! •• لـكن قناع الموت كان غامضا ، وكأنه نسج باحكام ذلك الابهام المخيف ليعذبنى !

وفى ندمنا تستنير بصيرتنا ، وتجر الماضى كله لتعرضـه علينا فى جلاء موجع •• فهل كان حقـا فى تلك النظرات التى رأيت زوجتى ترمقنى بها ، فى أيامها الاخيرة ، لون الشـك ؟ وهل كانت تخفى فى ابتسامتها الشاحبة عذاب الريب فى انى أخدعها ؟ واننى أرقب نهايتها فى غير جزع ولا حزن ، بل ربما فى رضى ؟ !

ان هذه الظنـــون التى تتنكر فى ثيـــاب الحقائق ، وتلبس باحكام قناعها ، قد صبغت نفسى بذلك الاكتئاب الذى لا يمحى •• ولعل ذلك هو ما جعلنى أقابل قرار لولو ، بأنها لا تستطيـع أن تغدو لى زوجة ، باستسلام يائس •• وبعقيـدة أن حرمانى منها هو العقاب العادل لى على زلتى الماضية !

وقد ماتت بعد ذلك فى نفسى الرغبة فى الزواج • وعقـدت تلك الكآبة الباطنة صداقة وثيقـة بينى وبين قبر بدرية •• زوجتى ••

وأمام ذلك القبر كنت أقدم دائما حسابا عن عنايتى بولدنا ، واعزازى اياه ••

الخالدون

عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و ((غاريبالدى)) .. و ((لويس باستير)) .. و ((اميل زولا)) .. و ((ماركونى)) .. و ((تشايكوفسكى)) .. ((فمصطفى كمال)) .. ثم ((شوبان)) .. و ((جى دى موباسان)) و ((مختار)) و ((تشارلس ديكنز)) و ((بيتهوفن)) و ((موسولينى)) و ((شيللى)) و ((بلزاك)) و ((بودلير)) و ((دستويفسكى)) و ((موليير)) واخيرا ((كونفوشيوس)) و ((جيته)) وبوذا والكسندر ديماس .. وهم أولئك العظماء فى السياسة ، والطب ، والادب ، والاختراع ، والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم أقدم لك فيما يلى حياة الفنان الاعظم ((ميكل انجلو))

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براوننج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، اديسون ، فورد .. والتر سكوت ، كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم

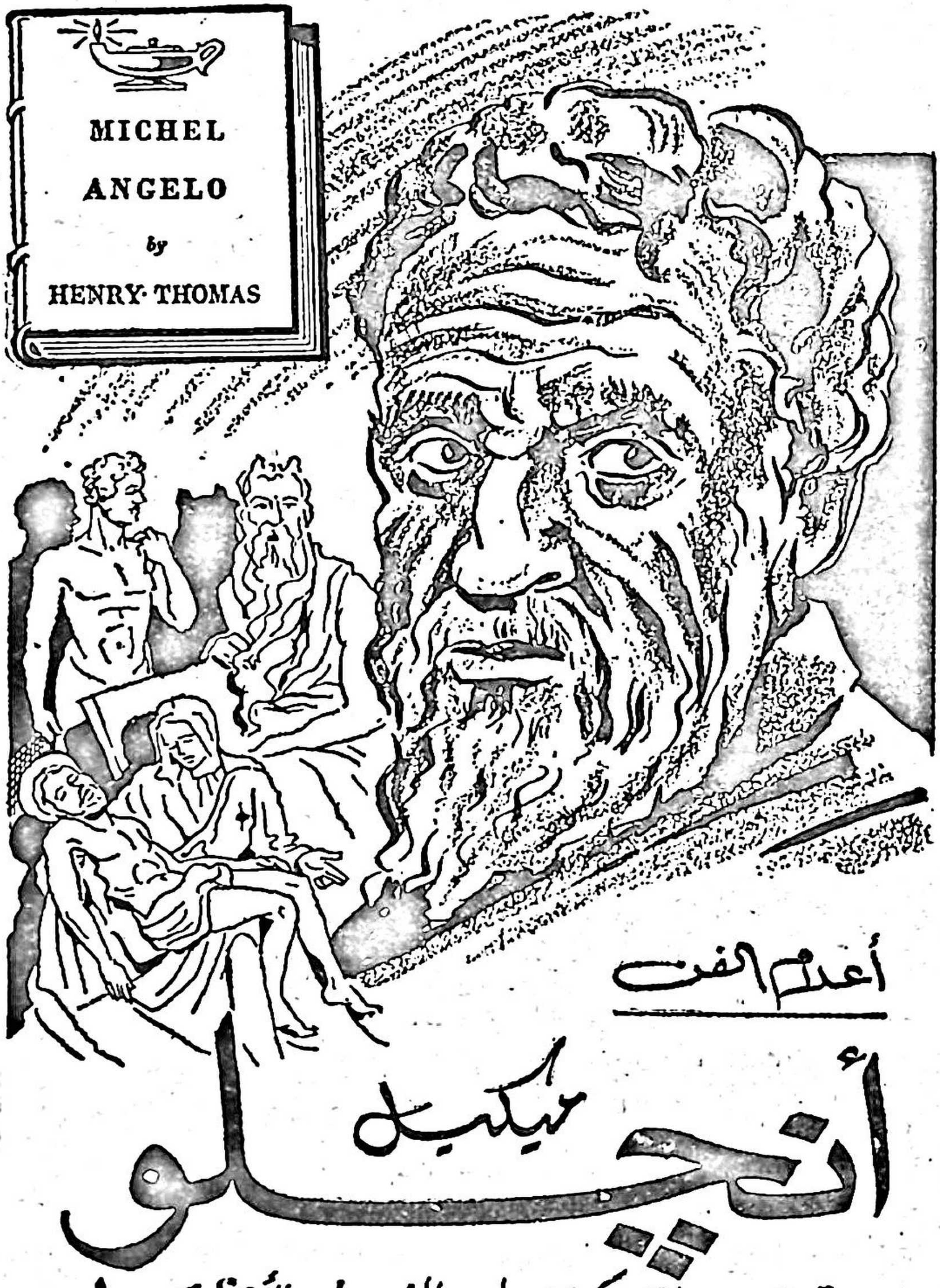
MICHEL
ANGELO
by
HENRY· THOMAS
أعلام الفن
ميكيل
أنجلو
قصة حياة وكفاح الفنان الأعظم!

التلميذ يتفوق على استاذه !

◆ كان « ليوناردو دافنشى » مارا فى ميدان « ديللا ترينيتا » بمدينة فلورنسا ، مزهوا بمظهره الأنيق وابتسامته الجذابة ، حين صادف جماعة من مواطنيه البارزين جالسين على مقعد من مقاعد الميدان يتناقشون فى مقطوعة من شعر شاعرهم العظيم « دانتى » . فلما رفع أحدهم بصره ورآه هتف بهم : « أيها السادة .. هذا هو الرجل الذى يستطيع أن يحسم مناقشتنا ! »

فى تلك اللحظة ظهر فى الجانب الآخر من الميدان شاب ينم وجهه ، بأنفه الافطس المكسور ، عما تنطوى عليه نفسه من ضغينة وحقد على الدنيا بأسرها ! .. **كان شعره القصير المشعث يتدلى على جبهته فى غير نظام ، وثيابه رثة مهملة ، وحذاؤه مغطى بطبقة من غبار الرخام ، ويداه خشنتين تعلق بأظافرهما آثار من معجون الطفل .. فأشار اليه ليوناردو وقال لرفاقه : « هذا هو « ميكيل انجيلو » أيها السادة .. أنه خير من يشرح لكم شعر دانتى ! »**

لكن انجيلو ، الذى كان دائما مرهف الاحساس بالاهانات ، حمل قول ليوناردو على محمل التحدى المباشر ، فصاح به فى سخرية : « بل فلتشرحه أنت لهم ! انك قدير على كل شىء .. أو لم تصنع نموذجا لحصان ثم نبذت المهمة لأنك عجزت عن صبه فى قالب من البرونز ؟ »

ومضى ميكيل انجيلو فى طريقه بعد أن نفس بهذا الانفجار عن حنقه المكبوت على حظه من الحياة .. فقد كان مايزال شابا ، مغمورا نسبيا ، فى حين كان ليوناردو ــ الذى يكبره بثلاثة وعشرين عاما ــ محسوبا فى عداد أساطين الفن فى تلك الأيام .. ولم يكن يدور بخلد انجيلو يومئذ انه سوف يتفوق على منافسه ، سواء فى الثروة أو المجد !

رب ضـــارة نافعة !

◆ **كان** أبوه ـ « لودوفيـكو دى ليوناردو بيوناروتى » ـ عمدة (كابريز) ٠٠ ونشأ الفتى في أسرة جميع أفرادهـــا من الذكور ، فقـــد كان له أربعــة أخوة ، ليست بينهم أنثى واحدة ! ٠٠ حتى أمه ماتت وهو بعد فى السادسة من عمره ٠ وكان الأب رغم نبل محتده فقيرا ، بلا عمل فى أكثر الاوقات ، ومن ثم كان سيء الطبع عنيفا فى معاملة أولاده ٠ وكان أخص مايثير غضبه قول ابنه « ميكيل انجيلو » المتكرر أنه يريد أن يصير « فنـــانا » ! ٠٠ فقد اعتزم الأب ان لا يسمح لفرد من أسرة بيوناروتى باضاعة وقتــه فى عمل « تافه » كالرســـم بالفرشاة أو النحت بالازميل ، وانما ينبغي على أولاده الخمسة أن يشتغلوا بالتجارة وأعمال البنوك ، مثل أبنـــاء أسرات فلورنسا الكبيرة ! ٠٠ وهكذا أخذ الأب ابنه الحالم بالشـــدة والصرامة ، محاولا أن يبث فيه روحه « العملية » ٠٠ ولكن بلا جدوى ، فبرغم ضربه وتعنيفه اياه ، أصر ميكيل انجيلو على أنه يريد أن يصير فنانا ! ٠٠ وعندئذ أدخله أبوه ، مضطرا ، معهد « شرلانداجو » الفنى ٠٠ ونفض يده منه يائسا !

وكان ميكيل وقتئذ لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره

كان « شرلانداجو » فى ذلك الحين يشتغل برسم جدران كنيسة (سانتا ماريا) ، فعهد الى تلميذه الجـديد « ميكيل » بمهمة طحن مواد الالوان ونقل بعض الرســـوم من نماذجها الدقيقة التى أعدها الأستاذ من قبل ٠٠ **فجاءت صور التلميذ المنقـــولة أروع من الأصـــــل ، الأمر الذى أثار غـيرة « شرلانداجو » منه ، فأخذ يضايقه بكافة أساليب المضـــايقة الحقيرة ! ٠٠ وأحس التلميذ المرهف الاحساس بما يكنه أستاذه نحوه من شعور وضيع ، بعد ما قاساه من أبيه في الماضى من تنغيص ، ففقد الفتى الناشيء تدريجا ثقته فى محبة البشر ٠٠ ولازمته هذه الريبة حتى آخر ايام حياته !**

وقد كان من حسن حظ ميكيل انجيلو فى الواقع أن أستاذه شرلانداجو قد نفره منه على هذه الصورة ، حتى انتهى به الأمر الى التخلص منه باحالته الى زميله الاستاذ « برتولدو » . وكان هذا شيخا مسنا يتولى تعليم تلاميذه فن النحت على نماذج من آثار « حديقة مديتشى » القديمة التى كانت قد اكتشفت حديثا .. وكان ذلك المكان بالنسبة الى ميكيل انجيلو بمثابة « جنة عدن » ، ففيه تعلم الفن الذى خلق الله يديه كى تمارساه .. وفيه قابل الرجل الذى قدمه الى عالم الثقافة ، والفن ، والموسيقى ، والشعر ، والجمال ، والدعابة .. وكل ماكانت روحه الشابة متعطشة اليه !

.. فذات يوم ، فيما كان ميكيل انجيلو ينحت وجه شيخ مسن ، فى حديقة « لورنزو دى مديتشى » ، صادف ان كان لورنزو الشهير بلحمه ودمه يتنزه فى الحديقة .. فوقف يتأمل التمثال الصغير برهة ، ثم التفت الى المثال الشاب قائلا :

« يابنى .. ألا تعلم أن الشيخ المتقدم فى السن لابد أن يكون قد فقد بعض أسنانه ؟ » ..

واذ ذاك تناول الشاب أزميله فكسر به احدى أسنان التمثال ثم التفت الى محدثه متسائلا : « هكذا ؟ » .. فضحك لورنزو وقال : « نعم ، هكذا »

الدنيا تقبل عليه !

◆ **وأعجب** لورنزو بالفتي الموهوب الذى لم يتجاوز الرابعة عشرة ، فأخذه الى قصره حيث سمح له بالجلوس الى مائدته ،

واللعب مع أولاده ، وأهداه معطفا بنفسجي اللون ٠٠ ثم أجرى عليه مرتبا شهريا قدره خمسون ريالا ، وفتح له عينيه على أمجاد العالم « الوثنى » الذى يعيش فيه ٠٠ وهناك تذوق انجيلو الجمال وجرع الحكمة من شفاه أحكم الفلاسفة والشعراء والكتاب الذين كانوا يترددون على قصر « مديتشى » من شتى اركان الأرض ٠٠ وحول مائدة مديتشى ـ مركز حضارة العصر ـ كان « ابوللو » رب الشعر و« أفلاطون » نبى المعرفة ، محور أحاديث السامرين ٠ وفى ظل هذا التأثير الوثنى وجد أنجيلو التشجيع الذى أغراه على انتاج عمله الفنى الأول ، وهو لوحة بارزة تمثل معركة بين البشر والحيوان ، ويتجلى فيها جمال الأجسام العارية على النمط الاغريقى ٠٠

وذات يوم دهمت انجيلو الكارثة التى خلفت أثرا فى نفسيته وحياته طيلة عمره بعد ذلك ٠٠ فقد بدرت منه كلمة انتقاد لفن زميل له من تلاميذ المعهد يدعى « توريجيانو » ، **وكان هذا فتى سريع الغضب قوى البنية ، فلكمه بقبضته لكمة كسرت عظام أنفه وشقت لحمه ، فأغمى على انجيلو من قوة الصدمة وحمل الى بيته وقد حسبه القوم ميتا ٠٠ وحين التأم الجرح نظر الشاب الى وجهه فى المرآة فرأى آثار الندبة تشوه معالمه ! ومنذ ذلك التاريخ انطوى على نفسه ، وبدأ ينظر الى الجنس البشرى كله بسخط كامن ٠٠ ولم يشف قط تماما من تأثير ذلك التشويه الجثمانى والنفسانى الذى أصابه !**

فى تلك الفترة بلغت مسامع انجيلو دعوة المصلح الدينى والسياسى « سافونا رولا » ، الذى حمل على الفساد الوثنى والوحشية التى يمارسها حكام المدينة السريين ، فكان لتلك الصيحة أثر بالغ فى نفسية الفنان الشاب المرهف الاحساس ، حتى لقد دخل أحد اخوته بسببها الدير ، وفكر انجيلو نفسه فى أن يتبعه فيهجر فنه ودنياه بأسرها وينزوى بدوره فى

أحد الاديرة ! .. فلقد نشب فى أعماقه صراع عنيف بين الالحاد والدين ، بين الجمال والواجب ، بين مبادىء العالم القديم والمثل العليا للعالم الجديد .. تكن الصراع لم يلبث أن خمد بعد حين ، واستطاع انجيلو - لحسن حظ الفن والانسانية - أن يوفق بين النقيضين ، ويسخر فنه لخدمة المسيحية والوثنية فى آن واحد ، أو « يزوجهما » على حد تعبيره ، ويوحد بين قداسة الجمال وجمال القداسة !.. وقد أسبغ عليه هذا التوفيق سكينة نفسية ، وصار المبدأ المسيطر على جميع آياته وروائعه فى مستقبل حياته ..

فى تلك الاثناء مات « لورنزو » حاكم المدينة ، وراعى الفن والفنانين - وفى مقدمتهم انجيلو - فتلت ذلك فترة اضطراب سياسى ، إذ استطاع « سافونا رولا » أن يؤلب الجمهور ضد طيش واستهتار «بييرو دى مديتشى» ابن لورنزو . ولم تلبث جيوش شارل ملك فرنسا أن زحفت فى اتجاه المدينة .. وقام نفر من المتعصبين للدين باتلاف الكثير من الصور والتماثيل الجميلة فى مختلف أنحاء فلورنسا .. فتراكم فى الشوارع حطام كنوز الفن المدخرة طيلة قرون ! .. وأمام هذه العاصفة ، اضطر الشاب الى أن يفر من المدينة !

الغيرة والحسد .. يطاردانه !

◆ ولجأ أول مالجأ الى بلدة (بولونيا) ، حيث عهد اليه المشرفون على كنيستها بصنع تمثال على صورة « ملاك » يمثل الوحدة بين العالم القديم والعالم الجديد .. ولكن ، مرة أخرى، طاردت انجيلو قوى الحسد والغيرة من جانب زملائه الفنانين ذوى النفسيات الوضيعة ، الذين رأوا فيه منافسا متفوقا يخشى خطره .. فاضطر الشاب تحت ضغط هذه المطاردة الفنية أن يهجر بولونيا ويعود الى فلورنسا . لكنه لم يمكث فى مسقط رأسه غير فترة قصيرة ، شد بعدها رحاله قاصدا

الى روما ، كى يبحث فيهـــا عن حظه الضائع ٠ ولم يـكن قد جاوز الواحدة والعشرين حين وضع قدمه فى مدينة الفاتيكان ذات الماضى العريق ٠

لـكن حراس الايمان وسدنة الدين كانوا قد خانوا رسالتهم، فحين وصل ميكيل انجيلو ـ سنة ١٤٩٦ ـ وجد روما مدينــة للهو ، والموسيقى ، والجريمة !٠٠ للعلم ، والجمال ، والفساد ! ٠٠للرقص ، والوليمة ، والشعر ، والسم ! ٠٠ للمعابد البديعة، وزنزانات السجون الـكريهة !٠٠ للتدين فى بيوت الفقراء ، والشهوة فى بيوت الأغنياء !

٠٠ ومن ثم عاش « انجيلو » عامين أشبه بالغريب عن هذا الوسط ، أو النغم الناشز عن الدنيا كلها ! ٠٠ كان لسان حاله يقول : « ليس لى أصدقاء ٠٠ ولست بحاجة الى أصدقاء٠٠ ولن يكون لى أصدقاء ! »

لكنه بعد انقضاء العامين لمس اعترافا بفنه ، حتى فى مدينة الانانية المتوحشة والتنـــافس الذى لا يرحم ، واشترك فى مسابقة لصنع تمثال للمسيح والعذراء كى يوضع فى كنيســة القديس بطرس ، فكتب فى مواصفات المشروع : « سوف يكون التمثال أروع مما يستطيع أن يصنع أى فنان معاصر ! »

وكان هو الرابح فى المناقصة ، فأسندت اليه المهمة ، وصنع التمثال ٠٠ وهرع أهل روما لمشـــاهدته ، فرأوا المسيح الميت راقدا فى حجر امرأة رائعةالجمال ، تصغره فى السن بكثير !٠٠ وأعجب النظارة بالعمل الفنى ، لكنهم دهشوا وسألوا المثال الشاب : لماذا جعل الأم أصغر سنا من الابن ؟ ٠٠ فأجابهـم انجيلو : « ألا تعلمون أن أية امرأة طاهرة تحتفظ بشبابها أعواما طويلة ، اكثر من سواها ؟ فكم بالاحرى تحتفظ بشبابها العذراء مريم ، آلتى لم تستسلم يوما لشهوات البشر ، المحللة والمحرمة على السواء ؟ ! »

التمثال ٠٠ « العملاق » !

◆ وقد ظل انجيلو طيلة حياته يرسم وينحت الصور والتماثيل لا وفقا لمعتقدات العصر ، بل وفقا لفلسفته الخاصة ٠ وكان من أوائل الفنانين المحدثين الذين طبقوا علم النفس فى الفن ! ٠٠ وحين فرغ من ذلك التمثال استسلم لاول مرة لرذيلة الغرور ، فقضى ليلة منفردا بالتمثال داخل الكنيسة ، فى غير حضور أحد ، يحفر اسمه ومسقط رأسه على قاعدة هذا العمل الفنى العظيم٠وكانت المرة الاولى والاخيرة التى وقع فيها باسمه على عمل فنى من صنعه ! ٠٠ فمثل الاشجار والجبال التى تحمل طابع الطبيعة ، كانت تحف ميكيل انجيلو وآياته فى غنى عن أن يكتب عليها اسم خالقها !

وفى سن السادسة والعشرين عاد انجيلو الى فلورنسا ٠٠ وأثناء مروره بفناء الكاتدرائية الكبرى فيها رأى كتلة ضخمة من المرمر مهملة فى مكانها منذ ست واربعين سنة ! ٠٠ فعرض على أولى الشأن أن يتيحوا له الفرصة كى يصنع منها شيئا جميلا ٠ وقبل عرضه ، فبدأ العمل فيها يوم ٢ اغسطس سنة ١٥٠٢ ٠٠ وفى يناير سنة ١٥٠٤ كان تمثال الملك « داود » الضخم الشهير قد تم !

وأطلق الناس على التمثال : « العملاق » ! ٠٠ وبلغ من شهرته أن صار الايطاليون عامة يؤرخون الاحداث الهامة تبعا له فيقولون : « فى السنة التى أقيم فيها العملاق »٠٠ومن يزور اكاديمية فلورنسا للفنون الجميلة اليوم يرى فيها هذا التمثال قائما جبارا ، بجسمه القوى الرياضى ، ورأسه الصغير ، وخصره النحيل ، وذراعيه النحيلتين ، ويديه القويتين اللتين تبرز أوردتهما الدموية للعيان ٠٠ وبيده اليسرى يتناول « المقلاع » من على كتفه ٠٠ وفى يده اليمنى يمسك بالحجر متأهبا لاطلاقه على عدوه الجبار « جوليات » ! ٠٠ على أن اجمل ما فى التمثال هو

وجهه ، الذى ترتسم فيه سمات الرجولة الكاملة ، والعـــزم الراسخ ، والاحتقار للاعداء ٠٠ التى كانت ســمات انجيلو نفسه ، فقدكانت لكل من « فنانفلورنسا » و « منشد المزامير » نفسية واحدة : نفسية الفنان والمحارب فى آن واحد !

وأعادت شهرة « العمــلاق » صانعه الى روما ، حيث كان البابا الجديد « يوليوس الثانى » مشوقا الى أن يخلد ذكراه بقبر لم يشهد العالم له مثيلا ! ومن يصنع له هذا القبر العظيم غير انجيلو ؟ ٠٠ وهكذا استعان به على تحقيق حلمه ، فأعد الاثنــان تصميما للقبر الفاخر يتكون من أربعين حارسا ـ بحجم الانسان الطبيعى ـ يحيطون بجثمان البابا ، وكلهم يمثلون أعظم قديسى الماضى وأبطاله وأنبيائه

وسأل البابا انجيلو : « كم يتــكلف هذا التمثال ؟ » ٠٠ فأجاب الفنان ، مغاليا فى التقدير : « مائة الف ريال ! » ٠٠ واذ ذاك قال البابا : « وما قولك لو جعلنــاها « مائتى الف ريال ؟ » ٠٠ وقبل أن يفيق انجيلو من ذهوله ، هتف به البابا وهو يصرفه : « لا تقف هكذا محملقا أيها الشاب ٠٠ اذهــب لتبدأ العمل ! »

٠٠ والوشاية تتعقبه !

◆ **وسافر** انجيلو الى (كارارا) حيث انتقى عشرات الاطنان من الرخام الفاخر ٠ ولم تكد هذه الجبال المرمرية تصل الى فناء كنيسة القديس بطرس حتى بدأ انجيلو العمل فى صوغهــا وبعث الحياة فى مادتها الحجرية ٠ ولــكن ، هنا تدخل الحسد والغيرة لعرقلة جهود الفنان النــاجح ، فسرعان ما بدأ البابا يتراخى فى امداد انجيلو بالمال المتفق عليه ! وظهر أن منافسا له يدعى « برامانت » ادخل فى روع البابا أن اقامة القبر اثناء حياة صاحبه فال سيىء ، واقترح المتحدث أن يتولى هو تصميم

العمل الجديد فيعيد بناء كنيسة القديس بطرس بحيث تصبح تحفة للاجيال !

واقتنع البابا بكلام الواشى .. فلما ذهب انجيلو ليقبض قدرا من المال ، طلب منه الحراس أن يعود فى الغد .. ولبثوا يكررون له الوعود الباطلة ويحولون بينه وبين مقابلة البابا - بأمر من البابا ! - يوما بعد يوم ! .. حتى جابهه أحدهم مرة بقوله : « لدى أمر بمنعك من الدخول ! » .. فاستشاط انجيلو غضبا وصاح بمحدثه : « اذن قل للبابا انه اذا ارادنى فى المستقبل فليحضر بنفسه الى ! »

وكانت نتيجة ذلك انه اضطر الى الفرار من روما .. فعاد الى فلورنسا بقلب يثقله المزيد من سوء الظن بالانسانية . أحس انجيلو الآن ان العالم بأسره يقف ضده ! صار يحكم اغلاق مرسمه خشية أن يتسلل اليه أحد منافسيه فيسرق أفكاره ومشروعاته .. وبلغ من ارتيابه فى مقاصد الناس أن صار يرتاب فى نية خياطه اذا وجد فى سترته عيبا ما ، فيخيل اليه ان الرجل قد فعلها متعمدا بغية اغاظته ! .. وكلما جرح شخص احساسه كان ينطوى على نفسه فيعتصم بكبريائه ويأبى ان يدع أحدا يقترب منه !

واستدعاه البابا مرارا وتكرارا ، لكنه رفض الذهاب ! .. فأرسل اليه من يبلغه أن البابا « يتوسل اليه » أن يذهب ! .. وفى هذه المرة قبل انجيلو أن يذهب لمقابلته ، ولكن على أن

يلتقيا فى منتصف الطريق ٠٠ فى بولونيا وليس فى روما !

وقال له البابا : « انك رجل غريب ٠٠ بدلا من ان تحضر الينا انتظرت حتى جئنا اليك ! »

ـ ان قداستك قد اسأت الى أكبر الاساءة

ـ لكنى سأمحوها ٠٠ أعدك بذلك

ووضع يده على رأس الفنان الراكع عند قدميه ٠٠ وباركه !

لكن البابا كان مايزال متشائما من فكرة اعداد قبره أثناء حياته ، فنبذها وكلف انجيلو بمهمة أخرى بدلا منها : أن يرسم سقف كنيسة (سستين) بمقر الفاتيكان ٠٠ فأدى انجيلو المهمة كأروع مايكون الاداء ٠ قضى أربع سنوات راقدا على ظهره طيلة النهار فوق محفة خشبية يرسم ويلون ! ٠٠ وبلغ من اعتياد عينيه وعضلات بصره لهذا الوضع أن ظل بعد ذلك شهورا عاجزا عن القراءة ما لم يضع الخطاب او الكتاب الذى يبغى قراءته فوق رأسه ويرفع بصره اليه من أسفل !

الأنامل الخالقة !

◆ **وحين** أتم انجيلو رسم السقف الذى يحوى صور اثنى عشر رسولا وقديسا ، ذهب البابا ليتفرج عليه ٠٠ فلاحظ أن ثياب الرسل الذين رسمت صورهم أولا قد حليت بالذهب والتطريز ، بينما حذف ذلك من ثياب الباقين ٠ وحين سأل انجيلو عن السبب أجاب بقوله : « فى عصر هؤلاء الآخرين كان الناس فقراء

وأمناء ، يملكون الايمان لكنهم لا يملكون الذهب ! »
ولئن كان قد قيل فى وصف شكسبير : « ان الله قد ضاعف الخليقة حين خلق شكسبير ! » .. فان هذا القول يصح أيضا فى وصف ميكيل انجيلو ، فان سقف كنيسة « سستين » انما هو الخليقة خلقت من جديد ! .. كيف لا وقد صور فيها انجيلو مراحل خلق الدنيا ، مرحلة بعد مرحلة : ففى البداية نرى ظلاما ووحشة رهيبة .. ثم تأتى اللحظة السابقة لمولد العالم ، وهى لحظة حافلة بعوامل الترقب والانتظار .. ثم نرى سحبا من الملائكة .. ثم يفصل الرسام النور عن الظلمة .. ثم يصور الشمس والقمر .. ويفصل الماء عن الارض . ويبعث الحياة فى آدم بلمسة من اصبعه .. ويصوغ حواء من ضلع آدم .. ويضع أمامها أشجار الحديقة والفاكهة المحرمة .. ثم يرسل ملاكا ليطرد آدم وحواء من الجنة بسيفه الذى يشع منه اللهب .. ويرسل طوفان غضبه على البشر الخطاة .. وحول هذه الصورة الوسطى للخليقة والدمار يجلس الانبياء والرسل والحواريون ينظرون ، ويفكرون ، ويؤملون ، ويصلون .. وقد انهمك كل فى رسالة خاصة ، غايتها الوساطة بين الله والانسانية

ومات البابا يوليوس الثانى ، فطالب ورثته ميكيل انجيلو باتمام القبر الذى كان قد شرع فى انشائه أثناء حياته .. ورغم ان تلك الايام كانت حافلة بالحروب والاوبئة التى تجتاح ايطاليا ـ بحيث كانت الابنية تدمر ، والصور تحرق والتماثيل البرونزية (ومنها بعض تماثيل انجيلو نفسه) تصهر فى فوهات المدافع ! ـ فان الفنان مضى فى عمله ، غير آبه بهذه المثبطات !.. وتتابع البابوات ، فانتخب كل منهم ، وحكم، ثم مات ، والفنان ماض فى مهمته !.. وتواترت عليه الامراض، وخيبة الامل ، ودسائس الاعداء ، وأنامله التى بدعها الله كى تخلق الجمال ماضية فى عملها الملهم !

واتهمه حساده بالكسل ، والانانية ، بل وعدم الامانة ، فزعموا أنه قد ارتشى من أصحاب محاجر (كارارا) كى يمون القبر برخامهم دون غيره من أنواع الرخام !٠٠

ورغم أن التهم كانت ملفقة ، فقد أصغى اليها الرؤساء فأجبروا انجيلو على استخدام نوع آخر من الرخام يقل عن الاول فى الجودة ٠٠ ومع ذلك فانه مضى فى مهمته ، شاكيا مرارة نفسه للمرمر الاخرس ، وهو ينطقه بأفصح بيان !

وهو يعطينا صورة دقيقة لشخصه فى تلك الآونة ـ وكان فى السابعة والاربعين من عمره ـ فيصف صورته بهذه العبارات : شعر قصير مجعد ، وجبين غضنته الآلام ، وعينان مفكرتان نافذتان ـ لكنهما ذاهلتان ـ وشفتان ضيقتان مضغوطتان ، فى حزم وتحد ٠٠ ولحية قصيرة سوداء ٠٠ والوجه كله يسيطر عليه الانف العريض « الأفطس » المكسور ٠٠ وهى قسمات رجل عرف الحزن ، والتمرد ، والسخرية ، والجمال ، والعناد ، والاستسلام ٠٠ قسمات شخص خرافى وقديس !

٢٣ سنة ٠٠ فى نحت ضريح !

◆ **وأنفق** فى صنع ذلك الضريح ثلاثة وعشرين عاما !٠٠ أودى الطاعون خلالها بأخيه ، وكاد يودى به هو ٠٠ ولكن حتى فى تلك الظروف « المستحيلة » أفلح الفنان فى أن يفجر النار من الرخام !٠٠ واخيرا ـ فى سن السبعين ـ فرغ من مهمته ٠ وكان واحد من حراس القبر الاربعين يرمز الى شخص « موسى » ، وقد جاء تمثاله أسمى صورة لفن النحت الحديث ، فان نصف التمثال على شكل اله ، ونصفه على شكل انسان ـ رمزا للوثنية والمسيحية ـ وفى جبهته الضيقة قرنان ٠ وهو يصور موسى جالسا وقد تدلت لحيته الطويلة حتى ركبتيه ، وامتدت ذراعاه العاريتان الى جانبيه ، وأمسك بيمينه القوية

حجر الشريعة . أما حركة قدميه فتنم عن التاهب للنهوض لمخاطبة شعبه المتمرد بقوة ، واعلانهم بأوامره ووصاياه .. وفى عينيه الحادتين تهديد ووعيد ، وفى شفته السفلى غضب ولانذار .. وبالاختصار فهو يرمز الى النبى الرهيب المرسل من قبل اله غاضب ، كما يرمز الى الادانة الصارمة الصادرة من الانسان الاسمى على البشر الحمقى المتوحشين !

وفى تلك الحقبة كان ميكيل انجيلو نفسه ـ مثل موسى ـ يدين البشرية فى أعماقه ، دينونة أظهرها فى فنه حين عاد الى جدران كنيسة (سستين) فرسم عليها لوحات تكميلية تمثل « يوم الدينونة الاخير » .. وقد جاءت اجساد اكثر المخلوقات فى رسمه عارية من الثياب ، فعلق كردينال من رجال الدين على ذلك بقوله : « ان هذه اللوحة تصلح لحانة ، وليس لكنيسة ! » .. وحين طلب البابا من انجيلو أن يكسو أجساد العرايا أجابه الفنان فى حدة : « فليعن صاحب القداسة بأرواح رعاياه ، ويدعنى أنا أعنى بأجسادهم ! »

واللوحة تمثل حشدا كبيرا من البشر يحيطون بالمسيح ، وقد بدا فى هذه المرة كآله للانتقام وليس الها للحب !.. لقد جاء يوما ليهدى العالم الى طريق الخير ، فنبذه العالم . واليوم يأتى مرة أخرى ولكن ليدين العالم ، وفى دينونته الآن لا أثر لشفقة ولا رحمة وانما عدل صارم ، وجلال مهيب ، وقوة طاغية .. والعذراء تقف خلفه حزينة عاجزة ، تغض بصرها عن ابنها وهو يسوق الجماهير المذعورة الى مقرهم الاخير ليلقوا جزاءهم : أكثرهم الى أسفل ، حيث الجحيم .. وحفنة ضئيلة منهم الى أعلى حيث النعيم !.. وهكذا تصور اللوحة الصراع الابدى بين جهنم والفردوس ، وتلخص تاريخ الجنس البشرى فى صور ترمز لمصير الانسان ..

غرامه الاوحد !

◆ فرغ انجيلو من لوحة يوم القيامة فى ليلة عيد الميلاد من

عام ١٥٤١ ٠٠ وكان قد بلغ غايته من الثراء والشهرة ، وبات موضع حسد جميع فنانى العالم ،لكنه كان أبعد النـاس عن السعادة ، وأقرب الى الشقاء منه فى أية فترة مضت !٠٠ فانه كان قد دفع ضريبة طول العمـر : فقد أصدقاءه واحدا بعـد واحد ، ومنهم ثلاثة فقدهم فى فترة قصيرة : أحدهم فتى فى الخامسة عشرة ، فنان يافع كان انجيلو المحروم من النسـل قد أحبه بحنـان الاب !٠٠ وثانيهـم عـم ذلك الفتى وكان من أخلص المعجبين بأنجيلو والمتحمسـين لفنـه ٠ وثالثـهم ، أو بالاحرى ثالثتهم واخطرهم أثرا فى فجيعة الفنان ، امرأة ذكية جميلة تدعى « فيتوريا كولونا » ، **كانت هى المرأة الوحيدة التى أظهرت نحو انجيلو أكثر من مجرد الاعجاب ، فتبادلا ــ طيـلة أعوام ــ عواطفهما المكبوتة فى باقة من الخطابات والقصائد التى تعد اليوم من أعظم كنوز الادب الايطالى !٠٠ فلما انتزع الموت فجأة حلم انجيلو الوحيد الذى مناه بالحب ، وقف المفجـوع بجانب جسد المرأة التى عبدها ــ دون أن يحتضنها قط ! ــ فتناول يدها الباردة وقبلها ٠ وقد صرح فيما بعد لأحد خلصائه بقوله : « لاشىء يمضنى ويحزننى أكثر من أنى ــ حتى وهى على فراش الموت ــ لم أجرؤ الا على أن أقبل يدها ، دون شفتيها ! »**

وبموتها حرم الفنان العظيم من فرصته الوحيدة والأخـيرة للسعادة الدنيوية ٠٠ وعلى أثر تلك الفجيعة انهـارت صحته فرقد مريضا اسابيع ، يتأرجح بين الحياة والموت !

لكنه أبل من مرضه ، فان رسالته لم تكن قد تمت ٠كان عليه أن يتحف العالم بآية أخرى من آيات فنه ، يعتبرها البعض أعظم آياته على الاطلاق !٠٠ كان فى الثالثة والسبعين حين سأله البابا أن يضع تصميم قبة جديدة لكنيسة القديس بطرس ، فرفض معتذرا بتقدمه فى السن وعجزه عن الاضطلاع بمهمة طويلة مثل هذه ٠ لكنه قبل أخيرا تحت ضغط الحاح البابا ورجائه ٠ولم يكن

يأمل أكثر من أن يستطيع العمل فى المشروع الجديد أشهرا معدودة ٠٠ لكن البابا الذى كلفه بتلك المهمة مات ، ومات بعده أربعة بابوات خلفوه ، والفنان الشيخ ما يزال على قيد الحياة ، ماض فى عمله !٠٠ حتى أتمه بعد ستة عشر عاما ، لم تفارقه خلالها قواه الجسمية أو العقلية ٠٠ وأخيرا ـ فى سن التاسعة والثمانين ـ استراح من عمله فى ذلك الصرح الفنى الرائع

لكنه لم يسترح الا لكى يبدأ عملا جديدا ، فقد قضى الاشهر الاخيرة من حياته يضع تصميم أربعة تماثيل لقبره هو ، وينحتها بيديه ٠٠ وفى يوم ١٢ فبراير سنة ١٥٦٤ وقف على قدميه طيلة اليوم ينحت الرخام بأزميله ٠٠ وبعد يومين خرج على ظهر جواده أثناء انهمار الامطار ٠٠ وبعد أربعة أيام أخرى ، لفظ نفسه الاخير ٠٠ وهو محتفظ بوعيه الكامل !٠٠ وفى لحظاته الاخيرة أعرب لقسيسه عن أسفه ، لا على انتهاء حياته فى ذاتها ، وانما على أنه يموت وهو لم يكد يصل الى مرحلة اتقان فنه !

بنك مصر
اسس شركاته الكبرى التى وطف بها خصائص البلاد
واستغل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية
وتفوق العقل المصرى فى مضمار الحياة العملية

اقرأ .. فى العدد القادم من

مطبوعات كتابى

الذى يصدر يوم ١٣ ديسمبر
الحالى

أعظم درتين من درر
المسرح اليونانى القديم

أوديب .. ملكا
أوديب فى «كولونا»

للأديب الخالد «سوفوكليس»
مع درة المسرح الفرنسى الحديث

أوديب

للأديب الكبير اندريه جيد
ترجم المآسى الثلاث وصدرها بمقدمة طويلة رائعة

الدكتور طه حسين

وتقرأها جميعا فى كتاب واحد ، فى عدد
١٣ ديسمبر الحالى من

مطبوعات كتابى

الثمن ١٠ قروش فقط ـ احجز نسختك من الآن

سوفوكليس

حوافز الحياة

النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الآتية على التوالى : ((كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية)) ثم ((طريق السعادة الزوجية)) و ((مركب النقص)) و ((حواء الجديدة)) و ((كيف تقهر الخجل)) و ((كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة))

ثم قدمت لك بعد ذلك من ((فنون الحياة)) التى شرحها المفكر العالمى ((اندريه موروا)) : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرات معى فى هذا الباب فصول كتاب ((غزو السعادة)) لبرتراند رسل فكتاب فرويد المشهور ((التحليل النفسى))

ثم ((الجنس الآخر)) ، و ((عش حياة ايجابية)) ، و ((ابواب الحب المغلقة)) ، و ((فن الحب)) ، للشاعر الرومانى اوفيد .. ثم ((الانتصار على الخوف)) ، للاخصائى المعروف ((جيمس بندر)) .. و ((عش بحكمة تعش سليما)) للاخصائى الالمانى ((برنارد ديتمار)) ثم : ((كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة)) لويلفريد نورثفيلد .. و ((كيف تفسر احلامك)) لهربرت هيسبرو .. و ((كن متفائلا)) .. ثم ((تاريخ الغزل)) .. و ((كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة)) .. و ((اتح لعقلك حياة جديدة)) ، ثم الجزء الاول من ((دنيا الحب والسعادة)) ... واليوم اقدم لك الجزء الثانى من هذا الكتاب

دنيا الحب .. والسعادة!

للكاتب الألمانى الأشهر "اميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادى

مع « لودفيج » .. فى ركب الحب !

◆ قدمت لك فى العدد الماضي من « كتابى » الفصول الأولى من كتاب المفكر الألمانى الأشهر « اميل لودفيج » : « دنيا الحب .. والسعادة » ، ورايت معى كيف يقع الانسان فى الحب - طبقا لمنطق المؤلف - وكيف تبدأ قصص الغرام بمعركة او صراع بين جسدين - وان يكن صراعا من نوع خاص - اذ تنتهى المعركة بين الحبيبين بانتصارهما كليهما ، لا بانهزام احدهما وانتصار الآخر ، كما فى سائر المعارك

وبعد أن اشار « لودفيج » فى تلك الفصول الى ان شرارة الحب قد تتولد من مجرد التقاء الأعين ، ارشدنا الى سحر المراة واين يكمن ، وشرح لنا دور الشك فى احياء الغرام ، واثر القبلة الأولى والزيارة الأولى فى الهاب جذوته !

والآن تعال نقرا معا الفصول التالية من هذا الكتاب الممتع .. (وقد حرصت فيها على استعمال لفظ « الزوجين » مكان لفظ « الحبيبين » فى مواضع البحث الجنسى ، بحكم اختلاف مدى الحرية الجنسية والتقاليد بين بلادنا .. وبلد المؤلف !)

هل تصبح المرأة هى البادئة باعلان الحب ؟

◆ **أما** ان الرجل ينبغى له أن يتخذ دور البطل فى لعبة الحب ويكون هو البادىء المجترىء ، فهذا هو الوضع الذى ارتضاه الأزل - وويل لجيل يقلب الأوضاع ! - فلا المرأة المسترجلة ، ولا المرأة العبقرية بقادرة أبدا على أن تكون البادئة بالمصارحة ، بل ينبغى أن يبدأ الرجل كل شىء .. وليثق من أن المرأة قد دبرت من ناحيتها فى الواقع كل مايخصها ، وتذرعت بكل ما يجعلها مرغوبة منه ، مشتهاة .. فكما أنه قد انتقى رباط عنقه ، وتحرى أن يعجبها ويسرها ، كذلك هى قد انتقت عطرها ، وأسباب زينتها ، وهذا الثوب المحبوك ، حتى لو كانت تثق سلفا أن فارسها واقع لامحالة فى أسرها !

.. وبمرور الايام نراهما يختبران أحدهما الآخر بوساطة ثالث ، وفي وجود رابع وخامس .. فالرجل يقارنها وهو يرقبها عن كثب بامرأة أخرى تدلف الآن من الباب ، ويرقص قلبه طربا عندما ينتهى من هذه المقارنة الى انها أجمل من الأخرى وأكثر جاذبية !.. وهى بدورها تقارن بينه وبين زوج صديقتها .. وانها لترتعد لما يحتمل أن يجيب به عن سؤال وجه اليه الآن .. ثم يصفق قلبها له استحسانا وتهنىء نفسها على حسن أختيارها عندما تراه يأسر مستمعيه بطلاوة حديثه ، وخفة روحه ، ويسبيهم بحسن استماعه وجميل صبره .. فاذا ما انصرف القوم عن الرفيقين انتهى ذلك « السباق الخفى » ، وغمرتهما معا نشوة الفوز والانتصار !

وعندما يدعوها الى « السينما » أو لتناول الطعام فى يوم صحو مشرق ، ثم ينادى بعد ذلك عربة كى تقلهما ، ترى جانبا كبيرا من القلق والاضطراب قد شاع فى نفسيهما .. فقد اقتربت الساعة التى ستسقط يدها فيها ، دون شك ، بين يديه !.. وعند هذه الاشارة الأولى ، التى ربما تأخرت قليلا وسبقتها لمسة خفيفة من الساقين ، يبدأ غزو الجسد !.. وهنا ، قد يكونان تناقشا من قبل فى أخطر الأفكار ، وعرضا اجرأ الآراء ، ولكن اللمسة الأولى لليد تسرى فيهما مسرى الانذار ، وتنتقل المرأة الى ما يشبه الغيبوبة .. فلا تعود فى تلك اللحظة تحس شيئا ما يتصل بالروح ، ولو أن ساعات وربما أشهرا قد تمر قبل أن يتم الغزو المنتظر !

غير أن هذا الاتصال الأول لليدين فى العربة - حتى ولو كانت المرأة تتوقعه - يعنى قرارا حاسما قاطعا ، وينتظم كل ما تنطوى عليه الظروف المقبلة !.. فليس هناك مايمكن أن

يدانى هذه الاشارة الأولى فى كل ما يحدث بين الزوجين !٠٠ وما أحس الرجل من قبل مثل هذا الاحساس عندما قبل يدها بعد أن تعرف بها ، فان لمسة من قفازها الآن تعنى تسليما له ، وتبث الاضطراب فى كليهما !

الحب الجنسى صورة من صور القتل !

◆ **وان** « غزو » الرجل للمرأة التى اختارها ، وبعده مع ذلك عن البدائية والهمجية ، وتبديده الظلمات التى تكتنف علاقتهما أحدهما بالآخر ، لهى مهمة تحتاج من الجرأة والاقدام الى قدر كبير ٠٠ فان أصح الابدان وأقواها تخشى العرى بقدر ماترغب فيه ! فحافز المرء القوى الى امتلاك الشخص الآخر ، ورغبته الجامحة ، لا يمكن أن تتأتى الا فى وقت من أوقات الذهول الذى يشبه ذهول المخدور أو المجنون !

وهؤلاء الذين بعد أن فرغوا من الاختيار ، ومن الخطوات التمهيدية جميعا ، قد ضربوا الساعة الثالثة بعد الظهر مثلا موعدا للقاء « جنسى » ، انما هم الاشخاص القليلو الحظ من المعرفة ، الضئيلو النصيب من الخبرة ، والا لما انتهوا بعد أن بلغوا سن الرشد والنضوج الى مثل هذا القرار !٠٠ فان مساء صاخبا ، حافلا بالرقص والمرح ، يسعه فى هذا المجال أن يؤتى تأثيره على شخصين لم يقر قرارهما بعد ، وأن يقربهما أحدهما الى الآخر ، حتى يصبح تسليمهما محتوما ليس منه مناص ! فما زال هذا الثالوث الازلى ــ الرقص ، والخمر ، والموسيقى ــ الى يومنا هذا ، هو القائد المحنك فى معركة الحب ٠٠ ولعل هذا هو السر فى أن الرجال الذين يهابون الخمر ولا يقربونها لا يعرفون من الحب الا قطرة من بحر ، كما أن النساء اللواتى ينفرن من الخمر قد يتزوجن

وينجبن أطفالا ، ولكن لا يسعهن قط أن يزعمن أنهن عرفن الحب المطلق •• والذى يحدث فى الساعة الاولى للتسليم انما هو الجنون ! – (ولعل الحب هو الصورة الأزلية الباقية من قتل الأخ لأخيه منذ العصور المظلمة !) – فهنـالك تنقلب كافة الاوضاع التى تنظم حياتنا : فبدلا من أن يغطى الرجل جسده حتى فى مواجهة رجل مثله ، وبدلا من أن تأخذ المرأة حذرها كلما أوغل الليـل ، اذا بالشىء الذى لا يصـدق يحدث ••• اذا بالرجل والمرأة يتجردان احدهما فى مواجهة الآخر ، ويخليان سبيل الحيطة والحذر •• واذا بالمحب ينعم النظر متعجبا مأخوذا فى عينى حبيبه ، يحـاول أن يستشف ما تحجبان ، واذا بفترات السكون الواجمة الساهمة تتملكه وتسيطر عليه •• تلك الفترات التى صورها « فاجنر » فى مقطوعته « ترستان» • وهنـا تتجلى أواصر القربى المتينة بين الموسيقى والحب : فهنـا فقط تحفز العواطف المهتاجة الثائرة المرء رغما عنـه ، الى تحقيق كل مطلب تفرضه عليه هذه العواطف • **والواقع أن فرعين اثنين فقط من دوحة الفن هما اللذان يمثلان الحب ويماثلانه بصورة مباشرة: الرسم ، بمايخلق من أجساد بديعة متناسقة ، والموسيقى بما تخلق من نغمات تتجاوب مع عواطف البشر • أما الشعر فليس بقادر على أن يصل الى مرتبة هذين الفنين الكاملين اللذين جمعا الناحية الحسية وما وراء الناحية الحسية من عواطف البشر•• وأروع الشعر قد يقارب الموسيقى ، لكنه لن يقارب قط ما وسع « ليوناردو » أن يحمله لوحاته المرسومة من معانى الحب !••**

أما القصص والمآسى فهذه تعالج دائما مشكلات اصطدام الحب بالمجتمع ، أو اصطدامه بمشكلة الطبقات ، أو بما يشبه هذه المشكلات مما لاصلة له البتة بعناصر الحب الأساسية •• فالمعركة التى تدور رحاها بين طبيعتين ، تمهيدا لاتحادهما ، قلما يصورها شاعر أو أديب ، بمثل القوة التى يصورها بها

موسيقى أو رسام ٠٠ فما استطاع شاعر أبداً أن يصل من « القرار السحيق » لعواطف الحب الى ذلك المدى الذى وصل اليه « كارمن » و « اسكاميلو » فى أوبرا « كارمن » عندما سكبا روحيهما سكبا !

وتكون « صدمة » التسليم الاول شاملة ، فلا ينقذ الرجل منها الا ابتسامة المرأة ، ولا ينتشل المرأة مما أحاط بها من خوف الا احساسها بحماية الرجل ، فان أحداً منهما قد لايكون جرب مثل هذا التقارب الشديد حتى مع أكثر خلانه ألفة والتصاقا به !٠٠ وهناك تبدأ الساعة ، بل تبدأ ساعات يأخذ فيها كل منهما فى « دراسة » صاحبه بعين لا تكل ولا تمل ، ولفرط دهشتهما يلتقى كل منهما بصورته مرتسمة فى عينى صاحبه ٠٠ وتنقلب المعجزة الى ضرب من السحر عندما تلتقى عين عسلية بعين فى مثل زرقة السماء ، أو عين فى مثل سواد الليل بعين فى مثل صفاء النهار ، فاذا بالنشوة تأخذ الحبيبين ، والسحر يلفهما فى سكونه العجيب ٠٠ فينظران ، ويقارنان ، ويبتسمان ، ثم اذا بهما لم يعد لهما بالجسد احساس ، ولم تبق فيهما الا روح نشوى !

٠٠ وحين يصحو كل منهما فى الصباح ، فلا يجد نفسه وحيدا فى فراشه ، يبدأ أروع عهد فى حياته ، بحيث لا يعدل ذلك الصباح شىء آخر فى الوجود !٠

أى الجنسين أكثر استمتاعا : الرجل أم المرأة ؟

◆ **وهنا** أيضا ، وفى هذه المرحلة ، تكون للخلوة الثانية بين الزوجين الحبيبين أهمية قصوى ! فكما أن الجائع لا تشبع نهمه أكلة واحدة لذيذة فاخرة ، كذلك الزوجان ينبغى لهما أن يتعرفا أحدهما على جسد الآخر فى تمهل وأناة . وكما أن الطبيعتين المتماثلتين تختاران احداهما الأخرى من أول نظرة ، الا أنهما تزدادان خبرة من خلال تكرار التقائهما ومحادثاتهما ، فكذلك الحب الجنسى يحتاج الى أكثر من اتصال واحد لكى يشفى غليله . **وانه لمن الصعوبة بمكان أن يكشف المحبان النقاب عن أعمق أسرار السعادة فى الحب ، من المرة الاولى ، مثلما يصعب على عازف البيانو أو الكمان أن يصيب نجاحا كاملا من أول تجربة !.. وهنا وفى هذا الوضع بالذات قد ينتهى كثير من زيجات الحب الى مأساة ! .. فحتى ذلك الوقت يكون كل منهما قد بذل جهده كى يظهر للآخر فى أحسن مظاهره : رقيقا ، رحيما ، منكرا لذاته .. وهما قد كانا كذلك حقا .. لكن افرازات غددهما قد زادت وضخمت من رغباتهما ، وحدت بكل منهما الى التلهف على امتلاك الآخر !**

وهاهما عينا الزوجة بعد أن كانتا تنظران الى رجلها فى جرأة أو فى غموض ، قد أصبحتا الآن تنظران اليه فى استكانة وخضوع . وهذه اللحظة هى أشد اللحظات خطرا ، فعليها تتوقف النتيجة الحاسمة : فاما أن تصل رغبتها الى مداها ، وعندئذ تمتد عاطفة الحب الى ماشاء الله .. واما أن تقفل هذه الرغبة راجعة ، فتطويها عجلة الحياة اليومية التى تدور فى سأم وملال !

أما المثل اللاتينى القديم القائل بأن كل الناس ينتهون الى الهم والكآبة بعد الاتصال الجنسى الأول ، فهو مثل يصدق فى تسعة وتسعين فى المائة من الحالات ، ولكن الحالة الواحدة الباقية هى التى يسعها ان تقص عليك قصة السعادة الحقة!..

وغالبا ما يكون الرجل هو الذى يخيب ظن المرأة أو يصدمها فى أحلامها ، فقلما تخيب امرأة ظن الرجل أو تصدمه ، الا ان تكون بغيا أوقعته فى حبائلها دون أن يدرى !

فالزوجان اللذان يفترقان توا احدهما عن الآخر بعد ذاك الاتصال الأول هما اللذان يفقدان الحب ، فافتراقهما سريعا يعنى أنهما يفترقان أبدا !.. أما هذان اللذان ينظران احدهما فى عينى الآخر فى سكون ولفترة طويلة بعد ذاك ، فهما اللذان يحسان حقا أنهما أحسنا الاختيار ، فاذا بهما يحلقان معا فى جوزاء السعادة ..

وانه لتساؤل عقيم لا محل له أن نتساءل : أى الاثنين — الرجل أم المرأة — ينال حظا أكبر من الاستمتاع؟.. فهنا — كما هى الحال فى السعادة — ليس ثمة سبيل مرسوم يفضى الى السعادة ، وانما تتوقف السعادة على طبيعة الباحث عنها ، الساعى وراءها . وأما ما قاله « بياس » الحكيم — (الذى زعم أنه كان امرأة مدى سنين طويلة !) — من أن المرأة تحس من السعادة تسعة أضعاف مايحسه الرجل ، فلا يعدو أن يكون خرافة فاضحة ! صحيح أن هناك نساء تدوى فى أعماقهن صرخات الحب فتثير فيهن شهوة جامحة قد يعجز الرجل عن اطفائها .. وصحيح أيضا أن هناك رجالا يرتمون كأنصاف المجانين فى أحضان أنصاف العذارى ، فتظل هؤلاء باردات البدن ، رافعات الرؤوس كالتماثيل ، بل قد يسخرن فى فلسفة ممجوجة — بينهن وبين أنفسهن — من هؤلاء المحبين الوالهين !.. ولكن مانسميها بالمرأة الباردة — التى يفرح بلقائها أطباء الاعصاب ! — قلما توجد ، كما أنه قل أن يوجد الرجل الذى لا يضحك أبدا !.. وقد توجد النساء « المعقدات » المتكبرات اللواتى لا يبدين جهدا للوصول الى ملاذ الحياة الجنسية ، لكنهن فى قرارتهن يرغبن فى أن يهزمن ويسلمن .. ولو أنه ليس فى « معركة » الحب منتصر ومهزوم !.. كما

أننا قد نلتقى فى ميادين الحياة الأخرى بأشخاص لا يريدون أن يغزوا ولا أن ينتصروا ، وهؤلاء هم المخنثون ، وهم موجودون بين الرجال والنسـاء على السواء !.

٦ ـ المرأة الجميلة لا تندفع فى الحب !

◆ يقول العارفون ببواطن امور الحب ، ان الاستمتاع باكتشاف بدائع الجسد الانسانى لا ينـاله من المحبين الا الاقلون ٠٠ والواقع ان الرياضـة البدنية قد غيرت فى خلال السنوات القليلة الماضية معنى الحب عند الشباب ٠٠ ولكن ، ليت شعرى ، كم زادت الرياضة البدنية من جمال هذا المعنى !

فاختلاط الجنسين فى فصل الصيف وقد تعرت الاجساد الا قليلا ، قد جعل الجمال واجبا وعادة ٠٠ والدراجة ذات المقعدين وقد جلس عليهـا الرفيقـان وانطلقا فى نزهة جميلة ٠٠ والسيارة وقد ركبها الحبيبان وتولت المحبوبة قيادها فى تؤدة ودلال ٠٠ لعمرى لم تعرف الدنيا من قبل مثـل هذه الصور للحب الجنسى ، ولا استمتع الاغريق انفسهم بنظائرها !

غير أن الجمال ليس الا بعضـا من الحب ٠ والحب الذى يكنه الرجـل للجمال وحده لا يدوم طويلا ، بل هو معرض دائما للفترات المظلمة ٠٠ فعندما التقى « جيته » باجمل امراة فى عصره ، انتظر اصدقاؤه على احر من الجمـر كى يسمعوا منه كلمة امتداح أو اطراء ٠

وقد ابدى اعجابه فعلا ، غير انه اردف بعد ذلك يقول : « ان جمال المراة البارع الخلاب غالبا ما يقف كالستر بينها وبـين التسليم ! » ٠٠ والواقع ان الرجـل الذى يحب لا يلحظ فى الحقيقة الجمال ، بل هو يستشعر السحر فحسب ٠ واذا كانت المراة الجميلة تعيش للجمال وحده ـ دون المتعة ـ فان الواجب على حبيبها ان يقصيها عنه كلما اقتضى الامر ، كى يزول عنها توترها ونفورها ٠ ولذلك فان الرجل ذا الخيال القوى اذا خير بين اختين ، احداهما جذابة والاخرى جميلة ، يختار الجذابة دون الجميـلة ! وكثيرا ما ترى فى الأدب القصصى ان البطلة ليست بارعة الجمال ، وان منافستها البارعة الجمال فيها كثير من الروحية !٠٠ واقرب مثل على ذلك ـ فى ملحمة (فاوست) ـ هو التزاوج بين « فاوست » و « هيلين » ، ذلك المثـل الخالد من امثلـة الاتحاد بين الروح والجـمال ٠٠ وان كان زواج مثـل هذين الزوجـين قلمـا يستمر طويلا !

ورغم ان اعيننا تستمتع اليوم بما تقع عليه من رؤى الجمال الأخاذ عـلى الشواطىء ، كما لم تستمتع اعين من قبـل ، الا اننا نجد ان هذا الاحساس الشديد بجمال الجسد لم يرفع قط من شان الاستمتاع بالحب ، او من شان الفن ، فى عصرنا هذا ٠٠ ذلك ان تجرد الأجساد من ثيابها علنـا فى هـذا

العصر ، وتكسر القيود وتفككها ، كلها قد اقصت عوامل السرية والتحفظ التى هى أول دوافع الحب !

فتاة اليوم .. وفتاة الأمس !

◆ ولقد خطا هذا الجيل خطوة واسعة فى سبيل الاقدام على الحب . ولعل تحرر المراة كان اكبر حدث ذى مغزى فى خلال قرن من الزمان - فهو اهم بكثير من تاييد حق المراة فى الانتخاب - حتى ليلوح ان قرونا طويلة تفرق بين فتاة عاشت فى عام ١٩٠٠ ، واخرى عاشت فى عام ١٩٤٠ !.. كيف لا وقد كانت الخطيبة تحجم عن مجالسة خطيبها قبل عقد قرانها عليه ، فاذا خطيبة اليوم تذهب فى رحلة خلوية مع صديقها بمفردها !

وانظر الى شباب الجيل المعاصر ، تجدهم لا يقراون من الوان الأدب الا ما يسبب القلق والاضطراب لآبائهم ! .. لقد اختفت او كادت تختفى معالم ما عالجه « ابسن » وما صورته أوبرا « ترافياتا » عن مشاكل الصراع بين حق المرء فى الحب ، وبين تقاليد الأسرة وتراثها . ذلك أن تراث الأسرة وتقاليدها قد انهارت وتحطمت بدورها .. كما تلاشى من اكثر بلاد اوربا وامريكا مبدأ العذرية او « العفاف » الذى حركه الشعراء فى كل الأزمنة ، واستثار الآباء وعمداء الاسرات ، من عصر الفروسية فى القرون الوسطى الى عصرنا هذا .. تلاشى منذ اخذت المراة بين يديها زمام حقها فى حماية نفسها بنفسها !.. واما العذارى ذوات الكبرياء اللواتى لا يسلمن فى معركة الحب الا لذلك الغازى الذى يضيق عليهن الخناق امدا طويلا ، فقد اصبحن من أندر الأشياء فى هذا العصر ! .. لقد فقدت العذراء سحرها كله ، فشبان اليوم يصمون آذانهم عن سماع موسيقى « فاجنر » اذا ما ظهرت كاعب لعوب باهرة الأنوثة ، الى جوار عذراء بريئة النظرات ، صافية العيون .. فى حين كانت الموسيقى فى شبابنا هى مثلنا الأعلى الذى نوقع به الفتاة فى شباك حبنا !

واما وثيقة الزواج التى يسرى مفعولها العمر كله ، فلا ريب أن المشرع سوف يحرمها فى المستقبل ، باعتبارها تبذلا مجردا من الاخلاق ، تماما كما يدحض المرء محاولة انسان الرحيل الى القطب الشمالى فى حين انه لم ير من قبل جبالا ثلجية ، ولم يجرب العيش فيها !.. ولعل زواجا تجريبيا لمدة خمس سنوات - كما اقترح « جيته » - قد يكون العلاج لهذه المشكلة الخطيرة !

أيهما أقوى فى المرأة : الأمومة أم غريزة الجنس ؟

◆ واذا كانت الفتاة فى هذا العصر قد نالت حق اختيار الزوج - كما يفعل الفتى - فانه لا ينبغى أن يتم لها هذا الا اذا اكتملت معرفتها بطبيعتها

البيولوجية وباحتياجاتها الجنسية • وهناك قول يزعم ان غريزة الأمومة عند المرأة اقوى من غريزة الجنس ، اى انها تتزوج بغية انجاب الأطفال اكثر مما تحدوها الى ذلك رغبتها فى الرجل نفسه • لكن الحالات التى ينطبق عليها هذا القول نادرة شاذة لا يقاس عليها ••

وحرية المرأة فى ان تتصرف بحبها كيف شاءت ، وان كانت حرية جديدة عليها ، الا انه لن تفلح دولة من دول الأرض ـ مهما تحاول ـ فى تحطيم هذه الحرية التى اغتصبتها المرأة !•• واكبر معوان للمرأة على الاحتفاظ بهذه الحرية ، تلك الحقيقة الواقعة وهى ان جسد المرأة ملك لها وحدها ، ولو ان الشيوعية تحاول ، على غير طائل ، الرجوع القهقرى بهذه الحقيقة الى القرن الماضى !

وبرغم اننى اتوقع لحرية المرأة هذه ان تبتذل ، واتوقع للحب ان يفقد سحره ـ ولعله فقد سحره فعلا عند الكثيرين ! ـ الا ان مثل الحب ، فى عصرنا هذا ، سيظل كمثل السيارة •• فكما انها لم تمنع بعض الناس من ممارسة رياضة المشي ، والتمتع بمشاهدة مناظر المدينة عن كثب ، فكذلك ستظل عند بعض الناس الرغبة فى الاستمتاع بالحب واكتناه أسراره !

٧ ـ المرأة والحب •• فى فرنسا ، واسبانيا ، وايطاليا

◆ لا شيء اقدر على تمييز الشعوب بعضها عن بعض مثل شيئين : الموسيقى ، والحب ! •• وقد برع الألمان فى الموسيقى ، اما الفرنسيون فقد برعوا فى الحب !•• فباريس هى المدينة الوحيدة فى العالم كله التى يستطيع الرجل فيها ان يقبل امرأة فى الطريق العام وهو آمن شر غمزة متطفل أو ابتسامة ساخر ! وباريس ، ابتداء من محال ازيائها الى مصالح حكومتها ، انما هى مدينة تحكمها النساء ! وقد كتبت باريس تاريخ الحب فى الغرب ، وكيفته وفق ما ارادت •• فمحصول هذه المدينة الواحدة من الأدب قد غير مذاق الحب ، وشكله ، ولونه •• حتى ان الحب نفسه تخلى هناك عن مكانه لرونق المنظر وجمال الزينة ، بحيث يندر ان تسمع فرنسيا يصف امرأة بانها « جميلة » وانما هو يصفها بانها « رائعة » أو « فخمة » !

وفى باريس ، حيث لا يدهش احد لسماع اى شيء ، تجد القصص التى يندى لها جبين الحياء تروى فى وجود النساء ، وتقص فى بساطة متناهية دون ان يحمر لها وجه !•• فلقد اعيد النظر فى القيم الخلقية ، واللغوية ، فى باريس ، بحيث لم نعد نرى هناك امرأة يحمر وجهها خجلا !•• اما فى اسبانيا وايطاليا حيث لم يزل للعاطفة شان كبير ، وحيث يصف المحب كل شيء « بالجمال » ، فما زالت اشجع النساء يعروها الحياء ، وما زال الرجال يسرفون فى التقلب من سرور بالغ الى غضب متقد ، وما زالوا يقتلون بعضهم بعضا اذا جمح بهم الغضب ! وليس هذا مقصورا على الطبقات الاجتماعية العليا وحدها ، بل يتعداها ايضا الى الطبقة الدنيا •• ومن هنا اتخذت

« المأساة » التمثيلية الفاجعة عند هذين الشعبين ، الشأن الأعلى الذى اتخذته المهزلة أو الكوميديا عند الفرنسيين .. كما أن موسيقى هذين الشعبين تصور أجلى تصوير ما يغلب على حياتهم من عواطف ، وما تسوقهم اليه هذه العواطف .. فى سبيل الحب !

المرأة والحب .. فى ألمانيا وانجلترا وامريكا !

◆ اما فى الشمال فما زال الحب رومانتيكيا ، والشعب الالمانى يتغنى بالشوق الى الوصال اكثر مما يتغنى بالوصال ذاته ! والحب الذى لا سبيل اليه ما زال يحتل مكانة رفيعة عند الألمان .. وارفع منه شأنا الحب الذى تحيط به التعاسة والشقاء ! .. فالرغبة الرومانتيكية فى العيش بين الاحلام والخيالات ، بعيدا عن الاستمتاع الواقعى ، هى من خصائص سكان الشمال .. ولعل الضباب الذى يكاد يخفى عنهم المنظورات ويحجب الماديات هو الذى وصل بالحب الى هذه المنزلة الشعرية الخيالية التى لا اثر للواقع فيها !

ومع أن الشماليين يحسون الرغبة الجنسية ، طبعا ، مثلما تحسها الأقوام الاخرى فى اية بقعة من بقاع الأرض ، الا انهم لا يسلمون بالتوتر الجنسى كأمر واقع ، ولهذا فالنفور ، والاشمئزاز ، والاكتئاب ، تحل عندهم محل الرغبة الجنسية البسيطة المجردة ! .. وهذا ايضا هو السبب الذى من اجله يتحدث شعراؤهم دائما عن « متاعب الناحية الجنسية وآلامها » ، وهى عبارة قل أن تسمعها من احد ابناء حوض البحر الابيض المتوسط الذين لفحتهم شمسه المشرقة ! .. وقد قال احد شعرائهم فى مطلع قصيدة له : « ان الحب هو العذاب المقيم ! » .. ولعل هذا هو السبب الذى من اجله لا يحاط الحب فى الدنيا بالتقاليد المتوارثة ، بل يترك نهبا للفوضى والاضطراب ..

وتكاد المرأة الانجليزية تماثل نظيرتها الألمانية ، الا أن الانجليزية اقل رقة ! نعم هى أكثر مهارة من الالمانية ، ولكن مبادىء الفضيلة والطهر ماتزال تسيطر عليها وتقمع حوافزها ، فهى حتى فى وسط أقربائها او أترابها ترى أن لفظ « البطن » أو « الثدى » ينبغى أن لا يلفظ !

وليست المرأة الامريكية خبيرة بالحب كما يحسب الكثيرون ! فإن المثل العليا التى تسيطر على شعبها تتمثل فى الحركة ، والنجاح ، والتقدم فحسب .. وهذه المثل العليا الثلاثة اما أنها تتناقض فى طبيعتها مع الرغبة فى الحب ، واما انها لا تسمح بقيام الحب اصلا ! .. فى حين برع الفرنسى مثلا فى الحب لانه يسير على هدى مثل عليا ثلاثة تختلف عن نظائرها الامريكية ، هى : الهدوء ، والبساطة ، والاحساس بالمساواة !

الامريكان يجهلون الحب !

◆ ولقد جعلت ارقب المحبين على شواطىء كاليفورنيا .. كانوا عراة تقريبا ، ولم يكن ينقصهم جمال المنظر ولا حسن المظهر ، ولكن احساسهم الجنسى اوشك أن يكون معدوما ! .. فقد استلقوا على الرمال وكل همهم ان تصهر

الشمس اجسادهم ، ودلكوا بشرتهم بالزيت ، واخذوا يتلهون اما بتناول المثلجات « الايس كريم » ، او بقراءة مجلة ، او بالاستماع الى « الراديو » وقد غلبهم النعاس !٠٠ ولو ان هؤلاء المحبين كانوا فرنسيين ، لبحث كل اثنين منهم عن خليج ناء منعزل ٠٠ وربما أكلوا وشربوا ايضا ، ولكنهم - على التحقيق - لايقرأون ولايستمعون الى هذه الموسيقى الرديئة !٠٠ نعم قد يعزفون اذا ما عادوا الى البيت قطعة عاطفية على « البيانو » او يستمعون الى « الجراموفون » ، ولكن الأمر كله يتوقف عندئذ على درجة اضاءة المكان، ومدى سرية الاجتماع ، ومقدار ملاءمة الطقس !

وليس أدل على جهـل المراة الامريكية بالحب ، من انها هي وحدها التي تظهر في المجتمعات وقد اخفت عينيها وراء المنظار برغم انها ما تزال شابة وجميلة ! ٠٠ فهي بهذا تشوه جمال مظهرها وتفوت على نفسها فرص الحب !

وثمة سبب آخر من اسباب جهل الامريكي بفن الحب، هو انه لايعرف للموت معنى ! ٠٠ ففي محصول اوروبا من الشعر ، الذى كتب باثنتي عشرة لغة مختلفة ، قد ارتبط الحب دائما بالموت !٠٠ ولما كان الامريكي ينكر الموت ، ويكاد يخدع الميت نفسه برسم لوحة له ، فانه لذلك لم يستطع أن يتعرف على الحب الذى هو توام الموت !

٨ - الصداقة ٠٠ والغيرة ٠٠ والحب !

◆ وبينما نجد الحب يقوم - الى حد كبير - على نوازع الجسد ، ويتجدد دائما بين احضان الجسد ، نجد أن الصداقة تقوم على أساس نفساني بحت ، ولهذا فان أعلى مراتب الصداقة اندر مثالا من الحب !

ولما كانت الصداقة هي العلاقة الوحيدة - بين رجل وآخر - التى لاتعرف لها بداية واضحة معينة ، ولا تستهدف نتيجة خاصة ولا غرضا بذاته ، فانه ليس أبعث على الارتياح من أن ينادى الرجل رجلا آخر لم يقض معه سوى بضع امسيات جميلة ، قائلا : « ياصديقي » ٠٠ والرجل الفرنسى لا يجيش في صدره شيء عندما ينادى شخصا آخر قائلا : « يا صديقي العزيز » ٠٠ اما الرجل الأسباني فانه يبدأ بهذه العبارة ذاتها خطابه لرجل لم يتعرف به او يلقاه سوى مرة واحدة !

وكل فرد يذكر ولا شك النظرة او القبلة التى بدا عندها الحب .. اما الصداقة فقد توطدت على اثر مصافحة حارة ، بل قد لا يذكر احد الصديقين متى رفعت الكلفة تماما بينه وبين صديقه ، ومتى نادى أحدهما الآخر باسمه مجردا عن لقب السيد ، أو الاستاذ .. وهكذا الصداقة دائما ، لا يعرف لها امرؤ مصدرا ولا قرارا !

وبين الصداقة والحب فرق كبير . واكثر ما يستبين هذا الفرق عند النساء ، فهن أقل اقبالا على الصداقة من الرجال ! .. وذلك انهن يسكن الى الحب ، ويركن الى الحبيب ، أكثر مما يفعلن بإزاء الصداقة والصديقة ! .. وكثيرون من الرجال الذين عرفوا الحب قد عقدوا الى جانبه صداقات وطيدة وثيقة العرى ، ولكن ندرت من النساء من جمعت بين الحب والصداقة فى آن معا !..

ولقد قال جوته : « كل امراة تعتزل ـ بدافع من طبيعتها ـ كل امراة اخرى ، اما الرجل فيحتاج الى الرجل ، فاذا لم يجد رجلا آخر خلق لنفسه رجلا .. فى حين أن المراة يسعها أن تحيا حياتها دون أن تعتريها اقل رغبة فى خلق امراة أخرى تصادقها ! »

وفى وسعنا أن نعقد المقارنة بين صداقة مثالية وزواج مثالى : فالصداقة وان لم تقترن بالنشوة الحسية الا انها توفر فى الواقع اعظم قسط من الراحة يمكن أن يتطلع اليه الرجل ، بغض النظر عن الرغبة فى المتعة الحسية .. فهى تزود الصديقين على السواء بالثقة فى الحياة والاطمئنان اليها !

والصداقة تزدهر وتترعرع كلما بعدت المسافة بين الصديقين ، فعندئذ يقضى الصديق حقا ساعة هنيئة سعيدة فى قراءة رسالة تلقاها من صديقه .. فاذا حدث وحل الصديق ضيفا على صديقه ، نعما بساعة هنيئة تسبح فيها الروحان فى توافق وانسجام ، وتحلقان فى آفاق بهيجة المناظر جميلة الصور .. ولأن الصداقة ـ على نقيض الحب ـ قد خلت من كل طابع جسدى ، فهى لذلك عميقة القرار بعيدة الغور ، وهى لذلك ايضا اكثر حرية وانطلاقا . فاذا اختلى الصديقان بعد أعوام من الألفة والوداد ، وتذاكرا العهد الذى بدات فيه صداقتها ، تراهما يذكران عهودا متباعدة يحمل كل منهما ذكرى جميلة عزيزة عليهما .. وتراهما يتحاشيان ذكر أزمة معينة مرت بصداقتهما ، وقد ينساها احدهما نسيانا تاما !

فاذا حدث ان ثالثا احتل فى قلب احد الصديقين مكان صديقه ، فهنالك تقوم لواعج غيرة تشبه فى اضطرامها تلك الغيرة المالوفة فى الحب !

واذا شبت الصداقة فى عهد الطفولة ، فانها قد تنطوى على جملة اخطار ، لكنها تنطوى كذلك على جملة مفاجآت .. فاذا التقى صاحبا طبيعة متجانسة احدهما بالآخر ، فى مستهل حياتهما ، فغالبا ما تصل صداقتهما الى أعلى درجاتها .. وان كان اجلها قد يقصر فى هذه الحالة ، او قد يقطعها ارتباط احدهما بالحب او بالزواج !

واجمـل صداقة هي تلك التى تنشأ بين الأخ واخته حين يلتقيان بعـد ان يزدهر شبابهما ، فيتعرفان أحدهما على الآخر من جـديد ، وعلى نطاق تتيحه لهمـا خبرتهما بمســالك الحيـاة ودروبهـا .. ويسترجعان ذكرياتهما المشتركة .. ولكن حتى هذه الصداقة الجميلة السعيدة قد يشتت شملها وقوع أحدهما فى الحب !

فالحب هو عدو الصداقة اللدود .. اذ هو طاغية عنيد لا يريد لأحد ولا لشىء أن يعلو عليه أبدا !.. وحتى الصداقة بين الآباء والأبناء - التى يمكن أن تتم بشىء من الكياسـة ، والتبصر ، وحسن الادراك - غالبا ما يضـع حدا لهـا وقوع الأبناء فى الحب ، حتى لو لم يعتـرض الآباء على ذلك ولـم يؤاخذوا أبناءهم عليه .. وهذا هو منشـأ النزاع الذى لا ينتهى بين الحماة وزوجة الابن .. فحب الزوجة لزوجها لا يعنى قطعـا حبها لأم زوجهـا .. واقل دلالة تفطن منها الزوجة الى أن الصداقة بين زوجها وامه ما زالت قائمة ، تؤدى بها الى الانفجار !

هل هناك « صداقة » بين رجل وامرأة ؟

◆ هل يمكن أن تقوم صداقة وطيدة بين فتى وفتاة ، دون أن تتطور هـذه الصداقة الى حب ؟

اما اذا كانت صديقة الفتى فى مثـل سن امه ، او كان صـديق الفتاة فى مثـل سن ابيها ، فالاجابة عن هذا السؤال يمكن أن تكون بالايجاب .. ولا تعدو الصداقة عندئذ أن تكون ترفقا واشـفـاقا ! .. اما ان تقوم الصداقة بين فتى وفتـــاة فى سن متماثلة ، وفى وقت يحق للحب فيه أن ينضـج ويكتمل وينمو ، فهذا ما لا يتأتى .. رغم كل توسل الى اللوافع النبيلة ، وتمســك بأهداب المثل العليا جميعها !

ذلك أن مثـل هذه الصداقة تتطلب من التضحية ما يعلو على طاقة البشر ! فالرجل والمرأة ، فى نفس اللحظة التى تتنزه فيها روحاهما وتسمو نفساهما، يدوران أحدهما حول الآخر فى محاولة « استطلاع » لخفـايا ذلك الجنس الآخر ! .. انهما - رغم كل شىء - سيحسان ان التسليم الجسدى ما زال ينقصهما ! .. وفى مثـل هذه الحال قد يتيسر لامرأة جريئة مجربة أن تقيم الحد وتنصب الميزان بين الرغبات والشهوات ، ولكن هـذا شىء لا يمكن ضمانه قط ، وقد يؤدى الى عكس المنشود من ورائه !

فالاقدام على مثـل هذه الصداقة « الروحية » بـين اثنين من جنسين مختلفـين يملؤنا توجسـا ونحن نشهده ، كما لو كنا نشاهد اثنين يرقصـان على حبل مشدود فى أعلى السيرك !.. اننا نستمتع عندئذ بمراقبتهما والتطلع اليهما فى تيقظ وانتباه ، ولكننا فى الوقت نفسه يحدونا الخوف من أن يهويا الى القرار السحيق !

٩ ـ البغض ٠٠ وهل يتفرع من دوحة الحب ؟

◆ ما هو البغض ؟ اهو فرع من الدوحة التى يتفرع منها الحب ؟

ان البغض ينمو ويتطور كما يفعل الحب سواء بسواء ٠٠ وهو يتغذى فى نفس الشخص من الادلة التى اجتمعت لديه على الأنانية او العداوة التى يقابل بهـا من الشخص الذى يواجهه ٠٠ فاذا استطاع العداء بين شخص وآخر أن يتحول تدريجـا الى بغضاء ، واذا اســتطاعت امراتان أن تبغض احداهمـا الأخرى دون أن تكون الغيرة هى السبب الأول ، فمثل هذه الحالات لا تمت الى الحب بصـلة نسب ولو عن طريق غير مباشر ٠ فاسباب مثـل هـذا البغض ودوافعه جليـة واضحة ، وهى متعلقـة بشـئون الدنيا المـادية المحسوسة ٠

أما البغض الذى ينتمى الى الحب ، بل يشبهه من كل الوجوه ، وفى اسمى مظاهره أيضا ، فهو البغض الذى ينشـا بلا سبب محسوس ، وينبت من النظرة الأولى !٠٠ فمثـل هذا البغض ينشـا ـ كما هى الحال فى الحب ـ بدافع جسمانى ، كما أن عناصره تسـتمد قوامهـا من الطبيعة الجسدية ٠٠ ومن ذا الذى لا يذكر ان الباب فتح ذات مرة ، ووجـه شخص من نفس جنسه (ذكر او أنثى) فاشــاع فى نفســه ، فى التـو واللحظة ، نفورا شديدا ، يوشك أن يكون بغضاء متاصلة !؟

فهـذا الاحساس المفاجىء الذى يبعثـه فينا هذا الشخص دون سبب ظاهر ، مرده الى الشـخصية الجسدية او المادية (لا المعنوية) التى تؤثر اول ما تؤثر على حواسـنا ! وقلما تخطىء حواسـنا ، وقلمـا نحتاج الى ان نراجـع أنفسنا فى هـذا التاثير الأولى الذى يبعثه فينا شىء ما او شخص ما ٠٠ فان هذه اللحظة الأولى تقرر كثيرا من الأمور التى قلما نحتاج الى تغييرها ٠٠ تماما كما يصعب محو ما يتعلمـه الطفـل فى الصغر ، وما يشبهه المثـل « بالنقش على الحجر » !

فهـا هو ذا شخص غريب يدخل بابنا ، ولا نعلم عنه شيئا ، بل لا نعلم حتى اسمه ، وها نحن أولاء نبغضه دون سبب ظاهر !٠٠ والواقع أن لا شىء فى الدنيا : لا الثقافة ، ولا حصافة الرأى ، ولا اتجاه الميـول يشتت شمل الرجال أو يلم شعثهم ، مثلما يفعل الاحساس المادى ! ٠٠ فإن هذا الاحساس يميـز تمييزا حاسـما بين الشخصية التى ترتضـيها فى أعماق نفسـك ، والشخصية التى تعاديها فى قرارة كيانك !

فاذا شاء المرء أن يتغاضى عن هذا الاحساس الأول ، فان البغضاء لا تتبدد عندئذ ، وانما تسـتقر فى الأعماق ، بل فى أعمق مما تستقر العداوة الصريحة الظاهرة !

وفى وسعنا أن نجـد امثلـة من هـذه البغضاء المشهورة بين الشعوب والأجناس المختلفة أيضا ، بل وبين اثنين من الفنانين يكفى أن ينظـر احدهما فى عينى الآخر ، كى تتجلى البغضاء بينهما صريحة واضحة !

وثمة ميدان واحد لا ترى فيه هذه البغضاء المتاصلة ، ولا يمكن أن يحس فيه المرء بمثل هذا الاحساس المفاجيء بالكراهية .. ذلك هو ميدان العلاقة بين اثنين من جنسين مختلفين ! فالرجل الذى يدخل على امراة لأول وهلة فتحس تجاهه بالبغض ، انما يجتذبها اليه فى الحقيقة عنصر خاف فيه ، تحاول هى جهدها أن تكبح جماح التفكير فيه !

او قد يلتقى رجل بامراة لا يعرفها فى الطريق العام .. امراة يخالف جسمها ذلك الجسم الذى يحلم به ، وتبعث ثيابها النفور فى نفسه ، وتسيء اليه عطورها وزينتها .. ومع ذلك كله فعندما يرمقها بنظرة حادة ، فانما هو يتمنى فى الوقت نفسه أن يغزوها وينتصر عليها ، كى ينتقم لنفسه - من منظرها الذى اساء اليه - باذلالها !

ومن هذا التداخل بين الحب والبغض ، فى علاقة الرجل والمراة ، يتاتى التفسير المعقول لهذا التحول المفاجيء فى القصص الغرامية - سواء فى الواقع او الخيال - الذى يحيل القصة الى فاجعة اومأساة !

وفى العدد القادم نواصل معاقراءة الفصول التالية من هذا الكتاب الممتع

الحياة قصة

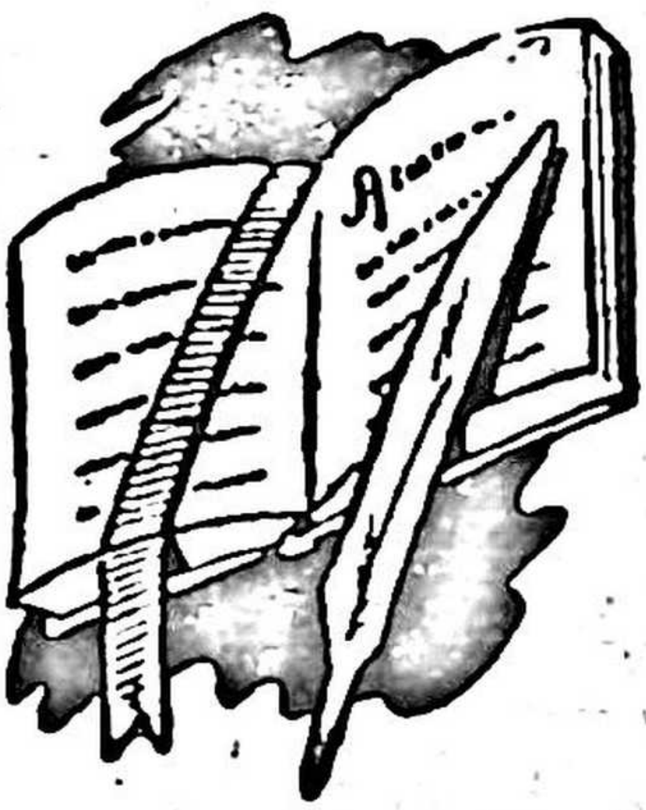

روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء :

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص :

• اموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى • التلميذ : بول بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • أيام بومباى الأخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الأب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج اونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • كاس تمبرلين : سنكلير لويس • الشيطان على الأرض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج • الحب الأول : تورجنيف • تاييس : اناتول فرانس • بلاد العميان : هـ. ج. ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هاربيت بيتسر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب : دستويفسكى • لحن كرويتزر : تولستوى • اميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار : سومرست موم • افروديت : بيير لويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير • آشجان فرتر : جيته • فرانشسكا : موباسان • لوريت : الفريد دى فينى • المعطف : ن. جو جول • يوميات زوجة : مارسيل بريفو • الأفق المفقود .. وهاك اليوم : « النار الخالدة » !

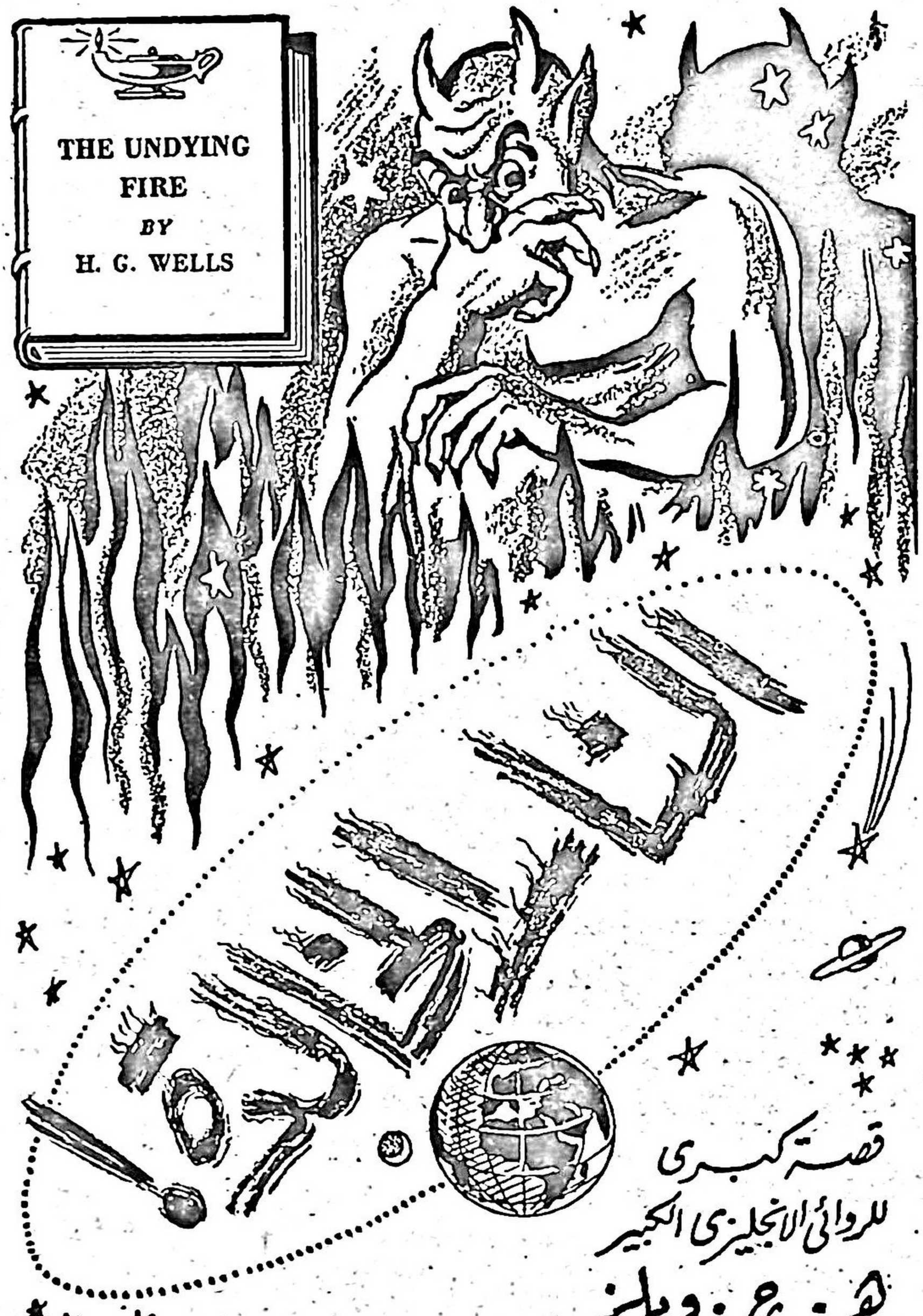

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

معركة الايمـــان ٠٠ والالحاد !

● اشتد الجدل في الشهر الماضي حول موضوع الايمان والالحاد ٠٠ وهو موضوع شائك لم يكن يجرؤ على الخوض فيه غير الفلاسفة في كتبهم العلمية البحتة التي يتسع فيها المجال لعرض نظرياتهم والتدليل عليها ٠٠ اما كتاب القصة فيندر ان يخوض كاتب منهم هذه المعركة ، بقدر ما يكثر خوض الناس فيها ، خلال أحاديثهم وأسمارهم كلما عرضت مناسبة خاصة او عامة تثير الموضوع في اذهانهم

واذا ندر تعرض كتاب القصة لهذه القضية بوجه عام ، فاندر منه أن يعالجها احدهم بمثل العمق ، والتفكير المدروس ، والنظرة المنبثقة من ثقافة أصيلة شاملة ، التي عالجها بها الأديب و « العالم » الانجليزى الكبير « هـ٠ج٠ ويلز » في هذه القصة الطويلة الشائقة التي يقدمها لك (كتابى) فيما يلى ، في أوانها ، لمناسبة المعركة « الصحفية » التي شغلت الاذهان والاقلام أخيرا ٠٠ وقد بدأ « ويلز » قصته برهان عقد في السماء ، بين الله والشيطان ـ كما في ملحمة « جيته » المشهورة : « فاوست » ـ واهداها الى « نظار المدارس وناظراتها ٠٠ وكل مدرس في العالم » !

١ ـ رهان ٠٠ في السماء !

● **كانت** أصوات الملائكة تتصاعد بالتسابيح : « قدوس ٠٠ قدوس ٠٠ قدوس » ، ولم يكن ثمة من يبدو عليه السأم سوى « الشيطان » !٠٠ كانت مكانته في السماء لا تزال غير محددة ، فما كان يعرف أهو من أهلها أم هو طريد منها ٠٠ على أنه ـ أيا كانت الحال ـ كان مطمئنا الى نفسه ، فهو يؤمن بأنه ضرورة لازمة ، بحيث ينبغي ألا يخشى الاستغناء عنه !

وقال الرب : « **أنا وحدى أخلق ٠٠ المادة صنعتها وكافة الاشياء** »

فقال الشيطان وقد بدا على الملائكة غضب واستنكار : « ولكنها مادة راكدة ، لولا ما أبعثه فيها من حركة ! »

وابتسمت السماء ، فنعمت الكواكب بأيام صافية ٠٠ وقال

الرب : « **لسوف أقضى عليك فى النهاية ، ولسوف تختفى** »

ـ عندئذ سوف ينتهى كل شىء !

ـ **بل سيكتمل ٠٠ انك تفسد نظام الكون ٠٠**

ـ بل اننى أمنحه طعم الحياة!

وجلجل الملائكة ، وتقدم ميكائيل قائلا : « انه يكفر يا الهى ٠٠ »

قال الرب متلطفا : « **لعلنى أريده أن يبقى ٠٠** »

وقال الشيطان مبتسما (وقد أخذت احصاءات الجرائم فى

الكاتب الانجليزى هـ ٠ ج ٠ ويلز

الكواكب تزداد تبعا لابتسامته) : « بدونى يجمد الزمن والفضاء ويغدوان بلا حياة ٠٠ انا الذى أثير الحركة فى الأشياء ٠٠ انا الذى جعلت الانسان أريبا يعرف كيف يحيا فى الدنيا ٠ **تصور يامالك الملك !٠٠ تصور بستانا كل زهوره وفواكهه شهية المنظر والطعم على الدوام ، فلا خريف هناك ، ولا ورقة ذابلة ٠٠ والسباع والضباع وادعة كالحملان ٠٠ ياالهى الرحيم ! ٠٠ لقد كان الانسان مسوقا الى الملل لو لم أدفع به الى أعجب المغامرات** ٠٠ أنا الذى منحته التاريخ ٠٠ أولم تكن يا مولاى راضيا عن ذلك ؟ أليس ارسالك الرسل بمشاعلهم دليلا على رضاك ؟ »

ولم يجب الرب ٠٠ غير أن الشيطان لم يلبث أن قال فى جرأة : « **هذا يذكرنى برجل كان يدعى « ايوب » ٠٠ لقد**

تراهنا عليه اذ ذاك ! »

فقال مخلوق من نور يحمل كتابا : « لقد خسرت الرهان ياشيطان •• كان الرهبان يتساءلون اذا كان من الممكن أن يفقد « أيوب » ايمانه بالله ويكفر به •• فابتلى بكل ألوان البلاء ، لا سيما غدر الاصدقاء وتقلبهم •• ومع ذلك فقد بقيت فى الرجل جذوة من نار لا تخمد ! »

فاعتمد الشيطان رأسه بين راحتيه ، وتفرس من بين ساقيه خلال الارض الشفافة ، وعبر الاثير ، الى الجسم الضئيل الذى يؤلف دنيانا ، ثم قال : **« ان أيوب ما يزال على قيد الحياة •• كل الناس أيوب !•• اننى أرى الوقت مناسبا لرهان جديد »**

— حول ما اذا كان الانسان يؤمن بربه أو يكفر به ؟

— بل حول ما اذا كان سيذكر ربه على الاطلاق ؟•• ان الزمن قد بعد بالخطيئة الأولى للانسان •• بعد بها الى ما وراء التاريخ ، بل ما وراء الخيال •• ولقد تطور الانسان ونما ، وأصبح يبنى المدن ، ويفلح الأرض ويذلل الضوء ويستغله ، ويغير سلالات الحيوان والنبات وخواصهما •• أعمال عظيمة ، ولكنها مع ذلك لا تزال توافه ضئيلة •• فالانسان جد أخرق وضعيف ، وهذه الاعمال لا تبعث ضياءها الا فى نطاق مقدرته المحدودة •• **ألا فلتنظر الى هذا العقل الحبيس فى « صندوق » • أن عظام الجمجمة لا تمكنه من النمو !•• انظر الى هذا البدن الشبيه بكيس ملء بالاسمال وبالجراثيم•• أليس هو مباءة للاوبئة !•• ان حياته متداعية • لقد قضى الانسان العشرة آلاف عام الأخيرة فى عراك لا ينتهى مع نفسه ، لغير ما غرض ••** ولن يطول الزمن حتى يبرد الكوكب الذى يعيش عليه ويتجمد•• لا ، هذا أمر لا يصدق •• اننى قد أزعجته ، وأضنيته ،

وعذبتـه أمدا طويلا جدا ، ولكننى اليوم أشعر بالاشـفاق عليه٠٠ لقد كانت مهمتى من قبل شائقة ، ولكنها أصبحت تزداد قسوة ٠٠ لقد بلغ الانسان أقصى ما يحتمل ، فلنمنحه بعض السـلام الآن يا مولاى ٠٠ لنمنحـه فترة قصيرة مشرقة الشمس ، يسودها الرخاء ٠٠ ثم نرسل اليه وباء شاملا لا ألم فيه ، كى يستشرى فى الارض ، وبذلك نسلمه للموت ٠٠

ـ انه لم يبدأ حياته الا منذ عهد قريب ٠٠

ـ بل هو مشرف على النهـاية ٠٠ لا مراء فى أنه يتخذ فى بعض الاحيان مظهرا يبشر بأنه ملك دنياه وسيطر عليها ٠٠ لكن ذلك مجرد مظهر ٠٠ فلتأذن لى بأن أضـايقه بالهمـوم وان أقهره بعض الشئ ، ولن يلبث بعد نوبات قلائـل من الايمان والامل ، أن يئن ويتهـالك كأى وحش آخـر ٠٠ سيتصرف كأى مخلوق حيوانى ذى عقل صغير وفك كبير ٠٠ ائذن لى وسترى ان شجاعته لن تلبث أن تنقطع كخيط عتيق واهن ٠٠ سيبيد نفسه من تلقاء نفسه ، بعد أن أقضى عـلى آماله ، وأسفه تضحياته ، وأظلم سـماءه ، واملأ شرايينـه بالعـذاب !

ـ افعـل ما بدا لك يا شـيطان ، فما أنت الا أداة من أدواتى ٠٠ ابتـل الانسـان وامتحنـه الى أقصى مدى ٠٠ وسنرى !

٢ ـ على ســاحل البحر

• فى مقعـد اسود خشن ، بمسـكن حقير فى بلـدة (سوندرينج) الساحلية ، جلس رجل مريض يرسل بصره فى شرود واجم ، خلال النافذة ٠٠ وكان اليوم قائظا ، يثقـل حره على الانفاس ٠٠ وضاق المـريض الجالس خلف النـافذة بالذباب ، فراح يضرب الهواء بيديه صاخبا ، وهو يتساءل :

« لماذا خلق الله الذباب ؟ » •• وكأنما شغل باله فترة بهـذا السؤال ، لـكنه لم يلبث أن تنهد ، وتحرك فى عناء يعدل من وضعه فى المقعد ، ثم أخلد الى شروده الواجم •• وأقبلت فى تلك الاثناء ربة الدار ، مضرجة الوجه بحرارة المطبخ ، وقد علقت بها رائحة بطاطس محترقة •• ثم انهمكت فى اعداد المائدة ، وهى تختلس النظرات الى المريض ، وكأنما كان عدم انتباهه اليهــا يثير همهــا وقلقها •• وهمت مرتين بأن تتكلم ، ولكنها كانت تكبح لسانها • واخيــرا عجزت عن مقاومة فضولها فقالت : « **أتراك مازلت تشعر بالمرض يامستر هس ؟** »

وأجفل الرجل اذ انبعث صوتها ، والتفت اليها فى عناء ، فلما كررت سـؤالها ، قال وهو يرمقها من طرف عينه ووجهه مشيح عنها : « **أجل •• أظننى مريضا يا مسز كروم** »

فقالت وهى منهمــكة فى اعــداد المائدة : « **ان المصائب لا تاتى فرادى •• ولكن علينا ان نحتمل نصيبنا ، وان ننشد القوة حيث تتوفر القوة •• ان كل ما يعوزك فى الغالب هو أى نوع من الأدوية المقوية** » •• ومع أن المريض لم يبـد اهتماما بقولها ، الا أنهــا مضت فى الحديث : « **لو أنك ذهبت الى الطبيب الشاب الذى يقطن عند ناصية الشارع •• ان الجميع يشيدون بمهارته !** »

وكان المريض قد ذهب الى ذلك الطبيب الشاب مرتـين من قبل ، ولـكنه لم يشأ أن يخبرها ـ حتى لا يضطر لأن يسايرها فى الحديث ـ فوعدها بأن يعمل بنصيحتها •• وما أن اختفت المرأة من الحجرة ، حتى رفع يده الى جبينه ، فاذا به يتفصد عرقا •• وأخذت يـده ترتجف فى عنف وهمس : « يا الهى ! »

* * *

◆ **كان** اسمه « جوب هس •• أيوب » !•• وقد أطلق عليه أبوه هذا الاسم ، لان تقاليد الاسرة كانت تقضى بأن يسمى الابن الاكبر « أيوبا » !•• ولقد كان من الممكن أن يعتبر ـ الى أربعة أسابيع مضت ـ أكثر الناس توفيقا ، وأجدرهم بالغبطة والحسد •• حتى دهمته الكارثة فجأة ! •• كان يشغل منصب ناظر المدرسة الحديثة الكبرى فى (ولديجستانتون) بمقاطعة نور فولك •• وكانت المدرسة قد ازدهرت تحت رعاية اتحاد صناع الورق لمدينة لندن بعد أن كرس « هس » حياته بأسرها من أجلها ، حتى لقد ذاع اسمها ـ واسمه ـ فى العالم !•• ذلك انه كان أول ناظر مدرسة انجليزى يحرر البرامج الدراسية من تعقيدات النظم القديمة • وصارت مدرسته هذه أول مدرسة فى انجلترا تلقن فيها اللغتان الاسبانية والروسية على أصولهما الصحيحة ؛ كما كانت معاملها أحسن معامل مدرسية فى بريطانيا ، وربما فى العالم •• وقد أدت اساليبه الحديثة فى تدريس التاريخ والعلوم السياسية الى أن تدفق عليه سيل من الاسئلة والاستفسارات من هيئات التربية فى العالم

•• ثم امتدت اليه يد النحس ، للمرة الاولى ، فى نهاية الفصل الدراسى الصيفى ، اذ أدى اهمال ممرضة الى وفاة تلميذين أثناء تفشى « الحصبة » بشكل وبائى •• وفى عصر اليوم الذى مات فيه ثانى الولدين ، راح أحد مساعدى المدرسين ضحية حادث انفجار فى المعمل الكيميائى !•• وفى الليلة الأخيرة للفصل الدراسى شب حريق فى مبنى المدرسة أزهق روحى اثنين من صغار الطلبة ••

ولقد كان من الممكن أن يقف مستر « هس » ومدرسته صفا واحدا فى وجه أى من هذه الأحداث ، لكن تعاقبها

السريــع هــز كيــان النــاظر والمدرسة ، وبدأ كأن كل ظرف منها كان يتآمر على مضاعفة الاثر القاسى لهذه الاحداث على مستر « هس » :

فقد رأى بعينيه مدرس الكيمياء وقــد أودت الأحمــاض ببصره وشوهت وجهه ، قبل أن يسلم الروح !.. وحمل على ذراعيــه جثــة أحد التلميذين المحترقين وقد صارت قطعة من الفحم !..

وزاد من أســاه وفجيعته أن احترقت كل أوراقه الخاصــة ومقتنياته تقريبا . ثم ــ وفى غداة الحريق ــ انتحر محاميه ، وكان صديقا حميما له ، ائتمنه على كل ما ادخر ليهيىء لنفسه ولمسز « هس » حياة كريمة فى كهولتهما . فاذا المحامى فى تحمســه لثورة الروس ، يستثمر أكبر قسط من المدخرات فى شراء « روبلات » .. لكن قيمتها هبطت فجأة ، فلم يجد المسكين بدا من الانتحار !

وأشاعت هذه الأمور جميعا ارتباكا فى حياة مستر « هس » وزوجته ، التى كانت واهنة العزم ، سريعة الانقياد لمشاعرها .. فكان أول أثر للأحــداث فى نفسها أن شعرت بحاجة ماسة الى التقتير الشديد فى نفقاتهما .. واستصغرت من قيمة ما أوتى زوجها من مواهب عملية .. وكان من المستحيل أن يبقى زوجها عــلى مشهد من أطلال مدرسته ، فاختارت له مصيف (سندرينج) ــ نظرا لقربه ، ولما اشتهر به قبــل الحرب من أنه مصيف رخيص ــ على أن يمكث فيه ريثما يستجم ويجمع شتات نفسه ، ثم يعود الى انشاء المدرسة من جديد ..

كذلك كانت هى التى اختارت له منزل مسز « كروم » ، ليقيم فيه ، وناضلت طويلا فى مساومة صاحبته ومكافحة جشعها ، اذ كانت تنتهز كل فرصة لتفرض أجورا اضافية !

على أن ضربة أقسى من كل ما سبق كانت تتربص بمسز ومستر « هس » : كان لأيوب النبى سبعة أولاد وثلاث بنات ماتوا جميعا فى حياته · **أما « أيوب » الحديث هذا ، فكان مقدرا له ألمأقسى وأفظع ، اذ لم يكن له سوى ولد واحد ، عين فى السلاح الجوى·وجاءت الانباء أخيرا بأن طائرته سقطت وراء خطوط الالمان ! وكان الشاب فى حياته مثار نزاع بين الابوين : الاب يفخر بتطوعه للبطولة ، والام تعارض ، خوفا عليه · ومن ثم راحت فى عنفوان فجيعتها تتهم زوجها بأنه قاتله !·· وبأنه ساقه الى حتفه ليضيف اسمه الى قائمة الشرف التى يعتز بها : « قائمة ضحاياه ! »** · وحزت العبارة الاخيرة فى فؤاده ، وأكملت انهيار نفسه ·· فمن اشراق الامل ، والكرامة ، والعمل الدائب ، انكمشت حياته الى نطاق محدود ينحصر بين زوجته وصاحبة البيت ، وتهدم كل ما شيد فى دنياه !

وأخذ الحزن يدفع الزوجة الى القسوة ·· وأثارت شجارا حاميا أصرت فى نهايته على أن تنتزع من مواردهما الضئيلة مبلغا لتشترى به ثياب الحداد ! ·· وفى سبيل حياكة هذه الثياب قامت بينها وبين مسز « كروم » معارك استمرت أياما ، اذ أشفقت الاخيرة على حجراتها من أن تنتثر فيها قطع الخيط وقصاصات القماش !

وفى هذاالجو العاصف ، كان مستر « هس » يحاول جاهدا أن يمضى فى تدبير شئونه ·· الى أن واتاه ذات ليلة ، حلم ألقى ضوءا على حالته البدنية ، كما تفعل الاحلام أحيانا ·· اذ رأى فى نومه جسما أبيض ،يابسا ، يبرز من جنبه ، وينشب فى كيانه مخالب موجعة ، كاوية ·· ورأى عددا من الاطباء

يكافحون لانتزاع هذا الشىء .. واستيقظ من نومه وجسمه ينضح بالالم .. وعلى صفحة الظلام ، رأى بحروف من لهب ، كلمة : « السرطان » !

.. وعبثا حاول منذ تلك اللحظة أن يزعزع الشك الذى تمكن منه حتى بات يقينا .. وفكر فى الجراحة ، وما تتطلبه من نفقات باهظة .. ثم تلفت حائرا ينشد النصح والعون ، فلما أعوزاه ، فكر فى الانتحار .. ولكن نفحة من الشجاعة هبت فى أعماقه ، فهتف : « لا .. سأكافح حتى النهاية ! »

وكان لابد من استشارة طبيب ، ولابد من جدال مع زوجته كى تقر ذلك .. وأحس بأنه وحيد ، مهيض الجناح ، كسير النفس ، فهتف فى أعماق الظلمات: « أواه ! أمامن معين؟ »

ولم يكن قد بكى منذ سنوات ، ولكن الدموع انسابت من عينيه اذ ذاك .. وحاول أن يضغط موطن الالم ليسكنه ، وهو يتململ كالطفل !

★ ★ ★

◆ **كان** الدكتور « الياهو باراك » ــ الذى سعى اليه مستر « هس » عند ناصية الشارع ــ شابا متواضعا ، ولكنه غزير المادة ، دقيقا فى فحصه . وأكد له ما كان يرجو أن يكون وهما ، وان بشره بأن جراحا اخصائيا بارعا يدعى سير « الفيوس منجو » يتردد على (سندرينج) للعب « الجولف » وأن من الميسور أن يحمله على الاهتمام بحال مستر « هس » ، فاذا وافق على اجراء الجراحة فى مسكن المريض ، هبط بالنفقات الى أدنى حد ..

وجاء الجراح فى يوم السبت التالى ، فقرر ــ بعد الفحص ــ اجراء الجراحة فى نهاية الاسبوع المقبل .. وانقضى يومان قبل أن يجد مستر « هس » الجرأة على الافضاء بالنبأ لزوجته ولمسز « كروم » . كان يحس بالفزع الذى يخالج التلميذ الذى لم يستذكر دروسه ! .. وكانا يجلسان الى مائدة الغداء

حين أجمع أمره على الافضاء بالامر لزوجته ٠٠ وأحس بالأسى والحسرة يصرفانه عن الطعام ، بينما أخذت مسز « هس » ترمقه فى استهجان ٠٠ كانت سمراء ، وقورا ، فى السابعة والاربعين من عمرها ، رافعة الرأس فى شمم المتهم الذى يأبى الخضوع للاتهام !

واذ أبدى اعراضا عن الأكل ، معتذرا بالمرض ، حدجته بنظرة كتلك التى يرمق بها الكبير طفلا أرعن ، فقال : « أعتقد أن لابد من أن أنبئك ٠٠ لقد عرضت نفسى على طبيب ٠٠ لا داعي للاطالة ، فأنا مصاب ٠٠ بالسرطان !٠٠ ولا علاج الا بجراحة ٠٠ »

وأحس بغصة ، فغالب نفسه كى لا يبكى ، بينما اضطجعت الزوجة فى مقعدها ، وتأملته كما تتأمل مذنبا بشع الذنب ، وقالت : « أولم تجد وقتا أنسب من هذا للسرطان ؟ »

٠٠ فقال فى ذلة وكأنه يعوى : « لم يكن الأمر بيدى ٠٠ »

ورمقها فى بغض ، فرأى تحت حاجبيها الكثيفين العابسين عينين تفيضان بالعداء ــ على حين كانتا فى الماضى تومضان بالحب ! ــ وكان الهزال قد دب الى الجسم الذى كان من قبل جميلا ٠٠ ولكن الذى أمعن فى ايلام مستر « هس » هو أنه تبين أخيرا مدى انانيتها ، فطغى على أوجاعه البدنية شعور « وقائى » بالرثاء لنفسه !٠٠ كان من الفظاعة أن تنهار رقة نفسها ورجاحة ذهنها ، وأن يرى انه فقد كل سلطان كان له على فكرها !

لقد طالما فكر ــ خلال الفترة الاخيرة ــ فى مآلها لو أنه مات ٠ كان قد أمن على حياته ، ولكن التأمين لم يكن ليكتمل قبل بضع سنوات يدفع خلالها أقساطا باهظة ٠ وكانت لا تفهم فى مسائل استثمار الاموال وتدبير المعاش ، بل كانت تعتمد عليه فى عيشها وحمايتها ٠٠ وكان هذا ــ الى جانب بعض أعمال لم يتمها بعد فى الدنيا ، كرسالته التربوية ــ

يحمله على التشبث بالحياة !

واعتمد ذقنه بين راحتيه ، وأرسل بصره الى البحر ، وقال في مرارة : « قد تبرئنى الجراحة •• وقد أموت ! » •• وشعر **بأن فوق مأساته وآلامه وذلتــه ، كائنا عظيمــا ، جبــارا ، لا سبيل الى وصفه ، يرقبه كما يرقب العالم تجربة فى معمله ، وخيل اليه أن ذلك المراقب يوسوس له : « انك وحيد •• اعزل •• منبوذ •• الا العن ربك ومت ! »**

ومضت فترة قبل أن يستجمع شتات نفســــه ، ويرد على ذلك الصوت الموهوم ، وكأنه يحدث زوجته : « لا •• سأعرض نفسى للجراحة •• ما يليق بك ياعزيزتى ، ولا بى ، أن تنتهى قصتنا هكذا •• لا ، سأمضى حتى النهـاية •• وسأستسلم لمبضــع الجراح هنــا ، فى هـــذا البيت •• فان مت ، مت مناضلا ! »

ــ وتتركنى لمسز كروم ؟

وتداعى جلده أمام هذا السؤال •• وخيل اليه انه نسى أوجاعه ، ولكنها ما لبثت أن عاودته فى وخز والحاح متواليين •• وأحس بالعجز والحيرة •• وبأنه ــ على غير قصد منه ــ قد آذى هذه المسكينة التى كانت شريكة حياته وحبيبته •• وأخذ يحدق بعينين مكتئبتين فى عالم اصبح بغيضــا لديه !

٣ – الزائرون الثلاثة

• بينما كان هذاالحديث الحزين يدور فى مصيف (سندزينج) ، اخذ ثلاثة رجال يبحثون فى اهتمام حالة مستر « هس » ، فى مطعم احد منتديات لندن الفخمة •• وكان صاحب الدعوة هو « سير اليفاز بوروز » الذى احدث انقلابا فى عالم البناء ، وحل مشكلة البنايات الصناعية والمنازل الريفية •• اما ضيفاه فكانا مستر « وليم دباد » ــ الذى كان من قبل منتجا للسيارات ، فاصبح كبير موردى الطائرات فى انجلترا – ومستر « جوزيف فار » رئيس القسم الفنى بمدرسة « ولدينجستانتون » •• وكانوا من اعضــاء مجلس الاشراف على هذه المؤسسة ، ومن الموسرين •• كما كان سيــر « اليفــاز »

تلميذا لوالد مستر « هس » ، وصاحب فضل فى تعيين الاخير فى (ولدينجستانتون) ، وكان مسنا ، انيقا ، لطيفا .. فى حين كان مستر « داد » دقيقا ، اريبا ، بادى الحذر والنشاط معا .. اما مستر « فار » فكان ضخم الجسم ، لا تنفك يداه تتحركان فى قلق ، وتبدو جيوبه مكتظة بالدفاتر والمذكرات

قال مستر « داد » وهم يتعرضون لما احاق بمستر « هس » من سوء حظ: « اننى لا اؤمن بشىء اسمه سوء حظ .. وانما هناك اذا شئتما « سوء تدبير » !..

فقال مستر « فار » فى لهجة مبهمة وهو يتطلع الى سير اليفاز : « الى حد ما .. »

واستطرد سير اليفاز : « لا يسعنى الا ان ارى ان الرجل الذى يكل شئونه الى محام ـ كما تفعل الارملة او اليتيم ـ تعوزه ولابد رجاحة الحكم والتقدير .. »

واجمع ثلاثتهم على ان مستر « هس » كان مخطئا اذ عهد بامواله الى محاميه ، ثم انتقلوا الى سياسته التربوية ، فعاب عليه « سير اليفاز » استناده الى النظريات ، وادخاله المنطق فى تعليم كل مادة ، وتشجيعه التلاميذ على الاقبال على الفلسفة !.. وانتقد مستر « داد » اصراره على ايلاء تدريس التاريخ اهتماما خاصا كبيرا ، وتساءل عن المسئول عن حريق المدرسة .. وفى مداهنة خبيثة ، ورياء ماكر ، اخذ مستر « فار » يراوغ ، حتى اذا القى المسئولية فى النهاية على مستر « هس » ، كان قد مهد الجو ليرسخ قوله فى نفسى زميليه .. ثم عقب قائلا : « اننى اول من يعترف بما كان له من فضل رائع على المدرسة فى السنوات الاولى ، كما اننى آخر من يقدم على تغيير اصول العمل التى رسمها .. ولكن المرء لا يسعه سوى ان يقول انه لم يكن يعرف كيف يوزع سلطاته ، ويتخفف من المسئولية .. كنت وكافة مدرسى المدرسة نرقبه باسى وهو يترك الامور تزداد سوءا ، كى لا ينزل عن شىء من سلطاته ! »

فقال مستر « داد » : « اننى لم اقتنع قط باهتمامه البالغ بتدريس التاريخ .. لقد كان يلقن التلاميذ تاريخ (آشور) .. تصوروا .. (آشور) ! .. ان المواد التجارية والصناعية يجب ان تكون الاولى فى اية مدرسة حديثة »

فقال مستر اليفاز : « كان لابد لمدرسة (ولدينجستانتون) من ان تبدا عهدا جديدا ، وقد جاء ماحدث فاصلا بين العهدين .. »

قال « داد » : « هذا معناه ترشيح .. فار »

فاستتلى « اليفاز » : « اذا كان على استعداد لان يحمل العبء .. »

وهنا قال مستر « فار » : « لست اريد ان ارى المدرسة تنتهى الى خراب ، فقد انفقت فيها شطرا كبيرا من عمرى »

وكانت المشكلة هى مفاتحة مستر « هس » بشان هذا التغيير .. فاقترح مستر « فار » ان يذهبوا جميعا الى (سندرينج) ، التى اعتاد هو ان يقصدها

ليلعب الجولف ، وكان التقاءهم فيها محض مصادفة !

★ ★ ★

• وهكذا التقوا ثلاثتهم فى فندق « الجولف » فى (سندرينج) مساء الجمعة .. وكان الجراح الكبير سير « الفيوس منجو » قد اعتزم ان يصل فى الصباح التالى ، وأن يقوم باجراء الجراحة قبل الظهر ، ومن ثم كانت الفرصة الوحيدة للثلاثة تنحصر بين ساعة الفطور وموعد وصول الجراح .. وكان الاستخذاء قد فارق مستر « هس » وتولته لهفة محمومة على الحديث فى أمر المدرسة وعرض آرائه بشأن مستقبلها .. ومن ثم تقرر ان يتم الاجتماع فى الساعة التاسعة والنصف من صباح السبت .

ولم تبد الامور من السوء كما خال مستر « هس » ، فان مسز « كروم » لم تثر كثير اعتراض ضد اجراء الجراحة فى دارها ، ما دامت ستصيب اتعابا اضافية .. بل انها بدت مغتبطة حين اقبل سير « الفيوس » تتبعه علب الادوات والمواد المعقمة ، وانهمك فى اعداد مسرح العملية ..

ولم يعد مستر « هس » مكتئبا ، بل انه لاح مطمئنا الى نفسه ..

وكان سير « اليفلز » أول من وصل من رجال المدرسة ، ثم تبعه زميلاه .. وكان مستر « هس » قد قضى الليل بطوله يفكر فى الامر ، دون ان تشغله اوجاعه .. فلما وصلوا كان متاهبا للقائهم بذهن صاف ، ومن ثم اقصى زوجته عن الحجرة فى رفق ، وابتدرهم قائلا :

ـ اعرف تماما المهمة التى جئتم من اجلها .. جئتم تقصوننى عن منصبى كناظر لمدرسة (ولدينجستانتون) . ولقد كان مستر « فار » ..

وهم هذا ان يقاطعه ، لكن « هس » تابع كلامه : « لا .. احب اولا ان احدثكم قليلا عن المدرسة ، وعن دورى فيها ، وعن عملى فى التربية ، وعن موقفى من ذلك كله .. لقد كنت منذ شهور واثقا من ان امامى عشرين عاما اخرى قبل ان اتقاعد ، رغم اننى اليوم قد تجاوزت الخمسين .. ولكن لم تلبث ان انصبت على المصائب ـ وآخرها ما اعانيه الآن ، فان جسمى يتعذب ، وعقلى مثل سباح يكافح امواج الالم ، بعيدا عن الشاطىء ! ـ على ان اقسى الضربات ايها السادة ، وآخر الضربات ، هى اقصائى عن العمل الذى انفقت فيه عمرى !.. لا تحاولوا التخفيف عنى ، بل انصتوا ودعونى اتكلم .. »

.. وبدت فى صوته نبرة السلطان الذى كان يحكم به مدرسة (ولدينجستانتون) طيلة خمس وعشرين سنة .. ثم استطرد : « ان فى اختتام عملى فى المدرسة ، نهاية لوجودى وكيانى .. دعونى افضى بكل ما فى نفسى ، فبعد ساعة قد اصمت الى الابد .. اننى ظللت حياتى اتكتم دينى ، فلماذا اتكتمه الآن ؟.. لقد حاولت دائما ان ابدو لكم شخصا « عمليا » ، قادرا على السيطرة على نفسى .. ولكننى كنت ـ فى السر ـ متدينا الى اقصى حد . وكانت (ولدينجستانتون) مذبحى الذى قدمت عليه نفسى لله قربانا ..

وانى لادرك الآن اننى اخطات وتهاونت ، وكنت متراخيا ومتهورا ، ولكنى بذلت قصارى ما فى وسعى . خدمت الله باقصى ما لدى من قوة ومعرفة ، والآن ـ وقد ادلهمت الظلمات ـ أين هذا الرب الذى عبدت ؟ .. لماذا لا يقف بينى وبين هذا الضرر الذى تريدون الحاقه بالعمل الذى وقفت عليه عمرى ؟ »

وتلفت مستر « داد » الى مستر « فار » بعينين تفيضان ارتياعا .. ولكن مستر « هس » مضى وكانه يتحدث الى نفسه : « لقد تاملت قلبى فى الليل ، وفتشت بين حناياه عن دوافع وضيعة وخطايا مخفية .. حاكمت نفسى لادرك السر فى ان الله يحجب نفسه عنى الآن ، فلم اجد سببا !.. اننى فى مرارة الاسى أميل الى أن انصاع لكم واقول : خذوا المدرسة وافعلوا بها ماشئتم .. فان قرب الموت يحيل الاشياء المالوفة المجربة ، الى اشياء بعيدة عن الواقع .. وليس اقرب الى الواقع عندى الآن من ذلك الظلام الذى يخيم فوقى ، ويوسوس لى فى الحاح أن اسب الله ثم اموت !.. فلماذا لا افعل ؟ .. لماذا اتمسك بعملى اذا كان الله ـ الذى تقربت اليه بهذا العمل ـ يتركنى ؟.. أظننى افعل لأننى لا ازال ارجو اشارة تعيد الى نفسى الطمانينة .. لأننى لم انهزم تماما بعد .. والآن .. ساصارحكم بما يدعونى الى ان اناضل كى لا توكل المدرسة الى « فار »

واحتج مستر « فار » .. واكد « سير اليفاز » انه صاحب الاقتراح فى ان يخلفه « فار » .. فقال مستر « هس » :

ـ لقد كانت (ولدينجستانتون) حين جئت اليها ، مدرسة عادية ، لاتضم اكثر من سبعين تلميذا ، يدرسون وفق منهج بال ، عتيق .. اما اليوم .. ان قيمة المدرسة ليست فى البنايات والمعامل والمتاحف التى تضمها ، وانما قيمتها فيما تربيه من عقول ونفوس .. وهى كى هذا قد اصبحت مشعلا .. لقد اوقدت فى المدرسة شمعة فغدت اليوم مشعلا .. ولعل رياح القدر تدفعها لتضىء للدنيا كلها !

واستبد به الحماس ، فنسى آلامه واوجاعه وهو يستطرد : « ترى ما هى مهمة المدرس فى الدنيا ؟ .. انها أعظم المهام الانسانية .. اذ ما الانسان بغير علم ؟ .. انه يولد كالوحوش ، جشعا ، انانيا ، شهوانيا ، جم المخاوف .. لا يقدر شيئا الا بالنسبة الى نفسه .. حتى الحب لديه صفقة ومساومة .. ونحن ـ معشر المدرسين ـ الذين نرفعه عن هذا الانصراف الى نفسه .. نحن نفتح عينيه على الماضى والمستقبل وعلى حياة الانسان الخالدة .. ومن ثم فهو ينجو من العدم على ايدينا وحدنا .. ان الرجل المتعلم انسان تحرر من اسار النفس ليساهم فى حياة باقية لا تموت ، لا ندرى متى بدات ، ولكنها تنمو فوقنا .. فوق النجوم .. لقد سيطرت على (ولدينجستانتون) خمسا وعشرين سنة وهبت خلالها الاعمى ابصارا .. ومنحت آلافا من الصبية فهما ، فهما ساميا ، يشمل الانسانية باسرها ، لا قوم اولئك الصبية فحسب .. علمتهم تاريخ الجنس

البشرى ، ليصبح مجالا لمغـامراتهم .. وعلمتهم الجغرافيـا ليسيطروا على العالم .. واللغات لتكون نوافذ يطلون خلالها على الشعوب الاجنبيـة .. والعلوم ليرتادوا مجاهل المادة .. واستطعت دائما ان استبقى « فار » فى الحدود التى يكون فيها نافعا . ولقد اصبح بعض تلاميذى رجال اعمـال ناجحين ، ولـكنى ابدا لم اسـع - ولن اسعى - الى ان اجعلهم رجال اعمال .. وانما سعيت الى ان يوفقوا فى كل مهنة ومجـال ، وينطلقوا فى الحياة سادة ، مهذبين ، واسعى الفكر والفهم ، بعيدين عن الانانية ، متمكنين من انفسهم ، خداما للجنس البشرى ، لان تعليمهم قام على اساس تحريرهم من الاشياء الوضيعة ، الضيقة النطاق .. وعندما جـاءت الحـرب كانوا متاهبين لها .. كم منهم لاقوا حتفهم ، وبينهم ابنى الأوحد ! .. يجب ان تبقى سـياستى فى (ولدينجستانتون) كما رسمتها .. يجب !.. ما الذى جعـل ابنـائى موفقين ؟.. انه التاريخ ، وعلم الاحيـاء ، والعلوم والفلسفة ، فهذه جمـاع الحـكمة !.. واذا اريد للمدرسـة ان تبقى ، فيجب ان يراسها رجل قدير فى تدريس التاريخ .. رجل فيلسوف ، وعالم بالاحياء ، وخبير بالآثار ، وملم باللغات .. ان « فار » لم يفهم يوما روح رسالة المدرسة ، فان افقه ضيق .. انه يفكر فى الكيمياء والطبيعة كمهنة ، لا كوسيلة للادراك .. انه يظن اننـــا نحارب الالمان ، وان ابنى الغالى وامثاله ممن لا حصر لهم من البواسل ، ضحوا بارواحهم لنحل محل الالمان فى حكم البلاد !.. هذا مجال فكره ، اذ لا دين له ولا عقيدة ولا ايمان .. لماذا يطمع فى مكانى ؟.. أيبغى ان يخدم كما خدمت ؟ .. لا ، وانما لأنه يحسدنى وينفس على بيتى ، ودخلى ، ورئاستى للمدرسة ! »

★ ★ ★

• وهموا ان يتكلموا ، ولكن الكلمات احتضرت على شفاههم ! .. وشحب وجه مستر « فار » وتفصد العرق منه .. واخيرا استطاع « سير اليفاز » ان يتكلم ليلوم مستر « هس » على انه يرى نفسه خالق المدرسة وقائدها ، متناسيا فضل مجلس ادارتها ، والنظار الذين راسوها فى الخمسين عاما السابقة على عهده ، واولئك الذين يهبونها المال اللازم لها .. وتشجع مستر « داد » ، فقال ان المدرسة انشئت لتكون معهدا تجاريا حديثـا ، ويجب ان تبقى كذلك !

وعاد « سير اليفز » يقول : « لقد افلتت منك يا مستر « هس » اشياء آلمنى واذهلنى ان اسمعها منك .. انك لم تتكلم عن جحود الانسان فحسب ، بل اضفت اليه جحود الله ! .. سمعتك تقول ان الله ساكت لا يسـاعدك ، وانه تخلى عنك برغم اعمالك الجليلة .. اما وانت تقف على حافة « السر الأعظم » - الموت - فاننى اريد ان احاجيك .. اننى لا اعلن عن تقواى ، ولكنى مضطر الى ان اعترف باننى ادين بالكثير لله .. انك تحت وطأة المحن التى تتلقاها النفوس التقية بالحمد ، تكشف عن تشبث بالزهو والاعتداد ..

تماما كما كنت تفعل حين تملى علينا مطالبك للمدرسة ، دون أن تسألنا رأينا ، وكان هباتنا فروض واجبة !.. ان الله لا يبتلى الانسان دون ما داع للابتلاء .. اننى رجل مسن ، وقد شهدت الكثير فى الدنيا ، سيما دنيا المال والصناعة المليئة بالفرص السريعة الافلات ، وبالمزالق !.. ومارأيت ابدا فى كل تجاربى رجلا مستقيم الذهن ينهار ، ولاسمسارا أمينا يمنى بالخراب .. »

ومضى يضرب الامثال على أن الله كان يوحى اليه فى سويعات الحرج بما ينقذه من خراب محقق .. وعقب مستر « داد » قائلا لمستر « هس » أنه اذا راى اعماله تنهار ، فليس معنى ذلك أن الله أخطأ وتنكر له ، وانما معناه انه هو الذى اخطأ .. « انك قد تكون استاذا عظيما ، شهيرا ، ولكن الله استاذ أعظم وأشهر .. ولابد انك اخفقت فى اقناعه بكمال سياستك التربوية ! »

واخلد مستر « هس » برهة للتفكير ، ثم قال : « لقد سألت نفسى طويلا فى هذا الصدد .. لا ، لا اعتقد اننى كنت مخطئا ، بل مازلت مؤمنا بأن العمل الذى كرست له نفسى كان صائبا ، صحيحا فى روحه وغرضه ، وصحيحا فى خطته واسلوبه .. ان ايمانى لم يكن أقوى منه الآن ، ففى قلبى اله .. فى قلبى — على الاقل — اله أرشدنى دائما الى الصواب ، ولكنه لا يرشدنى الآن .. على أن ضميرى لا يزال صامدا ، منيعا .. هذه المصائب تحيرنى ، ولكنها لا تذلنى .. لقد انهكت ذهنى المسألة التى اثرتها يا سير اليفاز : مسألة الدستور الخلقى الذى يحكم العالم .. لطالما سألت نفسى : هل الفشل نقمة ؟.. وهل النجاح اشراقة الرضا من الله ؟.. انك تذهب الى أن معنى الصواب عند الله هو عين معناه عندنا ، وان رخاءك دليل رضاء الله عنك ، ومصائبى مظهر سخطه على .. ولكن المصائب التى لاحقتنى جعلتنى أواجه المسألة الأساسية : هل تقدير الله للصواب يتمشى مع معنى الصواب فى ادراكنا ؟.. هل يحفل الله بما يثقل ضمائرنا من مشكلات ، وبجهادنا لنفعل الصواب ؟.. لقد آمنت منذ حداثتى بالله كأب للكون ، وبالمسيح كابن له لم يصلب الا لينتصر ، وليرفعنا فى النهاية اليه .. ولكن الايمان بهذا معناه الايمان باستمرار نضال الجنس البشرى .. أى أن حياة الانسان يجب أن تكون كنار دائمة الانتشار .. فاذا قدر للصواب والخطأ أن يضيعا هباء دون ما اكتراث ، واذا كان ثمة عذاب بلا هدف ولا ثمرة ، واذا لم يتضح الأمل فى حياة خالدة تترتب على كل الاشياء الطيبة ، فلا معنى للايمان .. بل يكون ايماننا كجذوة تشتعل فى ظلام تنتابه الرياح ، ولن يعقبه فجر !.. لقد ارقت الليالى الكثر ، فانتهيت الى ان من المحتمل أن لا يكون سوى فراغ دامس الظلمة ، قر البرد ، حيث اعتقدنا أن ثمة الها مسيطرا على الكون ! »

★ ★ ★

• وانفجر مستر « داد » يعيب عليه اضاعة الوقت فى فلسفة تقود الى التجديف ، قائلا : « يكفينى الكتاب المقدس ، والدين الذى تعلمته فى حجر

امى » .. بينما تحول مستر « هس » يروى لهم ما حدث فى يوم خرج فيه للنزهة فى الريف ، قبل ان يشتد به المرض .. كان الجو ساخنا .. وانتهى الى غابة على مسافة ميل من (سندرينج) ، فحـاول ان يستريح ، ولـكن الذباب والحشرات اقضت راحته ، واضطرته لأن يشرع فى العودة .. وتحامل على نفسه متعبا .. « وفى حالى تلك ، صادفت – تبـاعا – عدة أشياء ، بدا لى فى تعبى وضيقى أن يدا وضعتها فى طريقى عمدا : كان اولها ارنبا صغيرا جدا ، شوهت جثته اشنع تشويه .. واسرعت أبتعد عنه محاولا أن أنسى المنظر ، واذا بى أصادف صفا من اجسام بنيـــة اللون .. حيوانات صغيرة ، ضحايا طير من الطيور الجارحة ، ولا تزال اجســـادها متوترة العضلات من الألم .. وعلى مسافة اخرى ، صادفت قطا بريا بشع المنظر ، يحمل عصفورا صغيرا ، فلما رآنى افلته وهرب .. وراح العصـفور يدور حول نفسه عاجزا عن النهوض ، فخطر لى ان اقتله لأضع نهاية لعذابه ، لكن مقاومته الواهنة جعلتنى ابدو قاتلا ، اكثر منى مشفقا ! .. قتلته وانا اتالم ، واسرعت بالفرار قائلا : « اهذا الجحيم من خلق الله ! » .. وفجاة ، خيل الى ان النسب والمعابر انجابت عن بصرى ، واننى ارى الكون كله وقد ازاح النقاب عن وجهه ، فاذا به يطفح بشر لاحد له !.. وخيـل الى ان قوة من الظلام جثمت فوقى ترقبنى بنظرة ساخرة .. ولم اقو فيما بقى من ذلك اليوم على ان افكر فى مصائب الكائنات الحية وتعاساتها .. ولست ادرى لماذا اشفقت على الحيوان أكثر من اشفاقى على الانسان .. لعل مرد ذلك الى ان آلام الانسان تمتزج بامور خلقية ومعنوية ، فهو يستعرض ما قبل النـكبات وما بعدها ويجد فى ذلك مبررات للنكبات وعزاء .. اما الحيوان فليس له سوى احواله الراهنة !

« اننى لأتساءل : هل فى هذه الدنيا مخلوق واحد سليم معافى ؟.. لقد لاحظت ذات يوم أن ما من شجرة الا وبها عطب او نـدوب او آثار اغصان كسيرة ، او فروع ذوت .. حتى العشب تحت قـدمى ، بدا مضنى ، وقد انتشرت فيه الحشرات .. وبدا كان النباتات الزاحفـة مشتبكة فى صراع بطىء ، ومعظمها مسلح – كالسفاكين – باشواك ، او شعيرات ذات وخز .. وبعضها سام .. وهذه هى حقيقة الحياة .. فما الدنيا الا كهذه الغابات ، يواتيها فصل للنمو ، ثم تعود بقية العام نهبا للسطو والعـدوان من مخلوقات تستبيح مانما فيها !

« لا تعيبوا على أن اتخذت امثلة من النبات والحشرات الصغيرة ، فانهـا جزء من نسيج الحياة العامة .. ومع ذلك ، فان الوحوش الضخمة هى الاخرى تمضى فى الحياة معذبة ، مطاردة ، خائفة .. ان الجاموس الهـندى الضخم معذب دائما بافواج من الحشرات .. والنمر يعيش دائما موجسا ، متربصا ، يهيم نصف اوقات يقظته جائعا ، فاذا قتل فريسة ، اقبل عليها فى نوم حتى يملأ بطنـه فيثقل حراكه ، ويستلقى مسترخيا ، واذ ذاك يفاجئه الصياد فيصرعه !.. لقد حاولت فى ذلك اليوم ان اتذكر صورا لسعادة المخلوقات ،

فلم أتذكر سوى فظائع ·· أترون كيف يبدو طائر القطا « البنجوين » فى الصور حزينا ؟·· ان بيضه دائما معرض للكسر والتلف لأسباب عديدة ، ابسطها وقوعه على الجليد اليابس ، أو سقوطه فى فجوة الى الماء القارس تحت سطح الجليد ·· ومن ثم يغالى الطير - ابا واما - فى حماية البيض القليل الذى تبقى ·· واذ كان الحرص على بقاء النوع يدفع من لا بيض له الى سرقة البيض من سواه ، لذلك نرى السعيد الذى يقتنى بيضة ، يلازم عشه لايبرحه اياما ، رغم الجوع والبرد ·· ولكن هذا لا يقيه الانقراض ، فان جماعات من البشر تسعى لاقتناصه وقتله واستخراج مافى جسمه من زيت !·· ان الذين يقومون بهذا العمل قد تلقوا تدريبا على الأعمال التجارية ، كما ترون ، فهم يعتقدون ان الله يمنحنا القوة لأنه يريدنا على ان نفيد منها ، وأن من العدل ان يقنصوا كل مايعود عليهم بالربح ! »

وهم كل من مستر « داد » ومستر « فار » ان يقاطعه ، ولكنه قال : « دعونى أكمل حديثى : هل فكرتم يوما فى قيمة الجموع الهائلة من الكائنات الطفيلية ، وفيما فى وجودها ذاته من قسوة ؟·· انها تكرس حياتها للعدوان على الأنسجة الحية فى أجساد المخلوقات الأخرى ، ولا سبيل لها الى الحياة بغير هذا ·· هل فكرتم فى آلاف الحميات المعدية التى تصيبنا بها هذه الطفيليات ·· لغير ما مبرر ، ولاعدالة ؟·· على ان كافة آلام البشر من هذه الناحية ، لاتقاس بما تعانيه الوحوش ، التى لاتعرف كيف تدفع عن نفسها هذه الطفيليات او تخفف من آلامها ·· افهذه دنيا خلقت لاسعاد المخلوقات ذات الحس والشعور ؟!·· ماذا يملك الانسان ازاء هذه الحقائق سوى أن يتمرد ؟·· كيف يثق فى الخالق الذى صنع هذه الطفيليات واطلقها تتكاثر بنسبة هائلة ، وكيف يتوقع منه انصافا ؟ »

★ ★ ★

◆ وكان مستر « فار » طيلة الوقت يبدى تململا ونفاد صبر ، فلما فرغ مستر « هس » من حديثه انطلق يبدى استنكاره لما سمع من رجل كان مؤتمنا على تعليم فتيان لم يستكملوا نضوجهم الذهنى ، ولم يستقر الايمان فى قلوبهم ·· ثم استطرد قائلا :

- انك فى حالك السقيمة يامستر « هس » تبدو عاجزا عن ان تتبين ما فى تحقيرك لجلائل خلق الله من أنانية وصلف ·· على انك كنت هكذا دائما ، وقد عانيت من صلفك وغرورك اثنى عشر عاما !·· اننى اعتقد اننا جميعا كنا مليئين بالاشفاق عليك حين قدمنا ، ولكنى اصبحت ارى الآن ان ماانزله الله بك اقل مما تستحق !·· انك تنتقد الكون الذى صنعه الله ، فاى كون تراك كنت صانعا لو انك كنت الخالق ؟·· اننى لا اراك تصبو الى اقل من منصب « ناظر » الكون ، واذ ذاك تستطيع ان تستغل مواهبك على اكمل وجه : فلا تعود القطط تنقض على العصافير ، وتنمو الأشجار فى تناسق دقيق حتى تمس السماء ··

حتى البراغيث أكاد أراها فى عالمك مخلوقات تطفح بالصحة والسعادة وتقوم بأعمال الخير كأولاد الكشافة !

وكف مستر « فار » عن سخريته ليهيب ب « هس » فى ضراعة أن يتخلى عن تجديفه وهو فى ساعة الخطر ، وأن يدرك أن النيـــل من الله لن ينقذه من نكباته !

٤ ـ هل نموت حقا ؟

◆ وقطع الحديث قدوم الدكتور « اليهو باراك » .. وكان شابا لا يكاد المرء يلاحظ أن له ساقا صناعية ـ اذ فقد احدى ساقيه فى الحرب ـ وكانت قسمات وجهه تنم عن رزانة وحزم .. وبعد أن تأمل الرجال الأربعة مليا ، قال لمستر « هس » فى لهجة صاحب السلطان : « كان يجب أن تلزم فراشك .. ان الجلوس يتعبك »

وتعلل مستر « هس » بأنه مضطر الى أن يخوض هذا الجدل الذى كانوا فيه قبل حضوره .. فحدج الطبيب الحضور بنظرة صارمة ، بينما أخذ « سير اليفاز » يبين له كيف أنهم جاءوا فى مهمة خاصة ، فاذا مستر « هس » يبعد بهم عن الموضوع ، ليتحدث عن تعاسات الحياة ، وليقول ان الدنيا يسيطر عليها احد اثنين : اما اله قاس ، واما اله يسف فى عدم الاكتراث حتى يفقد الوهيته !.. وهنا تصدى مستر « هس » للحديث قائلا :

ـ اننى مذ خلفت (ولدينجستانتون) لم أكف عن التفكير ليل نهار فى أسس هذه الحياة .. وقد اضطررت الى أن أعيد النظر فى معتقداتى وايمانى وحوافز تصرفاتى ! لقد توالت على المصائب متتابعة ، سريعة ، دون سبب أو مبرر .. فاذا بى أرتمى فى غياهب الشك والقنوط ، فيتبدى لى العالم قاسيا ، اسود .. لقد كنت أنكر ـ حتى قبل أن تكتنف الغيوم ايمانى ـ ان اله الخير يحكم هذه الدنيا بحيث يعنى بالصغيرة والكبيرة ،

ويوزع علينا الجزاء والعقاب يوما بعد يوم ٠٠ ولكن هؤلاء السادة يؤمنون بالعكس : يؤمنون بأن النجاح جزاء التقوى ، والعناء عقاب عدم الاستقامة ٠٠ وهذا كله وثيق العلاقة بالتعليم والتربية ، **فقبل أن تعد الأولاد لدورهم فى الدنيا ينبغى أن نتساءل : ماهذه الدنيا التى نعدهم لها ؟٠٠ أهى مأساة أم مهزلة ؟٠٠ مانوع الرواية التى سيضطرون الى تمثيلها ؟**

وكان الطبيب ينصت فى تحبيذ ، فاستطرد «هس» قائلا : « وعلى هذا ، فان كان النجاح هو الجزاء فى الحياة ، وجب أن نعد الأولاد للنجاح فقط ، فلا حاجة بالناس اذن لأن يفهموا الحياة ذاتها ، طالما كانوا يؤدون وظائفهم فيها ٠٠ هذا رأى السادة المشرفين على المدرسة ، ورأى معظم أهل الدنيا : « خذ الحياة على علاتها ، وأطع ماهو كائن ، أى استسلم ٠٠ فان الحياة ينبغى ألا تكون مغامرة وكفاحا ، وانما مجرد طاعة واستمتاع بجزاء الطاعة ! » ٠٠ على اننى آمنت دائما بأن مايطلبه الله من الانسان هو أن يبذل قصارى جهده ليتعاون وليفهم ٠٠ وهذا ماعلمته لأبنائى : **علمتهم الفكر والخيال قبل كل شىء ٠٠ كنت ألقنهم المعرفة ، معرفة الانسان ، ودنياه ، ومايمكن أن يكون عليه الانسان ، وماكان محتملا أن يكون عليه ، ولهذا كنت أعلمهم الفلسفة والتاريخ** ٠٠ ولو استطعت أن ألقنهم المعرفة بدون الطبيعة والكيمياء والرياضيات لأقصيت هذه عن البرنامج ٠٠ والآن ، والظلمات تكتنف حياتى ، وقد تفتحت عيناى على ألوان العذاب والشقاء التى نسجت منها الحياة ، أرانى أكثر تشبثا بروح التقوى والصواب التى تعمر قلبى ! »

وانطلق يتحدث عن « الاله » الذى تضىء جذوة الايمان به قلبه : اله لايقر العذاب المهين الذى يسود الحياة ، ولا يرضى أن يكون قد خلق الكون عبثا ٠٠ فاذا كان الاله الذى يريدونه

على أن يؤمن به ـ لأن الدين يدعو الى ذلك ـ يختلف عن ذاك الذى يعمر قلبه ، فلن يزيده هذا سوى تشبثا بالهـــه !.. ومضى يستعرض ماتوصل اليه الانسان من معرفة عن الأرض فى بدايتها ، وكيف تطورت ، وتطورت الحياة عليها على مر العصور .. ثم استطرد قائلا :

ـ وأخيرا جاء الانسان .. المخرب ، مشعل الحروب والنار فى الدنيا .. أى أمل له فى النهاية ؟.. ان اشعاع الشمس يفقد شدته يوما بعد يوم ، ولسوف يأتى اليوم الذى تفقد فيه الشمس حرارتها ، وتجمد فى الفراغ لا تشرق ولا تغيب !.. ولسوف يأتى اليوم الذى تموت فيـه الحياة على الأرض وتعروها برودة جليدية كما حدث للقمر .. ولـكن فى أعماق قلوبنا روحا ، الها يهتف : « لا » !.. ولكن ، هل هناك صوت يرتفع خارج أجوافنا فى الكون البارد الخاوى ، مرددا هـذه الـ « لا » ؟

وهتف سير اليفاز حائرا : « ان مرضك يصبغ الأوضاع فى نظرك بصبغته .. ان ماتقوله صحيح تماما ، وزائف تماما أيضا .. ان الحياة كما قلت نفحة من هواء ورطوبة على هـذا الـكوكب الضئيل .. ولكن ، **كيف كان لنا أن نوجـد وأن نستمر فى الوجود ، لو لم تكن تحف بنا فى كل لحظة رحمـة الله وحكمته ؟.. مامن شعرة من رأسى تقع على الأرض دون علمه وموافقته .. اننى رجل تلهينى مشـاغلى عن القراءة ، ولـكننى خلال حديثك كنت أفكر فى بعض العجائب : عين الانسان .. تكاثر النبات .. الدقة التى روعيت فى مقاسات كل جناح فى الحشرات ذات الأجنحة القشرية التى تبدو كأنها نسجت من غشاء !.. القدرة الرحيمة التى تصد وطأة الريح عن الحمل الذى لم ينبت صوفه بعد ..** النظـــام الرتيب ، والطاعة الانسياقية ، اللذان يبدوان فى إنقسام الخليـة فى البويضة الملقحة لتبنى جسما كاملا لكائن حى .. أرأيت النطفة

التى يخلق منها الانسان ، كيف تنقسم تباعا حتى تغدو اثنتين وثلاثين خلية ٠٠ ثم تهتف احداها : « أنا أصبح شعرة » ٠٠ وأخرى تصبح كرية دموية ٠٠ وثالثة خلية فى المخ ٠٠ وهكذا تتخذ كل منها مكانها !؟٠٠ اننى لست متعمقا فى العلوم ، ولـكن ، انظر الى الماء ٠ كل السوائل الأخرى ـ فيما عـدا واحدا أو اثنين ـ تنكمش بالبرودة والتجمد ، أما الماء فيتمدد بالتجمد !٠٠ والماء موصل غير جيـد للحرارة ، فلو أن وزنه ازداد بالتجمد لغاص الى القاع فى البحار القطبية وبقى دون انصهار ، وهكذا تتراكم طبقات الجليد حتى يصـبح المحيط بأسره متجمدا ، وعندئذ تكف الحياة !٠٠ ولولا بخار الماء الذى يتصاعد ويتخلل أشعة الشمس ، لاحترق وجه الأرض فى النهار ، ولتجمدت الدنيا فى الليل !٠٠ وهكذا ترى رحمات الله ونعمه : أنا نفسى ، بل الجسم الانسانى عامـة ، تسعون فى المائة منه ماء ! والماء حين يتجمد فى الهواء فى الشتاء ،لايتساقط فى قطع جليدية صلبة ، وانما يهبط فى بلورات بديعة الشكل، دقيقة الحجم ، لينة ٠٠ وعـــلى الأرض تنضم كل بلورة الى الأخرى ، لتنسج غلالة دافئة كالصـــوف ، حول البراعم والنباتات الوليدة !

« انك تلوم الله اذ خلق الطفيليات ، ولـــكن ، ألا تراها أرسلت لتعلمنا درسا أدبيا عظيما ؟٠٠ انها تعيش عالة ، فاذا عثرت على مورد أخذت تفقد صفاتها وتكوينها ، وتغدو أجساما دقيقة لا تكاد ترى فى الغالب بالعين المجردة ٠٠ أليست تعلمنا بحياتها هذه ـ على وضاعتها ـ درسا فى الاعتماد على النفس ؟
ومع ذلك فانها لاتخلو من نفع ، فلقد قيل لى انه لولا «البكتريا» ما استطاع الانسان أن يهضم غذاءه ٠٠ ثم ، تأمل المراحل التى مرت بها الحياة على الأرض ، وماتخللها من تطور رائع ، منظم، حتى ظهر الانسان ٠٠ أى عمل رائع يمثله هذا الانسان !٠٠ أفبعد هذا ترتاب فى أن يد الله تقود كل شىء ؟ »

فقال مستر (هسن) : « ليس وجود بعض نواحى الجمال فى الدنيا دليلا على رضى الله ، بل انكم لاتجدون جمالا دون قبح يقابله !٠٠ وليس بين ماذكرت شيء الا ويشير الى مافى هذا النظام الذى نعيش فيه من عدم اكتراث بنا !٠٠ ان الجمال يحدث ولايمنح ٠٠ والألم والعذاب والهناء أمور لاتخفى ٠٠ ولكن جذوة الصواب والعمل الصالح لاتتقـــد الا فى قلب الانسان !٠٠ لقد تحدثت عن عجائب تطور البويضة والعلقة ، واعترف أنها عملية دقيقة رائعة ، ولـكن ، أى مساس لهـا بشكوكى ؟٠٠ انها تزيد من شعورى بأن الله الذى يسيطر على هذه الدنيا ، يصدر فى سيطرته عن سخرية أكثر منه عن حب !٠٠ ان انقسام الخلايا وتكوينها الجسم عملية رائعـة ، ولـكنها قد تنتهى الى خلق معتوه أو مقعد أو عاجز ٠٠ ولقد تحدثت عن نظام التطور والرقى المطرد ، وكيف أن هذا النظام بلغ أوجه بظهورنا ، معشر البشر ٠٠ اننى أرى فعلا التغـير والتحول مستمرين ، ولكن دون ما خطة ، ودون ما عاطفة ٠٠ تأملوا مثلا هجرة الطيور عبر البحر الأبيض المتوسط ٠٠ لقد كانت الأرض تمتد من افريقيا الى أوربا فى عصور سحيقة ، فنبتت فى الطيـــور غريزة الهجرة من الجنوب القائظ الحر ، الى الشمال ذى الصيف المعتدل ، كى تتوالد ٠٠ وعلى مر الاجيال ، زحف الماء حتى فصل ما بين القارتين ، ومع ذلك ظلت الطيور مواظبة على رحلاتها التى تهلك خلالها أسراب منها ، اذ يبلغ بها الكلل والارهـاق مبلغهما وهى فوق البحر الواسع ، ولامن

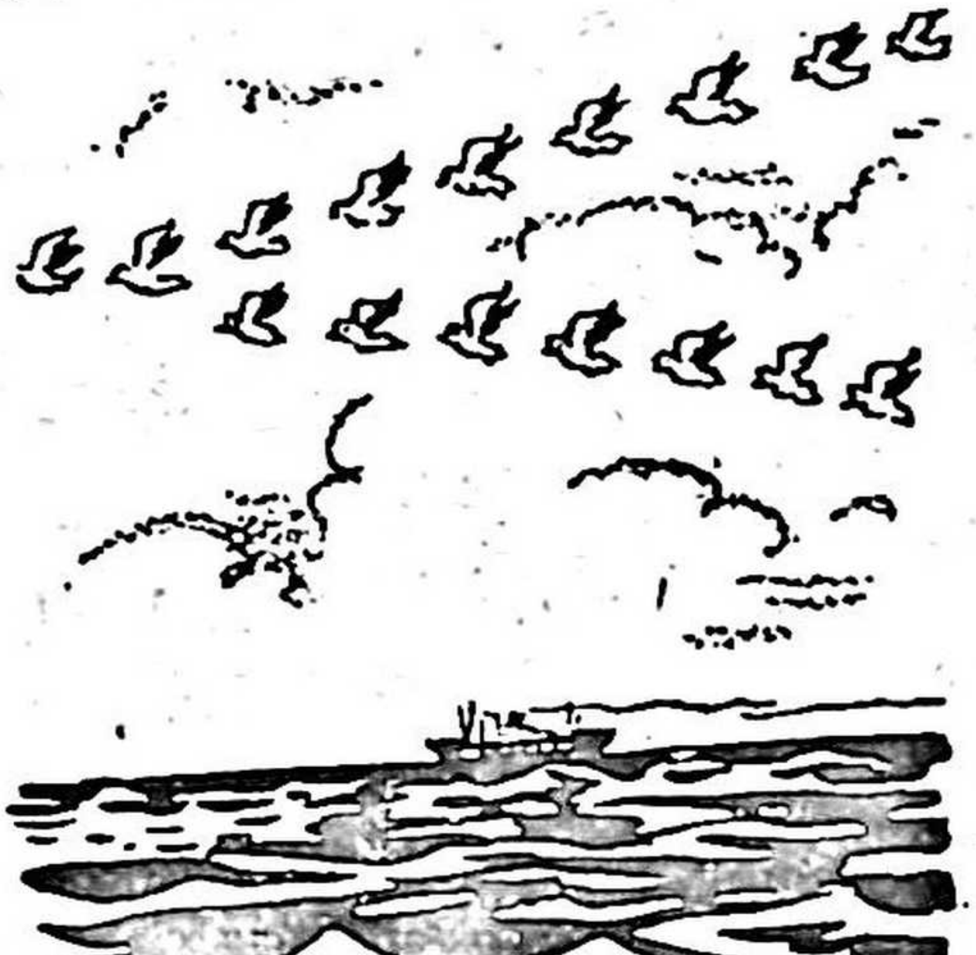

محط ترتاح عنده ، فتهوى فى الماء وتهلك •• بل انظروا الى الانسان ، الذى يتوج هذا التطور ، وانظروا الى انعـــدام التناسب بين رغباته وشهواته •• »

ومضى « هس » يختار الأمثال من العصور الجيولوجيـــة العتيقة ، وكيف أن بعض النبات والحيوان اختفى خلال ركب التطور وتلاشى •• ضرب مثـــلا بالعصر الأوســط ـ عصر الزواحف ـ وماكان فيه من أحياء ضخمة « كالديناصور » ، وكالأنواع التى لاحصر لها من الحيوانات المائية ، ثم مسحت يد الموت دنيا الأحياء ـ كما تمسح أصابع طفل لوحـــه الاردوازى وهى مبتلة ـ فقضت على كثير من هذه الأحياء دون أن تترك أفرادا منها !•• وتحول يتساءل عن نتيجة التطور : لقد تضاءلت الأجسام وصغرت •• ثم ما النهاية ؟•• لسوف تخمد حرارة الكون يوما ، فتظلم السماء ، وتتجمد الأرض من الزمهرير •• »

واستطرد « هس » يقول وقد برح به الارهاق : « ليس فى الماضى ما يطمئن ، ولا فى المستقبل ما يبعث على الامل•• ليس هناك سوى اله الايمان والشجاعة فى قلوب البشر •• ولكنه لايبعث أية اشارة تنم عن القوة ، أو الرغبة فى النصر •• »

فشهق سير اليفاز قائلا : « الخلود !•• الدوام !•• عدم الموت !•• اعتقد أن هذا هو الأمر الذى نسيناه •• انه الفرق بيننا وبينك •• انك تؤمن بأن كل شىء صائر الى الموت ، وان الموت « نهاية » كل شىء !•• أنك اذ تعمى عن الخلود ، تعمى عن كل شىء ! »

وقال دكتور « باراك » انه لايرى هـــذا الرأى •• فانضم مستر « داد » الى سير « اليفاز » ، الذى اســتطرد يقول ان الايمان بالخلود يبرر مايحدث فى الطبيعة •• فالدنيا مسرح امتحان ، وتدريب •• فقال مستر « هس » : « اذا كنت تعتقد فعـــلا ان الدنيا مسرح لاعداد النفس والروح ، فماذا تظنك

فاعلا اذ تفكر فى وضع (ولدينجستانتون) بين يدى مستر فار ؟ »

فقال مستر «فار» : « اننا لانريد أن نبعث الظـــلام فى النفوس ، وان نجعل من (ولدينجستانتون) ندوات لليأس والقنوط ·· اننا نريد أن يتعلم الأولاد كيف يخـــدموا ويساعدوا فى هذا المجال الاقتصـــادى الدنيوى ، بنفوس مستبشرة متوثبة ، ثم فى أمور أســـمى من ذلك ، قبل أن يفارقوا الحياة ·· »

قال مستر « داد » في حيرة : « اذا كان الموت نهاية كل شيء ، فما جدوى المحاولة اذن ؟·· خليق بى أن أترك نفسى تنطلق وفق هواها ·· »

وتطلعوا اليه جميعا ، وراحوا يتصورونه غارقا فى الخمر والطعام والنساء ، لأنه يتـــوقع الموت فى غده !·· وفجأة تساءل مستر « هس »: « لم أكن أتوقع أن يبرز الخلود والدوام فى نقاشنا ·· .أنت خالد يا « فار » ؟ »

– اننى اطمع فى أن انتقل الى الخلود ، وان لم أرنى أهلا له··

– هكذا حال كل منا ·· كلنا نستحيل الى أرواح محلقة ··

قال سير اليفاز : « لأنه ليس تاريخا صادقا ·· حزمة من الاستنتاجات ، دون نتائج البتة ، وانما هى بدايات ، سرعان ماتغيب فى عالم غير المنظورات ·· **اننى اعترف بأن ليس من شيء فى الدنيا يسير مع التفكـــير العقلى ، أو يجـــد تبريرا واضحا ·· ذلك لأن هذه الحياة ليست سوى الصفحة الأولى من سفر ضخم علينا أن نقرأه** ·· وكما نجلس هنـــا ، تجلس الحياة فى الخارج منتظرة ، فى غـــير نظام ولاترتيب كامل ،

كل شيء معد ومرسوم لنا ، وهذا هو الســـبب الذى يجب من أجله أن تخفى عن ابنـــائى عظمة الحياة المتسمة بالمأســـاة والحزن ·· ومع ذلك ، فلست أدرى سر حرصكم على العـــلوم الهندسية الفنية ، وعدائكم لتاريخ البشر !

ريثما يسمح لها بالانتقال الى الحقيقة الاوسع نطـاقا ، والى المجال الأعظم ، حيث نجد لكل الفظائع والمحيرات شرحا ، وتبريرا ، وتصحيحا ٠٠ لقد أثبت المتبحرون فى دراسة الأرواح مثل دكتـور « كونان دويل » وسير « أوليفر لودج » أن ثمة وجودا يستأنف فى عالم آخـر ٠٠ وقد أمكن اختراق الحجاب الذى يفصل عنا هذا العالم ، والاتصـال بالأرواح الموجودة فيه ٠٠ وهناك علماء وفلاسفة فى انجلترا وفرنسا استطاعوا أن يصلوا ـ علميا ـ الى وصف للحياة التى سننتقل اليها ٠٠ **وهناك كتب علمية وضعت لتصف لنا هذا الانتقال، وزودت بحقائق تقوم على اثباتها أدلة علمية ٠٠ فهناك مثلا صـلة بين الجسد الفـانى وبين الجسـد الروحى الذى يخلفه فى ذلك العالم ٠٠ ولايزال الفارق الجنسى قائما هنـاك وان تجرد من نزواته ، اذ أن الشهوات تنمحى فى ذلك العـالم ٠٠ وليس هناك انجاب للأطفال ٠٠ وهذه ظاهرة هامة ، فهنا يتم المولد ، وهنا تبدأ النفوس الحية ٠٠ وكوكبنا هـذا هو الحوض الذى تنبت فيه بذرة الحياة ٠٠ ان لسير « أوليفر لودج » كتـابا تناول كل هذا ، اسماه « رايموند » ٠٠ ولقد ذكر فيـه أنه التقى فى ارتياده لعالم الأرواح بحقيقة الدين ! »**

فقال الطبيب فى استهجان : « أو تصـدق هذا اللغو ؟ ٠٠ اذا كنت قد ولدت بشفة شوهاء ، فهل ستبدل هذه الشفة فى ذلك العالم ؟

فقال سير اليفـاز فى وقار : « ان جوابنا عن كل هـذه الاسئلة : لسنا ندرى ٠٠ ولماذا ندرى ؟ »

★ ★ ★

◆ **وخرج** مستر « هس » من تأملاته فجأة قائلا : « لا ٠٠ ان الأمهات والأحباء الذين يعيشون فى حزن على موتاهم ، لن يصدقوا هذه الروايات الخرقاء ٠٠ البعث ! ٠٠ من المستحيل أن يصدق عاقل ذلك ، فان هذه الاشياء التى رويتها ياسير

اليفاز تناقض تركيب كل شيء عرفناه ٠٠ ان البشر يختبرون حقيقة المظاهر التى تبدو لهم ، بالألم ، وبالرغبة ، وبالجهد العضلى ، وبالشعور بضوء الشمس والمطر اذ يقعان على الوجوه ، وبالاحساس بالعدالة وما اليها ٠٠ أما الأشياء التى ذكرتها ، فليس لها ملمس الحقيقة ٠٠ اننى على كل حال احمد الله اذ ادرك اننى لن التقى بابنى ثانية ٠٠ ابدا !. ٠٠ لقد ولى وانقضى ٠٠ »

وغلبه الألم الذهنى والجسدى لحظة ، وتفصد وجهه بالعرق ٠٠ ثم قال : « **لعلنى أقربكم الى الحياة الأخرى التى ذكرتموها ـ الخلود ـ فدعونى أقول عنه شيئا : قد يكون فى الكون اله ، وقد لايكون ٠٠ فان صح وجوده ، فلسوف تكون ثمة قيمة ومعنى لا لكم ولى ولابنى الميت فحسب ، وانما للضفدعة الميتة وما اليها ٠٠ هذا مايصر عليه الاله الذى فى فؤادى ٠٠ يجب أن يكون ثمة جواب ، لاعن موت ابنى وحده ، وانما أيضا عن هلاك طائر « البنجوين » الذى يشوى حيا لاستخراج زيته !٠٠ يجب أن يكون ثمة مبرر لوجود تلك الحشرات والديدان الفتاكة ٠٠** اننى لن أصغى الى اله لايكون أكثر من وسيلة للموت ٠٠ اله لايبدى سوى عدم اكتراث قاس ٠٠ لقد حدثتكم عن الوقائع القطيعة ، الرهيبة ، فكان جوابكم أننا سنتخلص منها بعد الموت ! ٠٠ اننى اذا قضيت نحبى تحت مبضع الجراح بعد قليل ، ثم استيقظت فى عالم آخر حلو ، ودود ، استرد فيه شعرى ، وتنسد فيه الثغرات التى بين اسنانى ، فلسوف أشعر أننى هجرت نوعى ٠٠ اننى كمن يتسلل من حجرة مريض ليذهب الى حفلة ٠٠ ولسوف اجدنى هناك لاأتكلم الا عن المأساة التى خلفتها ورائى ٠٠ والتى ستبقى هنا ، وتستمر ٠٠ ومع ذلك فأنا أؤمن بالخلود ! »

وأجفل الطبيب فى استنكار ٠٠ ولكن مستر « هس » مضى فى حديثه : « لست أنا الخالد ، وانما الاله الذى فى أعماقى !٠٠

أى شىء فى أشخاصنا يمكن أن يموت ؟ .. ما الذى يكون نفوسنا ؟.. انه أشياء صغيرة ، تافهة .. لقد كنت أحب ابنى، فما الذى يهفو اليه قلبى منه ؟ .. أهى فضائله .. أم آماله .. أم اعماله ؟ .. لا ، لا شىء من هذا .. انما أصبو الى نبرة نشاز كانت فى صوته .. شىء من الأمل الأحمق كان فى حديثه .. وقع خطواته .. ولكن نظريتكم عن العالم الآخر ترده الى وقد صقل وهذبت عيوبه .. فماذا بقى من الأشياء التى كانت تميز شخصه ؟.. لسوف يغدو ابنى اذ ذاك كجميع الابناء .. وعندما يتم اصلاح الكهول فى ذلك العالم ، سيغدون كبقية الشبان .. اذن ، لا شخصية فى الامل ، والشرف ، والاستقامة، والصدق .. لقد ذهب ابنى الى الأبد .. وقد يتبدد الألم يوما .. ان الشىء الخالد فينا هو أقل الأشياء انطباعا بشخصيتنا .. لست أنا ولا أنت اللذين يستمران فى الحياة، انما الذى يعيش هو « الانسان » .. الانسان العام .. الشامل .. الجامع ! »

ومال مستر « هس » فى مقعده وقال : « ان فى قلوب البشر نارا خالدة لاتخمد .. وبهذه النار أعيش .. بها أعرف الاله الذى بيديه خلاصى .. انه يحثنى على الكفاح ، دون أن يعدنى بعزاء ولا بجزاء .. انه يأخذ ولا يعطى .. انه يتألم ـ ربما لينتصر (كما فعل المسيح) ـ وعلينا أن نتألم وأن ننشد أملنا فى أن نفوز بمعرفته .. انه لن يدعنى أغمض عينى من الأسى ، أو الفشل ، أوالحيرة .. ومع أن الكون يعذبنى ، وقد يقضى على، الا اننى أثق فى هذا الاله ! .. وأشعر أن لابد من أن اخدمه.. ولو كان لابد من أن يموت هو الآخر .. !»

٥ ـ الانسان بين الخضوع والتمرد !

• عقد الدكتور « باراك » ذراعيه على المائدة واستند اليهما وقال :

ـ هذا جميل .. اغفروا لى القول ان ثمة بعض اللغو فى حديث كل من

الطرفين ‥ اننى ، كما يجب ان يكون كل طبيب ، ملم بعلم النفس ‥ واذا شئتم أن أمضى فى الحـديث ، فلا بد لى من أن اقول كل مابذهنى ‥ ولست احملكم مسئولية الأشياء التى قلتموها ‥ ان ماذكرتم عن الأرواح بضاعة رخيصة روجها « سير اوليفر لودج » بين أولئـك الذين برح بهم الحزن ‥ ولا اشك فى انه كان مخلصا لوجهة نظره ، ولكنه كان فى ذلك مخدوعا ‥ لقد تلقى عادته عن الوسطاء ، وتقبل شرحهم لها ، ونقح أقوالهم وكتبها باسلوبه ‥ ولقد غره أن معظم هؤلاء الوسطاء من ذوى المكانة ، الذين لا يطمعون فى كسب مال ، فاخذ اقوالهم على علاتها ، واصر على انهم امناء ‥ ولـكنى طبيب ، والأطباء يعرفون أن الصدق هو آخر انتصار يستطيع الانسان أن ينتزعه من نفسه ! ‥ اننى لااكاد اجد بين مرضاى واحدا يتكلم صدقا ‥ انهـم اما ان يهونوا من الأمور ، واما أن يضـاعفوها ويبالغوا فيها ، لأنهـم يريدون ان يحدثوا بقولهم اثرا ‥ اما الوسطاء ، فامرهم ابسـط : أجلس أية امراة فى مقعد واسالها ان تسترخى ، وان تغمض عينيها ، وتحاول التجرد من أفكارها وشعورها بما حولها ، ثم سلها أن تتكلم ‥ ثم أوح اليها بان مافى راسـها صدى من عالم آخر ، وسوف تراها تتكلم عجبا ‥ لا لأنها تخدعك ، وانما لأنها تتمشى معك ، ولأنها تحب ان يكون اهتمام الحضور مركزا عليها ‥ على ان كل هذا على هامش المسالة ‥ اننى لم أوت قدرا كبيرا من العلم ، ولكنى اقر بان من الممكن ان تكون ثمة قوى فى هذا العالم ، قوى شـاملة ، عامة ، مازلنا لانعرف عنها شيئا — كما كان العالم فى بعض عصور مضت يجهل الكهرباء ، ولايدرى شيئا عن الهواء — بل اعترف بان من المحتمل ان تكون تحت ابصـارنا الآن أشياء لاتزال مجهولة لنا ‥ والمجهول اذا ماعرف ، انضم الى معرفتنا العامة ‥ على اننى فيما يتعلق بالخلود ، كما تراه ياسير اليفاز ، أنضم الى مستر هس فى انه مجرد حلم ! ‥ فاذا انتقلنا الى الخلود كما يراه مستر هس ، اراني أميل الى الأخذ برايكم ‥ فنظريته هو الآخر حلم ‥ بل مجرد تلاعب بالالفاظ ! ‥ انه يقول ان اللهب الخالد — اومايدعوه روح الله فى الانسان — موجود فى كل منا ، وفى كل البشر ، افليس من المستغرب ان لايفطن اليـه احد سواه ؟ ‥ اننى من انصار مذهب « لاادرى » الذين يرون ان الوحى الالهى لايتمشى مع العقـل ‥ او بالأحرى ، الذين يسـلمون فى رضى بان الذكاء البشرى محدود ، فيتقبلون الدنيا على علاتهـا ، ويتقبلون انفسـهم كما هى فلا يحاولون ان يمضوا الى ابعد من ذلك ! قد تكون هناك اكوان اخرى ، ولكنها لاتهمنى ‥ فانا اعيش فى هذا الكون ، وانا قانع بهذا فحسب ‥ لقد مضيت فى الدنيـا مفتوح العينين مذ ولدت — من ست وثلاثين سـنة — فما رايت ، ولا سمعت ، ولاشممت ، ولا لمست ، شبحا او روحا ! ‥ لم ار وميضـا او اشارة من ذلك الاله الأعظم الذى ذكره سير اليفاز ‥ ولا ذاك الاله الحـديث الذى ذكره مستر « هس » ! ‥ لم اجد آبدا فى قلوب الناس الهـا ، وانما وجدت لحما ودما ! ‥ اننى ارى بجلاء أن لابد لوجودنا من حـكمة ، ولكننى

لا اميل الى السعى لتفهمها ، وانما اقصر ايمانى على الحقيقة الواقعة !
وتفرس الطبيب فى وجوههم ، ثم استانف الحديث :
- ماذا ارى حولى ؟٠٠ صراعا من اجل الوجود ٠٠ فلماذا نحاول ان نبحث وراء نطاقه ؟ ٠٠ يكفينى انه قائم ، واننى ادرسه وارقبه ، اذ انه دائب فى محاولة القضاء على ، ويجب ان ابذل جهدى لأصد ضرباته ٠٠ ولقد اغتصب منى ساقا ، ولكنه لم يحن راسى ٠٠ فانا اتناسل وانجب مزيدا من نوعى ، وافرض نفسى على الكون مااستطعت ٠٠ ان الله عندى فكرة قياسية ، سمها : التدرج ٠٠ السير فى عملية الحياة ! »
فتساءل مستر « هس » : « ولماذا لاتكون التحول ، او التطور ؟ »
- لا ٠٠ ان السير عملية معقدة فيها صعود وهبوط ، وفيها ارادة ٠٠ ان الله ليس الها يرعانا ويقوم بدوره كى يريحنا ويسعدنا كما يذهب سير « اليفاز »٠٠ ولاهو اله غير مكترث بنا ، كما يرى مستر « هس » ٠٠ وانما هو يستخدمنا : بعضنا مطرقة ، وبعضنا سندان ، وبعضنا شرر نار ، وبعضنا المادة المطروقة التى تبقى ٠٠ وهذا « التدرج » او السير فى عملية الحياة ، انما هو اله لايستامننا اسراره ، بل علينا ان نتعلم ماامكننا ، وان نفيد من تطبيق ماتعلمنا عمليا ، لأن هذا ماتتطلبه الارادة التى قلت انها موجودة فى السير ٠٠ وهنا موطن الخطا فيما يذهب اليه مستر « هس » ، فهو لايحمل نفسه على الاعتراف بهذه الحقائق ، وانما يقيم مايدعوه « روح الانسان » او الاله الذى فى قلب الانسان ، ليحكم على هذه الحقائق ٠٠ انه يريد ان يحكم على الكون بمقاييس الذكاء البشرى ودرجة تقدمه الراهنة ٠ وهذا خطأ ، فليست هناك مقاييس ثابتة٠٠ ذلك لأن الذكاء البشرى من نتاج التطور ، ولسوف يتغير بالتطور ٠٠ ولقد ذكر ان بعض الأشياء ليست جميلة ، وهذا خطأ آخر ، فلا شىء يتغير قدر الشعور بالجمال وادراكه ٠٠ وكذلك الأمر بالنسبة للرحمة ، والشفقة ، وكل شىء ٠٠ فلكل مخلوق معدلاته الخاصة فى القياس والتقدير ٠٠ ولقد ياتى بعدنا انسان آخر يرى الرحمة حماقة ، ويبتهج بما تالم منه ارواحنا الرقيقة ٠٠ ومن ثم فعلينا ان نرضخ للتطور فى مكاننا وزماننا ٠٠ وهذه هى حقيقة الكون عارية، كما اراها ٠٠ »

★ ★ ★

◆ وارتد الحديث الى موضوعه الأصلى ٠٠ الى الموضوع الذى جاء من اجله الزائرون الثلاثة : التعليم ٠٠ فتكلم الدكتور « باراك » مدليا بدلوه : « ما التعليم ؟ ٠٠ تلقين الصغار كيف يتكلمون ويقراون ويكتبون ويحسبون ، ليتسنى انباؤهم بموقفهم فى الدنيا ، وبما نرى اننا - والدنيا - مسوقون اليه ٠٠ اى بالدور الذى يلعبونه فى اللعبة ٠٠ ولكن ، ما هى هذه اللعبة اولا ؟ ٠٠ هذا ماينبغى كل ناشىء ان يعرفه ٠٠ والتعليم هو الذى يجيبه اليه ٠٠ فاما ان ننبئه صراحة بما نعتقده عن اللعبة ، والا كنا مجرد متظاهرين بالتعليم ٠٠ ونتيجة ذلك ان ينشأ الأغبياء مسوقين بآراء قديمة ، فى حين

ينشأ الأذكياء مؤمنين بأن هذه الحياة خدعة جوفاء ٠٠ فهم يهيمون ويحومون دون أن يلتقوا بحقيقة ٠٠ بل هم يروغون من الحقيقة اذا صادفوها ، وهذا ماالمسه فى مرضاى ، اذ يفضون الى بأكاذيب ! ٠٠ ومن ثم فقد جعلت عقيدتى : « واجه الحقائق ٠٠ خذ الدنيا على علاتها ، وخذ نفسك على ماهى عليه » ٠٠ والحقيقة الرئيسية الاولى ، هى أن التدرج ، أو سير عملية الحياة ، لايحفل برغباتنا ، ولا بمخاوفنا ، ولا بآرائنا الخلقية وما الى ذلك ٠٠ انه يضعنا امامه ويجربنا ، فاذا لم نصمد للتجارب ، قضى علينا ونفض يديه منا ٠ فما الذى ينبغى أن يكون عليه التعليم الصحيح اذن ؟ ٠٠ علموا الصغار ماهى الدنيا ٠٠ لقنوهم كل قاعدة وخدعة تعلمها الجنس البشرى فى لعبته ٠٠قولوا لهم : «كونوا كما انتم٠٠ كونوا أنفسكم » ، اذ لاوراثة هناك للخواص المكتسبة ٠٠ فليضع كل انسان كل نفسه فى سير عملية الحياة ، فاذا كانت تتطلبه فانها تتقبله ، والا فانها تتخلص منه ٠٠ ولا حيلة له فى الامر ! »

★ ★ ★

◆ وساد الجميع صمت رهيب ٠٠ وكان مستر «هس» مستغرقا فى التفكير، ثم بدا كان الصمت ايقظه ، فاجفل ، وقال : « انكم لم تختلفوا كثيرا فيما بينكم كما تخالون ٠٠ انكم تنتهون الى أن الانسان يعيش حياة موزعة ، فيها خضوع وانصياع ٠٠ فسير « اليفاز » يرى أن الكون فى رعاية اله حكيم ، ودود ، يقود العالم الى نهايات لانفقهها ، وان الحياة والكون ليساسوى نقطة بداية لسلسلة من تطورات النفوس الخالدة التى لاتموت ٠٠ فدور الانسان اذن ان يركن الى السلطة العليا ، ولايضايقها أو يغضبها ٠٠ اما نظريتك يادكتور « باراك » فهى اكثر خطورة : فانت تقول ان الهك ـ سير عملية الحياة ـ فوق كل معرفة وتحكم ، فلا نستطيع ان نعدله او ان نحبذه ٠٠ وهكذا حال « القدر » ٠٠ ومن ثم فليس علينا سوى أن نتبع الاضواء التى تلقيها معرفتنا وغرائزنا ٠٠ وهنا تلتقى بسير «اليفاز» ، فانكما تنحنيان للشىء الكائن : هو ينحنى فى رضىوثقة، وانت تنحنى فى اكتئاب ، وفق الطريقة الحديثة !٠٠ اما انا ، فلا انصاع ! اننى اتمرد متدرعا بقوة روح الاله التى فى نفسى ٠٠ اننى اتمرد ، لالمجرد أن ابدى تحديا واهنا ضد الفوضى السوداء والقسوة المترتبتين عن الفضاء والزمن ، وانما اتمرد من اجل السيادة ٠٠ اننى ممتلىء النفس زهوا بالاله الذى فى قلبى ٠٠ اله جسور يركب الاخطار ، وقد يعيد النظام الى هذه الفوضى التى تتقاذفنا كما تلعب الريح بأوراق الشجر ! ٠٠ اله قد يسيطر على هذه الفوضى فى النهاية ويصوغها وفقا لارادته ٠٠ هذه هى روح حيـــاتى وتعاليمى ، رغم ما انتابهما من اخطاء وفشل ٠٠ انها كفاح ضد كائن معتم يخيم على الكون ويسعى لكى يسحقنا جميعا ٠٠ كفاح ضد الفوضى ، وضد الخنوع »

وكان يفكر جاهدا ، محاولا ان يشق طريقه وسط الظلمات التى تـــكتنف فكره ، ليصل الى الحقيقة ٠٠ ورطب شفتيه بلسانه وقال : « ان غاية ومادة كل تربية حقيقية هى ان نعرف النـــاس بمعركة الاله ٠٠ ان نعلمهم كيف بدات

الحياة على هذا الكوكب المنعزل ، وكيف سارت ، وكيف نهض الانسان عبر العصور ، وخلال الوحوش •• نعلمهـــم طبيعة الصراع الذى يذكيـه الاله عن طريق الانسان ، ثم ننتزع الناس جميعا من أنفسهم لتتألف منهم حياة مشتركة واحدة ، وجهدا واحدا مع الله •• أن موضوع خلافنا هو ماهية كفاح الاله •• انه كفاح يخالجه الأمل فى الفوز ، ولكن دون ما ضمان لهذا الفوز •• انك يادكتور « باراك » تقول : « كونوا أنفسكم » •• اما انا فاقول : « يجب أن تتخلصوا من انفسكم •• يجب أن تفقدوها فى شئ أعظم •• فى الله ! » •• لقد قلت يادكتور « باراك » ان فى سير عملية الحياة ارادة •• ولكنى لاارى ارادة الا فى انفسنا وخلال انفسنا • ان فى ان « نكون انفسنا » تناقضـــا ، لأننا لانملك ان نكون انفسنا •• لقد حدثتكم عما فى الطبيعة من فوضى وشر ، فتعالوا احدثكم عن التعاسات التى لاحد لها ، والتى تترتب على فوضى الانسان ، وتستمر جيلا بعد جيل حتى يتحد الناس فى الروح والحق ، او يفنوا بسبب تفرقهم وعدم اتحادهم •• ولقـــد كنت فى بعض الأوقات واثقا من أن الله سينتصر لنا وينقذنا •• ولكن الظلال تكتنف الآن روحى •• »

* * *

◆ ومضى يضرب الأمثال على ما ترتب على هذه الأسـباب من اقتصار الناس على أن يأخـذوا دنيـاهم وأنفسـهم على علاتها ، دون أن يعبأوا بالتـاريخ •• بين كيف أن الحـرب العالمية الأولى ــ التى كانت مستعرة الأوار ــ قضـت على الملايين ، وصـبت النـكبات على الجنس البشرى ، وقطعت أواصر العلاقات الانسانيـة •• واستطرد قائلا : « **ستقولون أن الدنيا ستتلقى من هذا الدمار درسـا ، واننـــا سننشئ عصبة الأمم (١) ونضع للحروب نهـاية •• ولكن ، على أى أساس ستقوم عصبة الأمم هذه ؟•• أى أسس أقمتم خـــلال السـنوات الأربع الأخـيرة سوى الدمار والأطلال ؟•• هل هناك رأى مشترك أو تفاهم مشترك فى عقول البشر ؟••**

---

(١) كتب « ويلز » هذه القصة فى أواخر الحرب العالمية الأولى •• وقد اثبتت الأيام بعد نظره ، ففشلت عصبة الأمم •• وها هى الأمم المتحـــدة توشك أن تلحق بها !

لا ٠٠ فكيف يتحد البشر اذن دون ما آراء مشتركة ؟ ٠٠ لقد أخفقت المدارس فى انقاذ العـالم ! » ٠٠ وعقب ذاكـرا أن الفريق الذى سيقدر له النصر فى الحرب ، سيخرج منهوك القوى ، والذهن ، والموارد ٠٠ ثم استـطرد : « لست أشيع القنوط ، ولكن أى خير فى أن نزعم الأمل والنجـاح وسط الفشل والنـكبات المدلهمة ؟ ٠٠ **ما جـــدوى أن نقول إن** الجنس البشرى سينتصر « بطريقة آليـة » على روح الشر ، فى حين أننا نراه يفقد نقطة اثر نقطة ، بل يفقد فؤاده ؟ »

٠٠ وعاد يردد نظريته عن « روح الله فى قلوب البشر » ، فصاح الدكتور « بارك » بأنه لا يرى فى هذه العبارة سوى كلمات منمقة ، وقال : « اننى أنشد أشياء أحسـها وألمسها ٠٠ أريد دليلا عمليا على هذه النار التى لاتخمد ٠٠ مامعناها فى الأمور الواقعية التى تتألف منها حياتنا اليومية ؟ ٠٠ اذا كانت هذه النار لا تتقد فى قلب مستر « هس » وحده ــ كما يقول ــ وانما فى قلب كل منا أيضا ، فلابد أن تكون شيئا ينســينا خلافاتنا ، وينســينا أنفســـنا ، ويجمعنا فى صف واحــد ٠٠ ولـكن ، ضد من ، أو ضــد ماذا ؟ لست أرى لهذا الاتحاد قوة ولا قيمة ٠٠ انما أعتقد أننـا يصارع بعضنا بعضا بالفطرة وبحكم الضرورة ، واننـا فى هذا الصراع يصقل بعضنا مواهب بعض ٠٠ **فالصراع من أجل البقاء يسفر عن خير للجنس البشرى ! ٠٠ ولكن مستر « هس » لا يؤمن بالصراع ، وانما يريد بدلا منـه أن نعيش معا ونعمل معا ٠٠ فلماذا ؟ ٠٠ لأى غرض ؟ ٠٠ اذا ساد السلام والوئام كل المخلوقات فلسوف يقف الانسان عن الحــركة والسير ، بينما يتابع الزمن مضيه ٠٠ ان توقف البشر عن التنافس معناه التوقف عن الســير ! ٠٠ ففى سبيل أى هدف اذن سنعيش حياتنا ؟ »**

وأطرق مســتر « هس » مفكرا ، ثم قال : « لنر أولا ضد

ماذا تكافح روح الاله ! .. لنسلم بأن « سير عملية الحياة » قد صنع كل ما فى الانسان من خير وشر .. وان روح الاله تنبعث من هذا السير كأنها جزء من عملية الحياة .. وهذا السير ـ الذى هو الهك ـ وحده يستطيع أن يميز بين الخير والشر ، أما بالنسبة لمن عداه فالخير يمتزج بالشر ، ومن الشر ما يثمر أمورا طيبة ، ومن الأمور الطيبة ما ينتج شرا .. فالخير والشر مجرد معان لنا وحدنا ، أما الهك ـ « السير » ـ فهو لا يعبأ . انه يخلق ، ويدمر ، ويحابى ، ويعذب .. لكنه رغم اهماله هذا أتاح لنا فرصة .. فالحياة فرصة ، وما لم نشد قبضتنا على الحياة وعلى سير عملية الحياة ونحن فيها ، فان هذا السير يخرج عن متناول سيطرتنا ، ولا يلبث أن يمحونا جميعا .. اننى أقدر منكم على أن أتعمق فى تأملى ، لأن الصحة لا تحجب بصرى .. لن يأتى بعد الانسان انسان اسمى ، ما لم يرد الناس أنفسهم أن يخلفهم شىء .. لسوف يمحونا سير عملية الحياة بنفس عدم الاكتراث الذى صنعنا به ، ما لم تبعثنا روح الاله التى تسرى فينا على أن نسيطر على هذا الكون من أجله ومن أجل أنفسنا .. فطبيعة سير عملية الحياة ـ الذى تتخذه إلها ـ هى الفوضى .. والانسان هو الفرصة للخلاص من هذه الفوضى .. »

* * *

◆ **وانتقل** الى الحرب فقال ان الدرس الوحيد والتحسن الوحيد المترتبين عنها ، لن ينجما الا اذا واتى الناس الهام قدسى ليقولوا : « كل هذا وما اليه يجب أن ينتهى » .. ولكنهم لا يقولون هذا ، بل يكرسون قدرا كبيرا من الطاقة والمقدرة الآدميتين ، للفناء والعدم ! وانهم ليفتنون فى ابتداع أساليب وأدوات القضاء على بعضهم بعضا ، لا عن

باعث من الشر ، وانما لأن كل مخترع – مهما تكن طيبته واستقامته – يؤدى دوره .. انه يأخذ نفسه على علاتها ، ويأخذ دنياه على ما هى عليه .. واستطرد قائلا : « انهم يعيشون فى عالم غير منسجم ولا متناسق ، بدون تفاهم مشترك ، ولا خطة جماعية .. يعيشون فى دنيا جاهلة بتاريخها الحقيقى ، غير مدركة لمستقبلها .. انهم انساقوا الى هذه الفظائع لأنهم تنقصهم التربية والتعليم العالميان ! »

ومضى يضرب مثلا بالالمان : كيف أن الطفل يكون كصفحة الورق البيضاء ، أو كالعجينة القابلة للتشكيل ، فيعلمونه الأنانية ، والجشع ، والارتياب .. ويلقنونه انه ينتمى الى جنس أسمى من أى جنس آخر .. **وهكذا يعلمه مدرسوه التعصب ، والشك ، والكراهية ، والازدراء لجميع العناصر الأخرى .. ومن ثم يرى فى قتاله ضد تلك العناصر «بطولة» !.. ويجد تحت يديه آلات بديعة الشكل ، مصقولة – كالغواصة – ليفتك بها بأخوته من البشر .. لماذا ؟.. «لأن التعليم الهندسى الفنى للناس ، كان أفضل من تعليمهم التاريخى والاجتماعى » .. ومن ثم لم يلموا بفكرة « الجماعة الانسانية الموحدة » .. الفكرة التى هى لب التاريخ الحقيقى والتعاليم الأصلية للاله !**

ويسهب مستر « هس » فى وصف فظائع الحرب : الوحشية التى تثيرها فى نفس المهاجم ، والشك والتوجس اللذين يفريان أعصاب المتربص المنتظر .. ثم ينتهى المحارب الى أن يسائل نفسه اذا حانت له فرصة التفكير بعد أن يصاب وينقل الى المستشفى : « ماذا كنت أفعل ؟.. وماذا فعلت ؟.. وماذا فعلت بى هذه الدنيا ؟.. لقد جعلت منى قاتلا .. ثم عذبتنى وضيعتنى .. على حين أنى كنت أضمر لها الخير ! »

ويعقب « هس » قائلا : « أو ليس كل منا على هذه الشاكلة ؟٠٠ أليست هذه قصة الشباب والأمل ، يسيران خطوة فخطوة فى دنيا أسىء فهمها ، ويساقان الى الشر ، والى القبح ، والى الموت ؟ ٠٠ اننى أفتح عينى كل صباح على دنيا مغرقة فى الفقر والجهل ٠٠ دنيا تغمرها بحار الجوع ، والمرض ، والتعاسة ٠٠ لقد منحنا الفراغ ، والحرية ، والذكاء ، فما الذى فعلناه لنمنع تلك الكوارث ؟٠٠ ان الدنيا كالغواصة ، وكل منا يشبه الجندى العامل فى الغواصة ٠٠ وبدلا من أن نعيش فى اشراق الشمس ونعيم الحرية والامان ، نعيش متقلصى الاعصاب ، مقرورين ، فى خطر مرير ، لأننا فى حرب مع اخوتنا البشر ٠٠

« هذا جوابى عن الشطر الأول من سؤالك يا دكتور ٠٠ لقد ساءلتنى : ضد ماذا تكافح روح الاله التى تعمر نفس الانسان ؟٠٠ وجوابى أنها تكافح ضد هذه الاضطرابات العقلية ٠٠ ضد هذه الجهالات ، التى تدفع الحياة فى طريق مسدودة غير ممهدة !٠٠ ان الله الذى فى أفئدتنا يصيح بنا لينقذنا من هذه الدروب المسدودة بالأنانية ، والظلام ، والقسوة ، والالم ، التى لا بد لجنسنا أن يموت فيها ٠٠ انه يصيح يدعونا الى الطريق الواسعة ، الممهدة ، السهلة ٠٠ طريق الخلاص ٠٠ انه يدعو الى وحدة منظمة للجنس البشرى »

★ ★ ★

♦ **وكانت** الحيرة قد زايلت مستر « هس » وأخذ يتكلم فى حماس ، وعيناه تومضان ، وقد تضرجت وجنتاه ، ولم تعد نوبات الألم تقطع عليه استرساله ٠٠ ومضى يقول : « الشطر الثانى من سؤالك يا دكتور ، هو : ما الذى تكافح من أجله روح الاله ؟ ٠٠ الى أين تفضى بنا الطريق

الواسعة ؟.. لنفرض أن البشر كانوا قد تلقوا تعليما أفضل . سأفترض أن كل امرىء صار متعلما ، أى على معرفة ودراية بالتاريخ .. أجل يا مستر « فار » التاريخ الحقيقى للجنس البشرى . **لن أفترض أن البشر بلغوا من المعرفة فوق ما لديهم اليوم ، ولكنى سأفترض ان هذه المعرفة بدلا من اختزانها على غير نظام فى كثير من العقول ، وكثير من الكتب ، وكثير من اللغات ، نسقت ووضعت فى مكان يسهل الوصول اليها فيه للافادة منها واستخدامها .. بحيث لم تعد مستورة ولا محجوبة عن أحد !.. وسأفترض ، فوق هذا ، ان كل البشر يقرأون ويتحدثون بلسان واحد !**

« ستقولون أن هذه افتراضات متعذرة ، ولكنها ليست مستحيلة . ان بضعة من الرجال ثابتى العزم ، يستطيعون أن يدفعوا الجنس البشرى نحو هذه الحال ، حتى يبلغها بعد عدد من الأجيال .. واذ ذاك ، تصبح الخلافات والفرقة العنيفة التى تضنى الجنس البشرى مستحيلة ، ويعيش الناس متيقظين الى الحقائق المتعلقة بأصلهم المشترك ، ومنبتهم المشترك ، ومصيرهم المشترك . وفى هذا الجو انطلق ، النقى ، تزداد النار — التى هى الاله — توقدا ، لأن معظم الذين يخفقون فى معرفة الله ، انما يخفقون لأن المعرفة تعوزهم .. **ان دنيانا اليوم ، دنيا طيش وكراهية وجنون ، ولا أمل فى تغييرها الا بعزيمة نظار المدارس والمدرسين .. كيف تأملون فى تغييرها بغير التعليم ؟.. اننى حين سألتكم أن تتصوروا دنيا متعلمة ، لم أسألكم أن تتصوروا معجزة تحدث « انقلابا » فى الفطرة البشرية .. فهذه الدنيا لن تجرد الناس من الطمع ، والطيش ، والنزوات ، وانما ستجردهم من الأعذار والمواراة .. ستحول الشر فى نفوسهم الى ما يشبه المرض الذى يتأهبون**

في لحظات صفاء عقولهم لأن يعالجوه ويبرأوا منه دون ما تردد •• هذه هي الدنيا التى يعمل نظار المدارس والمدرسون منا الذين أوتوا نار الله الخالدة المضيئة فى قلوبهم ، على تحقيقها ، جيلا بعد جيل ••

« ان الناس فى الدنيا الراهنة يعيشون لأنفسهم ، ويضيعونها فى الحياة التى ينهجونها •• أما فى الدنيا التى نسعى اليها ، فسوف يهبون أنفسهم لاله البشر ، فيضمنون الحياة •• سيغيرون من نظمهم ، وعاداتهم ، وأساليبهم ، بحيث يستخدم كل البشر ، على أكمل وجه ، فى العمل المشترك للجنس البشرى •• فى تحويل العالم الممزق الى جنة واحدة للجميع •• انهم لن يحلوا معميات العلم المادى الا اذا حلوا أولا مشكلاتهم الاجتماعية والسياسية •• ان من الواضح اليوم أن الدنيا تستطيع أن تنتج الكفاية من الغذاء والرفاهية لكل انسان ، اذا أمكن – بتعليم عالمى شامل – تمكين روح الوحدة من التغلب على الميل الى الخلاف والفرقة ••

« لست أعتقد أن فى وسع أحد منا أن يتبين ما يمكن أن يؤديه التنظيم المنسق للذكاء البشرى ، من أجل الجنس البشرى ! ان العجائب التى أنتجها البحث العلمي حتى اليوم ستبدو ضئيلة الى جانب مايمكن أن يجديه البحث العلمى اذ ذاك على البشرية ! لسوف تزداد سيطرتنا على المادة ، وعلى الحياة ، وعلى أنفسنا يوما بعد يوم •• بل ان كل هذه المعرفة ، وهذه السيطرة ، وهذا الجمال ، التى نتصورها نحن الذين نرقب فجر هذا التطور ، ليست سوى بداءات لكل ما يمكن أن ينبعث من الظلال والعذاب الذى نعانيه اليوم !

« انك لم تكن تصدر عن تفكير يا دكتور باراك ، حين قلت ان الجنس البشرى سيكف عن الحركة والسير اذا انتهت المنافسات •• فالواقع انه اذا مانمت ارادة جماعية

موحدة ، فلن يكون ثمة اندفاع اعمى نحـو الحيـاة ، ولا صراع أعمى للابقاء على الحياة ٠٠ بل ان الميزات التى تخدم الغايات الجليلة للجنس البشرى ، ستكون موضـع رعـاية وتنمية ٠٠ أما الذين أوتوا خلالا ومواهب ضـئيلة ، فسوف يرشدون الى حـدود مقدرتـهم ٠٠ ولن يقتصر هذا المستقبل على الجنس البشرى وحـده ٠٠ ستصبح الدنيا كلها انسـانا واحدا ، يعكف على صنع جنتهفى الأرض لنفسه ، ولا يسود نوعه فحسب ، وانما يسود كل حيـاة على الأرض ، فيقضى على القسـوة ، ويروض الأنواع الاخـرى ويسـتألفها ٠٠ سيستل من الذرة طاقتهـا ، ويرفـع عن الفضـاء حجب الأسرار ، وينتقل من كوكب الى كوكب ، كما نخطو الآن من حجر الى حجر ، عبر مجرى مائى ٠٠ حتى يقف فى أنوار الحضرة الالهية ، ويكشف تحت هذه الأنوار غريمه الذى يوسوس له ويسخر منه ٠٠ ليس هـذا حلما ، وانمـا هـو حقيقة ٠٠ فأنا الآن أقف وقد فارقت باحدى قـدمى هـذه الحياة الضيقة التى طالما كنت حبيسا بين حـدودها ٠٠ اننى لا أبصر نور الله ، ولكننى فى بعض الاحيان أحس كأن غريما لى يجلس فوق كل دنياى ، يسـخر منى ، ويحجب جـذوة الأمل الضئيلة عن عينى ٠٠ »

★ ★ ★

◆ **وأرسل** « هس » زفرة عميقة ، فسأله الدكتور : « هل الاله الذى تتحدث عنه هو ما يعرفه البشر بالله ؟ ٠٠ آن عقلى الذى لا يقبل غير الحقائق الواقعة الملموسة ، يجعلنى عند ذكر هذه الكلمة أتذكر الكهنوت ، والتعصب ، والاضطهاد ٠٠ لماذا لا تسمى هذه السلطة العليا : الانسانية ؟ »

ــ لأنها ، كما بينت ، ليسـت روح الانسـان ٠٠ ان الانسانية هى التى صنعت الغازات السامة والغواصة ، لأن

روح الانسان مفعمة بالحسد والغيرة والعدوان والتعصب ٠٠ والخوف ، والكراهية ، والتكتم ، والتآمر ٠٠ أما هذه الروح التى فى أعماقى ، هذه النار التى أسميها الله ، فلست أدرى كيف اتقدت ٠٠ كأنها جاءت من خارج كيانى ٠٠ سأعمد الى الاستعارة والتشبيه كى أشرح لك ، بقدر ما أستطيع : ان هذه الروح أقرب الى أن تكون شخصا منها الى أن تكون شيئا ، ومن ثم اسميها « هو » ٠٠ وليس « هو » شكلا ذا طابع ، وانما هو نخبة ٠٠ يجمع ويجلى ويعزز كل ما هو كريم فى الدوافع الطبيعية التى تحرك العقل !٠٠ « هو » يذم ويحرم القسوة وكل شر ٠ اننى لن أزعم القدرة على شرح ما لست أملك شرحه ٠٠ ان ما أنبئك به الآن هو ما « أحسه » أكثر مما أنا أعتقده ٠٠ اذ يبدو لى أن الرغبة فى الخلق والابتكار التى تستعر بين جوانحى ، شىء يختلف فى طبيعته عن عملية تطور المادة التى تسير عمياء ٠٠ انها قوة تجرى على عكس قوة الفوضى والحيرة والخلل ٠٠ على أن الذى أطمئن الى أننى أعرفه ، هو أنها اذا ما اشتعلت فى نفس انسان ، فانها تضىء عقله ، وتسيطر على ضميره وتسيره ٠٠ انها تدعوه الى أن يعيش عمره عاملا مكافحا فى سبيل وحدة الجنس البشرى ، وتحريره ، وفوزه !

وعند هذا الموضع من المناقشة تدخل القدر ، اذ وصل سير « الفيوس » ــ الجراح ــ ولم يكونوا قد فطنوا فى غمرة الجدال الى أنه تأخر طويلا ٠٠

٦ ــ الجراحة

◆ ما ان استنشق مستر « هس » المخدر ، حتى خيل اليه انه انتقل الى حال اخرى ٠ لم يبد له انه فقد الحس ، وانما خيل اليه ان سير « اليفاز » ومستر « داد » ومستر « فار » قد انضموا الى الدكتور « باراك » فاستأنفوا مجلسهم على كثيب من رماد ، تحت سماء تتوهج ضوءا ٠٠ بينما تلاشى سير « الفيوس » والمرضة والغرفة !

وكانما كان اجتماع الأولين حلما ، ولكنه كان حقيقة .. حقيقة لاتبلى .. تلك الاكوام من الرماد خارج اسوار المدينة .. انه مسرح لتجربة لا تنتهى ، وجدال خالد .. كان «هس» - او « جوب » - هو «ايوب» الذى جلس فى هذا المسرح منذ آلاف السنين .. وسير اليفاز هو « اليفاز التيمانى » ، ومستر « داد » هو « بلدد الشوحى » ، ومستر « فار » هو « صوفر النعمانى » .. اصدقاء ايوب الثلاثة .. اما الدكتور « اليهو باراك » فكان « اليهو برخئيل البوزى » - من عشيرة رام - فى القصة الخالدة ، قصة النبى ايوب !

كان من الغريب ان خطر بالخيال ان هؤلاء الرجال كانوا بين ناظر مدرسة ، وطبيب ، ومدرس ، وصانع اسلحة ..لقد ظلوا عصورا وهم جلوس على الرماد .. وفوقهم السماء الشاسعة مرصعة بالشمس والنجوم ، تفيض بالنور .. وكان النور قد شع مذ تكلم « اليهو » .. ليس نورا فحسب ، بل كان هناك ايضا صوت واضح ، جلى ، خشعت له روح « ايوب » وسكنت .. صوت يقول : «من هذا الذى يظلم مجلس القضاء بكلام بلا معرفة ؟ » .. وفى جهد رفع « ايوب » بصره .. وكانما كان يشرق هناك واحد هو الكل ، شمل القوى والممالك .. وكانما كان على وجهه غشاء أوظل ! كانما كان ثمة شبح معتم ينحنى على الدنيا باسرها ، يتاملها فى فضول وشر .. وكانما كان هذا الشبح المعتم لايزيد عن حجاب شفاف امام ضياء دائم لانهاية له .. ولكن ، اترى هذا الحجاب كان امام الضوء ، او انه كامن فى جوفه ينبعث منه فى امتداد وانكماش متواليين .. وكانما كان الصوت الذى تكلم صوت الله .. ومع ذلك كان الشك يوحى من وقت لآخر بان رنة الصوت كانت للشيطان !

واذ تكلم الله ، انكمشوا جميعا وتضاءلوا كادق ما يمكن ان يرى بالعين المجردة .. وصغر المنظر حتى بدا كلعبة صغيرة .. بدوا كنقط غير حقيقية على صفحة ورقة رفيعة ضئيلة ، فى هيلولة لاغور لها .. « من هذا الذى يظلم القضاء بكلام بلا معرفة ؟ » .. ولكن الله لم يكن يتكلم - فى هذا الحلم الذى راود مستر « هس » وهو مخدر الحواس - بالصوت ، وانما بالضوء .. ومضات سريعة من لهب تجمعت خلال مخه المخدر ، ثم بدأت تنبض فى دوائر متسعة .. سادرة فى الاتساع .. وخيل اليه انه - على غير ارادة منه - أجاب : « اذن ، امتحنى المعرفة »

وكان الرد صوت الشيطان الساخر.. فقد تجلى الشيطان ل «هس» فى شكل وجه معتم اضناه الزمن ، ولكنه لايزال بادى النشاط ، يرسل دوائر من وهج فى الفضاء ، كما يرسل السابح الأمواج نحو الشاطىء .. وقال الشيطان : « واى وعاء احضرت لتتلقى فيه المعرفة اذا وهبناك اياها ؟ »

قال « هس » : « باسم الله الذى فى قلبى اطلب المعرفة والقوة »

- ومن تكون ؟ .. معلم احداث كان يلقى دروسا فى التاريخ سيئة الاعداد.. ويحلم بانه يربى الشبان ليتنقلوا بين النجوم !

- بل انا الانسان .. ان كل انسان تطلع نحو هذا النور الالهى .. انا كل

انسان فكر او عمل أو اراد امرا للجنس البشرى ٠٠ انا كل الرواد والزعماء والمدرسين الذين توالوا على الانسان ٠٠

– قد تسبر غور المعرفة ، أو تقيس ابعاد الفضاء ، ولكنك لن تجد لها نهاية !

– ساظل اسير واقيس الى الأبد ٠٠ ساهزمك ٠٠

– ولكنك لن تقضى على !

– ساكافح لأشق طريقى خلالك الى الله ٠٠

– ولن تصل اليه ابدا !

★ ★ ★

◆ وبدا كان صوتا آخريتكلم ٠٠ وانجاب حجاب الشيطان جانبا برهة ، بينما قال الصوت الالهى : « وهكذا تسير الحياة الى الأبد ٠٠ ولا مسير لها الا هكذا ٠٠ اذ كيف تصارع اذا كان ثمة يقين من النصر ؟٠٠ لماذا تصارع اذا كانت النهاية مؤكدة ؟ ٠٠ كيف تصعد اذا لم يكن هناك غور تهوى اليه ؟ ٠٠ ليست الظلال السوداء والشرور التى حولك سوى مبررات الحقيقة ٠٠ لقد ظل صوت أيوب يشكو خلال القرون وسيظل يشكو ٠٠وخلال القرون تتوهج نار ايمانه ثم ترتعش وتنذر بالانطفاء ٠٠ ولكن ، هل أيوب على حق فى شكاواه ؟ ٠٠ لقد اصطبغ ذهنه بلون الحظ التعس ٠٠ لقد رأى الدنيا باسرها تعكس عذاب بدنه ٠٠ ولكن هل هناك شر او قوة او عذاب فوق طاقة الانسان المحتملة ؟ واذا كانت حياة الوحوش والبشر مظلمة ، لابهاء فيها ، افليس لهم – فى ناحية اخرى – تركيب جسمانى بديع لامثيل له ؟ ٠٠ لقد جدفت لأن الخلية البشرية قد يخرج منها انسان معتوه ، فلماذا أيها الانسان يجىء هذا المخلوق معتوها ؟ ٠٠ أليست لك ارادة او ادراك حتى تتالم من وجود أشياء كهذه ، فتسلط علمك وذكاءك لتجنب هذه النتائج ؟ ٠٠ ليست الظلمات والقبح والشر والقسوة سوى تحد لاستثارة همتك ٠٠ ففيك تكمن القوة التى تستطيع أن تسيطر على كل هذه الأشياء ! »

واخذت العبارة الأخيرة تتردد فى اضواء خلال السحب المخيمة على ذهن « هس » ٠٠ وعاد الصوت يقول : « لقد أكثرت من اللجاج حول الألم ، وما الألم سوى محنة سريعة الزوال ، فلا تلبث أن تنسى اذا ما انتهت ٠ ولولا الذاكرة والخوف ماكان الألم شيئا ٠٠ انه تغيير ، وانذار ٠٠ وكيف كانت تصبح الحياة بلا الم ؟ ٠٠ ان الألم لايستبد الا بالجبان الضعيف القلب ٠ وفى قدرة الانسان أن يحكم كل الأشياء ! »

★ ★ ★

◆ واخذ الجدل يزداد سرعة فى ذهنه ، ثم ازداد فجاة اشراقا ، وقد أخذت تتخلله خواطره وهو يفيق تدريجا من تاثير المخدر : « لقد انجابت عن روحى غمامة ٠٠ » ٠٠ « لقد كنت فى غياهب ظلام دامس ٠٠ فى مياه عميقة ! » ٠٠ بينما عاد صوت الله يقول : « الم تتخلل حياتك ضحكة ؟٠٠ الم يبعث نسيم

الصباح الغبطة فى كيانك يوما ؟ .. الاتعرف شيئا عن عناق الأحباء ولقـاء الشفاه ؟ .. الم تسبح فى البحر يوما والشمس تلفه بضيائها ، ولا ارسلت صوتك طربا وانت تتسلق جبلا ؟ .. لقد مات ابنك ميتة الشرف ، افليست فى ذلك الشرف فرحة ؟.. لقد كان طاهرا ، مستقيما ، فهلا تجد فى ذلك ما تحمد الله عليه ؟ .. الم تستشعر متعة مداعبة الأطفال يوما ؟ .. ولافرحة الحصول على رد من احد تلاميذك يفيض عن السؤال الذى وجهته اليه ؟ .. اتنكر متعة التلذذ بالطعام الشهى والشراب العذب ؟ .. الا تعرف شيئا عن العمل الذى يحسن المرء اداءه ، ولا عن النوم اذ يواتى المرء فى اعقـاب يوم مضن ؟.. الا مجال للغبطة لدى الفلاح الذى حرث الأرض السمراء ، حين يرى الخضرة تنبت فيها ؟.. وعندما تشق مقدمات السفن الضخمة الماء ، وتحلق الطائرات فى السماء ، ايظل الانسان فى رايك عاجزا ، مستضعفا ، لاحول له ؟ .. ان المرض والنحس البسيط حجبا النور عن عينيك »

واحس « هس » فى منامه كانه يشق طريقه وسط غابة كثيفة ، ويقترب من الخلاء . وهو يخوض فى شباك وقضبان متشابكة .. وكلما اقترب من الفضـاء احس بانه لايزال بعيدا عنه .. وادرك انه فى حلم يقترب من نهايته ، فصرخ : « اجبنى يا الهى !.. فلشد ماعبث بى الشيطان .. اجبنى قبـل ان تغيب عن بصرى ثانية .. اعلى حق انا فى كفاحى ؟ .. امعيب انا فى أن ارتفع عن أرضى الضئيلة الى هنا .. فوق النجوم ؟ »

ـ معيب مادمت تجرؤ ..

ـ هل اتغلب ، واسود ؟

ـ قد تظل الى الأبد تتغلب ، وتجد عوالم جديدة لتغلبها ..

ـ قد ؟ .. اننى ابغى وعدا .. اجبنى !

وفى بطء اشرقت الأفكار فى مخه : « ستظل تغلب طالما بقيت جـراتك وشجاعتك .. قد يدلهم الظلام ، وقد تكون المعركة الراهنة قاسية ، وحشية ، تنتهى بخاتمة شريرة غريبة .. ولكن النصر لك فى النهاية ، اذا ظللت شجاعا . كل شيء يتوقف على الشجاعة التى تعمر قلبك .. والكون كله ، والحياة ، لا تسير الا بالجراة والشجاعة .. ولوفترت هذه الشجاعة ، لخبت النار المقدسة ، ولتداعى كل شيء وانمحى .. ولتبدد الخير والشر ، والفراغ والزمن .. فلا يبقى شيء .. لاشيء ! »

واخذت أصداء « لاشيء » تتردد فى راسه .. وراى الـكون يدور فى سرعة مطردة ، لايكاد يلاحقها العقل ، فيرتطم بعضه ببعض .. وسمع صوته يصرخ فى الخواء : « هل تدوم شجاعتى » .. ولكن ، ما من جواب .. ثم بدايسترد حواسه .. ولاح لبصره المهتز شبح الجراح والطبيب !

٧ ـ الحصاد المبارك !

♦ وانقضت ثلاثة اسابيع ٠٠ لم ير الجراح والطبيب جراحة الحلحت أكثر من هذه التى اجريت لمستر « هس » ٠٠ وظهر ان التـــورم لم يكن خبيثا ، وان الاشتباه فى « السرطان » كان خاطئا ٠٠ وتغيرت الحال الذهنية لمستر « هس » تغيرا عجيبا ٠ لم يعد يحس بتلك القوة المعتمة المتسلطة تخيم على حياته ، وعلى الكون ٠٠ وعاودته شجاعته الطبيعية ! ٠٠ وانـكسرت هجمات الألمان عـلى باريس ، وانقلبت عجلة الحرب ضدهم ٠٠ وبدات فكرة قيام سلام عالمى منظم تسود أذهان الجموع ٠٠

ومات قريب لمستر « هس » عن ثلاثين الفا من الجنيهات أوصى بنصـفها له وبالنصف الآخر لمدرسة (ولدينجستانتون) ٠٠ ولقى سير « اليفاز » ومستر « داد » معارضة شديدة من بقية اعضاء مجلس ادارة المدرســة فى مشروعهما لاحلال مستر « فار » محل مستر « هس » ٠٠ وكان بعض تلاميذ هذا الأخير فى انجلترا فى عطلات قصيرة ، فحملوا الأنباء الى زملائهم فى جبهة القتـال ، وسرعان ماكونوا لجنة راحت تبعث بالنشرات والرسائل من الميـدان ، تهيب بمجلس الادارة أن لايحرم مدرستهم من ناظرها ٠٠ وكتب له احدهم يقـول : « اذا كنت قد فقدت ابنك ياسيدى ، فان بعضا منا هنا يشعرون بأنهم ابنـاء لك ٠٠ اننى اعجز عن وصف مايكنون لك من حب ، فلقد درجوا على أن يروا فيك أبا لهم ٠٠ لاسيما اولئك الذين فقدوا الأب فى الصـغر ٠ قط لم يجد ناظر مدرسة ولا أب بنفسه كما جدت انت بنفسك ! ٠٠ ان معظم من يخوضون القتال يشعرون بانهم حيارى مضيعون ، اما نحن ابناء (ولدينجستانتون) فقد اخذنا الحرب كما ناخذ اى عمل يوكل الينا، وعندما يعود السلام ويقوم عالم جديد ٠ سنجد المجال للعمل ٠٠ هذه هى روح (ولدينجستانتون) ٠٠ ان من قابلتهم من ابناء المدارس الأخرى لايكادون يتبينون طريقهم ٠٠ انما يحملهم على القتال حكم العادة والانسياق لتقليد من يحيطون بهم ٠٠ فاذا حدثتهم عما وراء الحرب ، لم تقو مداركهم على فهمك ، لأن مدرسيهم دفعوا بهم فى دروب ضيقة مسدودة ٠٠ انهم ياخذون الحرب على انها قتال ضد أشياء ، لا من أجل غايات ٠٠ ان قيمة تعاليم (ولدينجستانتون) هى انها تبين لنا الطريق الذى علينا ان نسلكه فى ايامنا القادمة ٠٠ انها تجعل من كل منا لاعبا فى فريق واحد يرشده الخالق ! »

وعجب مستر « هس » وهو نائم فى فراشه ٠٠ « الدروب المسدودة » ٠٠ لقد تحدث عنها فى هذيانه ٠٠ واخذ يقول لنفسه : « اعتقد ان من الممكن تعريف التربية والتعليم بانهما انتشال العقول من الدروب المسدودة ٠٠ ان كلا منا سيظل هائما فى درب مسدود ، مالم نشق طريقا نلتقى فيها لنسير معا ٠٠ »

وبهذا الأمل شرع يفكر فى الخطط الجديدة لمدرسة (ولدينجستانتون) .. وفيما هو كذلك ، اقبلت مسز « هس » وفى يدها وريقة .. وهتفت فى صوت كانه الهمس : « هس .. انه منه .. من ابننا ! »

ونسى الضمادات ، وهم بالجلوس فى فراشه صـــائحا : « اهو حى ؟ .. اسير ؟ » .. فهزت راسها ، وبكت ..

وهتف وهو يتخلل باصـــابعه شعرها فى حنـــان : « كم كنت شريرا .. شقيا ! »

سـكك حديد جمهورية مصر

متحف السكك الحديدية

لايفوتكم أن تزوروا متحف السكك الحديدية بمحطة القاهرة لتشاهدوا تطورات وسائل النقـــل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمـــان ، ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج .

والمتحف مفتوح لإستقبال الزائرين يوميا من الساعة ٥ر٨ حتى الساعة ١٤ عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية تليفون رقم ٧٧٣٩٣

ورسم الدخول عشرون مليما .

من رسائل النساء

أقصر طريق.. الى الطلاق!

قصة ساخرة للكاتب الفرنسي "مارسيل بريفو"

تلخيص : فرج جبران

قصة .. لها أكثر من مغزى !

◆ «الدراسة» التى أقدمها لك فيما يلى ، قد تبدو فى الظاهر - لأول وهلة - قصة عادية « تافهة » ، مثل عشرات القصص الفرنسية «الخفيفة» !.. لكنك لو أمعنت التأمل فى مغزى كل ناحية من نواحيها، لوجدت فيها درسا جديا عميقا يعالج موضوعا من أخطر الموضوعات التى تعرض للنساء فى حياتهن اليومية ، وان آثر مؤلفها - الكاتب الكبير « مارسيل بريفو » - أن يضعها فى هذا القالب المستساغ الذى يسهل فهمه وهضمه ، ويكتبها بهذا الأسلوب الساخر الذى انفرد واشتهر به .. فانت تصادف كلما تقدمت فى قراءة القصة ، مبضعا حادا يخز الناس والمجتمع وخزات قصيرة سريعة تكشف الداء وتشير الى الدواء، تاركة لضمير كل مريض بذلك الداء ان يستيقظ ، ويتنبه الى عواقب افعاله الوخيمة .. ريثما ينتقل المبضع الحاد فى يد المؤلف ليكشف داءا آخر ويجد له الدواء !.. وما الدواء أو العلاج الحقيقى لجميع هذه الأمراض الخلقية والنفسية سوى شىء واحد ، فى متناول كل «مريض» .. شىء واحد ، وان كانت له اسماء متعددة ، فقد تسميه : الضمير.. أو الوعى الخلقى .. أو ادراك العواقب .. أو الخوف من العقاب .. أو مائة اسم واسم أخرى !

من مدام « اردفيل » .. الى صديقتها مدام « ديموستييه »

- ١ -

◆ **أنت** تعرفين ، ياعزيزتى أليس ، اننى زوجة مخلصة أمينة لزوجها ، لم تحاول فى يوم من الايام أن تخون زوجها .. حتى مع أحد أولئك الذين كنت اذا رأيت الواحد منهم أقول لنفسى : « قد يكون من بواعث السرور أن أعبث مع هذا الرجل ، ولو الى حد الغزل .. ولكن ، لا ! اننى لن أخون زوجى ! » .. رغم أنى كنت أحس أحيانا أن من السخف أن أظل زوجة وفية الى هذا الحد ، فى الوقت الذى كنت أصادف فيه كثيرات من السيدات المتزوجات ممن لهن مغامرات كثيرة مع الرجال !

وهكذا بقيت زوجة مخلصة .. ولم يكن هناك شىء يمكن أن يجعلنى أحيد عن طريقى ، كما أن زوجى كان يروق فى نظرى ويحبنى كثيرا ويبرهن لى على حبه بشتى الطرق !

وكنا نكون أسرة سعيدة !

الا أن النكبة حلت بسبب شقيقتى ! شقيقتى التى تكبرنى بمقدار ١٥ عاما ٠٠ وكانت تعيش معنا فى المنزل ، فكانت لى بمثابة « حماتين » لا « حماة » واحدة !

مسكينة شقيقتى « أنيتا » ! انها طيبة القلب على كل حال ، ولكن كيف كان يمكن أن تحتمل رؤيتى أنا وزوجى ونحن نتبادل القبلات طول النهار ، فى حين انه لم يكن لديها ماتقبله الا الصور المقدسة ! ٠٠ وكانت تعود الى فراشها فى ليالى الشتاء الباردة فتجد نفسها وحيدة فريدة ، فى الوقت الذى تعرف أن شقيقتها الصغرى تنعم فيه بالدفء الى جانب زوجها !

مسكينة شقيقتى أنيتا !

لقد أثر كل ذلك فى نفسها ، وكان طبيعيا أن يؤثر ! ولذلك فقد بدا عليها من الهرم بعد انقضاء عام زواجنا الأول مايوازى فى حقيقته هرم خمسة أعوام !٠٠ وفى العام الثانى لزواجنا قال لى زوجى مرة وهو يحدثنى : «ان شقيقتك أصبحت لا تحتمل فيجب أن نزوجها ! »

وبدت لى فكرة زواج « أنيتا » مضحكة فى بادىء الامر ٠٠٠ فان بعض المخلوقات الانسانية تبدو وكأنها من جنس يختلف عن الجنسين المعروفين : اللطيف والخشن ! وكأنها من جنس لايصلح للمعاشرة ٠٠ الا اننى بعد امعان التفكير فى الامراقتنعت بأن ليست هناك وسيلة للتخلص منها غير هذه الوسيلة !

وقال زوجى : « من الممكن أن تتزوج ، فانها تملك مبلغا من

المال لايستهان به ، دعينى أسعى لزواجها ٠٠ »

وصارح شقيقتى بما ينوى ، فظننته يمزح فى بادىء الأمر٠٠ الا انها مالبثت أن أدركت أنه جاد فيما يقول ، فبدا التأثر على وجهها ـ وكان تأثرا ممزوجا بالفرح الحقيقى !

وفى اليوم التالى اصطحب زوجى معه الى المنزل رجلا قال انه يريد الزواج من شقيقتى ، وكنت أتوقع أن أرى فلاحا مضحك الشكل ، ولـكن كم اشتدت دهشتى عنـــدما رأيت رجلا فى الثلاثين من عمره ، « مقبول » الشكل ، منظم الملبس ، وكان من زملاء زوجى فى المصرف الذى يشتغل فيه ٠

وقال لى زوجى : « انه رجل حريص نبيه ، ولكنه يشكو من ضائقة مالية ، ولاشك أنه سيتزوج منها ، وبهذا يتحقق أملنا! »

وسار كل شىء طبقا للخطة المرسومة ٠

-٢-

◆ **وانقضى** أسبوعان ٠٠ وكان الرجل يزور شقيقتى كل يوم وفى أى وقت يشاء ، حتى أخذنا نستعد لاعلان الخطبة الرسمية ٠٠ غير أننا فوجئنا في صباح أحد الأيام بخطاب منه يعلن فيه أن كل شىء بينه وبين شقيقتى قد انتهى « بسبب اختـــلاف الثروة ، والفرق بين سنه وسنها ، الامر الذى يدعو الى الشك فى حقيقة نواياه لو تم هذا الزواج ! » ٠٠ ثم ختم خطابه بالقول انه يحفظ لها فى نفسه تذكارا جميلا !

وهكذا انتهى كل شىء ! وقال زوجى بعد أن قرأ الخطـاب : « انه رجل غبى ، ولن يدخل البيت بعد اليوم ! » ٠٠ وفعلا طلب اليه عدم التردد على المنزل ، فما كان من شقيقتى « انيتا » الا ان اتهمت زوجى بأنه المسئول عن كل ما وقع من خلاف ، وانه قد طرده من المنزل انتقاما منها هى !٠٠ ولما كانت لاتحبه أصلا فقد تضاعف بغضها له ، وعلى اثر ذلك أخـذت تحرضنى على الثورة ضده ، وعدم الاهتمام به ، وتشجعنى على العبث والغزل

مع غيره من الرجال ! ومالبثت أنْ اتهمته بأنه يتردد على منازل ممثلات خليعات بدعوى انه يؤدى واجبات وظيفته !

وكنت أهز رأسى وأضحك وأنا استمع لحديثها ، فلقد كنت كبيرة الثقة بزوجى ..

هل تعرفين ماذا فعلت بعد ذلك ؟

لقد توجهت الى أحد مكاتب الاستعلامات السرية وطلبت منه ان يراقب زوجى بول !.. وجاء التقرير من المكتب بأن زوجى يتردد فى ساعة معينة من كل مساء على « شقة » تقع بالطابق الأرضى فى أحد منازل شارع (باسانو) . وتمادت « انيتا » فى تحريضى ضد زوجى حتى قبلت الاشتراك معها فى مؤامرة صغيرة كان من نتيجتها أن وصل الى يدى خطابان ثبت لى بعد الاطلاع عليهما أن زوجى على علاقة بامرأة أخرى !

ومع ذلك فقد كنت ، أنا الحمقاء ، على استعداد تام للصفح عنه !.. غير أن شقيقتى لم تسمح لى بذلك بل حالت بينى وبينه نهائيا ، وشجعتنى على طلب الطلاق !

- ٣ -

◆ الطــلاق !!

لقد كنت أعتقد أن طلب الطلاق ليس أصعب منالا من حجز مكان فى دار الأوبرا !

أوه ياصديقتى ! اياك أن تطلبى الطلاق ، فانه لا يمـكن أن يخطر ببالك كل مااخترعه القوم من عقبات توضع فى طريق كل من تطلب الطـلاق من زوجهـا ، حتى تسأم وينتهى الأمر بعدولها عن طلبها !

فلـكى تطلب امرأة الطلاق يجب الالتجـاء أولا الى محرر الدعاوى ، ليقوم بكتابة العريضة .. ثم ينبغى البحث بعد ذلك عن محام لكى يترافع فى الدعوى .. وأخيرا يجىء دور القضاة ، ورئيسهم !

هذا الى جانب عدد لايحصى من المراسلات و « المشاوير » !

ومما زاد القضية تعقيدا أن زوجى الخبيث طلب هو الآخر الطلاق ٠٠ وأخذت شقيقتى انيتا تلح على حتى جعلتنى أهجر منزل زوجى !

وذهبنا ، أنا وهى ، الى مسكن تديره بعض الراهبات بشارع (فارين) ، وكان مخصصا للنساء فقط ٠ ولم نشعر بسأم فى ذلك المنزل اذ كان يمكن لأى امرأة فيه أن تعرف بسهولة جميع الطرق التى يمكن بها أن تطلق من زوجها !٠٠ ووجدت بذلك المنزل ست نساء ، كل منهن تبغى الطلاق ، وكان من بينهن أربع نساء صغيرات السن واثنتان مسنتان ٠ وكم كان يسرك لو سمعت أحاديثنا عن الرجال وحملتنا عليهم ،وخاصة عندما كانت تشترك معنا فى الحديث شقيقتى « انيتا » وهى التى لم تجرب الزواج بعد !

انك ، ياعزيزتى ، لو تركت فتاة فى ذلك المنزل لمدة ثمانية أيام فقط لما أمكن أن تخرج منه الا وقد عاهدت نفسها على أن تظل طول حياتها دون زواج !٠٠ ومع ذلك فقد كانت السيدتان المسنتان تبديان أحيانا رغبة فى زواج جديد ، اذ كانت لهما بعض آمال فى المستقبل !

وقد عينت لنا رئيسة الراهبات محرر الدعاوى الذى ينبغى أن نذهب اليه ، وكذلك المحامى ـ ويبدو أن الاثنين كانت لهما صلة وثيقة بهذا المنزل ـ وأؤكد لك أن المسئولين عن ادارة المنزل قد أحسنوا الاختيار ، فقد كان كل من محرر الدعوى والمحامى من النوابغ حقا !

كان الاول ـ محرر الدعوى ـ يدعى « كارتلين » ، وكان رجلا كبير الجسم طويل الشاربين ـ وأنت تعرفين كم أعجب بأصحاب هذا الشكل (أو تذكرين شقيق زميلتنا اوجينى الذى أغرمت به مدة دراستى فى مدرسة الدير ؟) ـ أما المحامى ، فاحدسى :

من هو ؟٠٠ لقد كان « دارتناى » ٠٠ صديقى دارتنـاى ، بل « صديقنا » دارتناى اذا شئت ، فقد كان يسـعى الى مغازلتك انت أيضا !

وقد بدا عليه الاضطراب الشديد حين دخلت مكتبه ، وقال : « كيف ؟ أنت ! انت ٠٠ بلانش ! » — (فلقد كان دائما ينسى اسمى الحقيقى ويدعونى « بلانش » !٠٠ ولعل هذه احـدى سيئاته !) — وأمسك بيدى ثم قبلها ، فأحسست باضطراب خفيف ٠ على أننى تظاهرت بالبرود وعدم التأثر ، وقلت له : « سيدى ! ليس هذا وقت العبث ، فقد حضرت الى هنا لأفاتحك فى مسألة جدية هامة ، وقد أرسلتنى اليك الراهبـة « الأم ايكاريس »

فسألنى « دارتناى » وقد بدت عليه الدهشة : « أأنت قادمة من طرف الأم أيكاريس؟! اذن فأنت قد جئت لطلب الطلاق !»

وأجبته : « نعم ! هذا ماجئت من أجله ! »

ولا أظن أن محاميا من المحامين اضطرب وهو يسمع جوابا من موكله كما اضطرب هذا المحامى ! وقبل أن أفكر فى الدفاع عن نفسى كان « دارتناى » قد أمسكنى بيده وطوق خصرى بذراعه ، ثم عانقنى وانهال على بسيل من قبلاته وضماته وهو يقـول : « الطلاق ! آه يابلانش ! كم أنا سعيد بهذا الخبر ! اننى أعبدك حبا كما تعرفين منذ زمن ! »

وبدأ يغازلنى ويحاول اغرائى ٠٠ وكانت المدة التى انفصلت فيها عن زوجى قد أثرت فى أعصابى ، فكنت على وشك أن أفقد صوابى ٠٠ غير أنى نطقت بهذه الجملة التى أنقـذت شرفى ٠ قلت له : « هنرى ! هنرى ! اننى لاأريد أن أخون زوجى «بول» ٠٠ تذكر اننى مازلت امرأة متزوجة ! »

لكنه قال على الفور : « ماذا تقولين ؟ وأين هو زوجك هذا ؟ انك لست متزوجة الآن ! »

ولم أعرف بماذا أجيبه ، ووجدت أن منطقه سليم ٠٠ فقلت أحدث نفسي : « ان مايقوله حقيقى ٠٠ فأنا على أى حال لست متزوجة الآن ! ولست ملزمة بأداء أى واجب ، فماذا أصنع كى أقاومه ؟ يجب أن أتدبر الأمر ! »

ولكن فى الوقت الذى كنت أتدبر فيه الأمر ، وأفكر فيما يجب أن أصنع لأقاومه ، كان هو مستمرا فى المغازلة ٠٠ حتى اضطربت ولم أجد وسيلة للمقاومة ٠

ولما لم أجد ماأقوله ، أخذت فى البكاء ٠٠ فأخذ يهدىء من روعى ، بأدب وظرف ، حتى شعرت فى الحال أن هذا هو الزوج المنشود ! ولم يكن فى وسعى أن أتبين حقيقة شعورى فى تلك اللحظة ، فقلت له : « هنرى ! يجب أن تتزوجنى ! »

ولم تبد عليه الدهشة فأجاب : « بالتأكيد ٠٠ انت الزوجة التى يحلم بها كل رجل نبيه رقيق الاحساس ! » ـ كم كان مغرورا ، معتدا بنفسه ! ـ ثم استطرد يقول : « نعم ! أنت جميلة ٠٠ رقيقة العاطفة والاحساس ٠٠ هائمة ! »

وبدا على وجهى الخجل وأنا أسمع هذا الاطراء ، فقلت له : « اذن فسوف تتزوجنى بمجرد أن يتم طلاقى من زوجى ٠٠ أليس كذلك ؟ »

فقال : « بالتأكيد ٠٠ ولكن ! »

قلت : « هل هناك : ولكن ؟ »

فأجاب فى تردد وخجل : « اننى ٠٠ متزوج ! »

وكانت صدمة مؤلمة لى ٠٠ فقد كنت أتوقع سماع اى شىء عدا هذا الجواب !

وقلت له : « سيدى ! لقد تصرفت معى تصرفا معيبا ، فليس من اللائق أن تعبث بشرف امرأة بهذه الطريقة ! ٠٠ انك عندما رأيتنى لأول مرة ، وأنا ما أزال فتاة صغيرة ، بادرت بمصارحتى بأنك تحبنى الىدرجة العبادة ٠٠ ومع ذلك يبدو

انك لم تتعجل فى حياتك شيئا قدر ماتعجلت الزواج ٠٠ اذن فأنت لم تكن صادقا فى حبك !؟ »

وأحسست بحزن شديد لما وقع ٠٠ وازداد ألمى عندما قارنت بين موقفى الذليل فى هذه اللحظة ، وشعورى فى الماضى وأنا أتدلل على « دارتناى » ، حتى أدخلت اليأس الى قلبه بعد سعيه الطويل المتواصل !

لكنه عاد يقول : « لقد لجأت الى الزواج بعد أن أدركت أنني أمام امرأة شريفة للغاية ، وأنه ليست أمامى أية فرصة للنجاح !٠٠ ولذلك فقد التمست النسيان عن طريق الزواج ! »

قلت له : « اذن ، طلق زوجتك ٠٠ وتزوجنى ! »

فأجاب : « هذه فكرة لا بأس بها ، وسأبحثها بامعان ، ولكن يجب أن نهتم أولا بقضية طلاقك حتى لايتعطل تنفيذ المشروع ، وسيكفى شهر واحد للانتهاء من كل شىء ، فمتى أراك مرة أخرى ؟ »

وتظاهرت بأننى لاأفهم مايقول ، وأجبته متجاهلة : «سأبعث اليك بمحرر الدعاوى » ٠٠ فقال : « لست أريد أن أرى وجه محرر الدعاوى يابلانش ٠٠ وانما أريد أن أراك أنت ! »

٠٠ ومازال يلح على ، حتى انتزع منى وعدا بالعودة اليه — ووعد بأن يلتزم جانب الحكمة والأدب عند عودتى اليه ! — وفيما هو يودعنى عند باب مكتبه ، سألنى : « وما اسم محرر الدعاوى الذى تتعاملين معه ؟ »

قلت له وأنا أبحث عن اسم الرجل ، وكانت الراهبة ايكاريس قد كتبته لى : « ان اسمه « كارتلييه » ! »

فبدا عليه الامتعاض الشديد ، وقال : « كارتلييه ! كارتلييه! كارتلييه دائما ! لقد تحدثت بشأنه أكثر من مرة مع الراهبة « ايكاريس » ، ولكنها تصر دائما على أن ترسل اليه النساء ! هل تحبين الاستماع لنصحى : لاتذهبى الى كارتلييه ! »

فسألته : « ولماذا ؟ »

قال : « لايليق بامرأة صغيرة جميلة مثلك أن تذهب الى هذا الرجل .. ان أخلاقه غير حميدة ، وله شهرة سيئة ! »

فسألته : « من أى وجهة ؟ »

قال : « انه يحاول دائما اغراء موكلاته ! »

فابتسمت وأنا أسمع مايقول ، ثم تساءلت : « وأنت !.. ألا تصنع مثله ؟ »

فصاح : « أنا !؟ ان هذا ليس من عادتى ، وعلاوة على ذلك فاننى رجل رقيق الاحساس لطيف المعشر .. أما هو فانه رجل قاس ! »

وضمنى الى صدره ـ لكى يثبت لى أنه رجل رقيق الاحساس لطيف المعشر ! ـ وفيما كنت أغادر منزله ، كرر تحذيره قائلا : « لاتذهبى اليه .. انه رجل فظ ! »

- ٤ -

• ماذا كنت تفعلين ، يا عزيزتى ، لو كنت مكانى !

اما كنت تتوجهين الى « كارتلييه » مباشرة ، لكى تثبتى لنفسك ان المراة الأمينة لا تهاب الرجال ؟.. ولكننى مع ذلك عدت الى المنزل ، وارجات اتخاذ اى قرار فى الموضوع الى اليوم التالى ، ريثما استشير الراهبة « ايكاريس » المحترمة من جديد . ولم اصمم على مخالفة تعليمات دارتناى الا عندما سمعت الراهبة تكرر على مسمعى من جديد أن كارتلييه هو « أنزه » محرر للدعاوى فى باريس !.. وكررت كلمة « أنزه » مرتين !

ولما واجهت محرر الدعاوى ، عرفت فى الحال سبب ما نال من شهرة فى ميدان اغراء النساء .. فان عينيه الزرقاوين اللتين يواجه بهما من يحادثه ، تؤثران فى الشخص الآخر حتى لا يكاد يدرك ماوراءهما !.. انها لخسارة كبيرة ان يصبح هذا الرجل محررا للدعاوى .. كان يجب ان يشتغل بالتصوير او التمثيل !

وقد صارحته بذلك . لكننى لم اصارحه به فى الزيارة الاولى .. بل فى الثانية !.. وساقص عليك كل ماحدث :

فاولا لم يحدث شىء مما كنت اخشاه ! وقد تظاهر كارتلييه فى بادىء الأمر بانه جم الأدب ، لايتاثر بسرعة ـ وهذا هو الذى وصفوه بانه رجل فظ ! ـ وبعد انقضاء ربع ساعة فقط على زيارتى له كان قد فهم القضية كلها وبدا يلخصها لى قائلا : « ان زوجك على علاقة بنساء اخريات ، رغم انه لطيف المعشر

لى منزله . وشقيقتك صعبة الاحتمال والمعاشرة ، وهى التى دفعت بك الى طلب الطلاق - رغم ترددك فى بادىء الأمر - والآن قد استقر رأيك على السير فى اجراءات الطلاق الى النهاية ، أليس كذلك ؟ »

وكان هذا هو ما أريد حقاً ولم يبق بعد ذلك الا أن أنسحب وأغادر كارتلييه .. دون أن يحدث شىء ما !

وقد احسست بدهشة ، فان المرء ليكره على أى حال أن يذهب الى مكان ما بعد أن تسلح بكل ذخيرته من الشجاعة ، ثم يفاجأ فى النهاية بأن لم يكن هناك أى خطر يتهدده !

هل كان دارتنان كاذباً فيما قال ؟ اننى لم أحاول أن أؤثر على كارتلييه ، ولكن لاشك أن كل امرأة تشعر بالغيظ اذا أحست أنها لم ترق فى عين شخص اعجبت به هى ! .. وهكذا أحسست بجرح فى كبريائى ، ولم أعد احتمل البقاء مع ذلك الرجل الذى لم يدرك سبب مابدا على وجهى من امتعاض.. لودعنى وقد ظهرت عليه أعراض الدهشة !

وعند ما عدت الى المنزل وجلست مع النزيلات ، فتحت باب الحديث عن كارتلييه ، فلم أسمع منهن غير المديح والاطراء فى الرجل .. واجمعن على أنه رجل عملى ، وكررن ما ذكرته الراهبة ايسكاريس من أنه « أنزه » محرر للدعاوى !.. ثم طرقنا بعد ذلك باب الحديث عن أخلاقه الشخصية ، فلاحظت ان حمرة الخجل قد علت وجوه بعضهن ، وأغلقن باب الحديث فى هذا الموضوع فى الحال !.. فسألت نفسى : « هل أساء الرجل اليهن جميعاً من هذه الناحية ، ولم يعف الا عنى أنا .. وحدى ؟! »

وأخيراً عثرت على سيدة صغيرة السن جميلة الشكل كانت تطلب الطلاق من زوجها لأسباب تافهة تتعلق بحجرة النوم ، وقد اعترفت لى هذه السيدة بكل شىء اذ انتحيت معها ركناً من الأركان وأخذت أشكو اليها كارتلييه بدعوى أنه غازلنى عند ما ذهبت اليه ، فما كان من المسكينة الا أن اعترفت لى بكل ماحدث بينها وبينه !

لكن المسألة لم تنته عند هذا الحد ، فقد قررت أن أعود الى مكتب محرر الدعاوى لأكتشف بنفسى حقيقة امره . وقد استجمعت أطراف شجاعتى كلها حتى أبدو بمظهر عدم الاكتراث امام هذا الشيطان الذى كنت قد بدأت أشعر نحوه بالكراهيـة !

وكنت فى كامل زينتى ، فلما دخلت الى حجرته اقتربت من مكتبه وأنا أتظاهر بأننى أبغى قراءة عبارة وردت فى أوراق قضيتى الموضوعة امامه . ولامس وجهى شاربه الكبير ، فلم تنقض لحظة واحدة حتى بدا عليه تغير كبير من اثر هذا الاحتكاك .

وكانت ثمة مغامرة هائلة !

لاشك أن المرأة الشريفة تخطىء كثيراً عند ما تغتر بقوتها وتحاول أن تجرب قوة دفاعها أمام ثورة الرجل وقسوته.. انها تعرض نفسها لأعظم الأخطار !..

ولقد أثبت « كارتلييه » فعلا انه رجل فظ . وقد قلت له هذه الكلمة فى وجهه

بكل قوة وشجاعة عند ما غادرت مكتبه بعد المغامرة بلحظات قليلة .. هل يمكن أن تصدقى يا اليس ان الرجل عاد بعد المغامرة فورا الى مكتبه وجلس يقلب أوراق القضية بكل هدوء ، كأن لم يحدث شىء !؟

وأؤكد لك اننى لن أعود اليه مطلقا الا اذا اضطررت الى ذلك ، فقد كنت ثائرة ضد ما وقع ، وان أخذت التمس العذر لنفسى قائلة : « ما دمت امرأة مطلقة فانا حرة ، غير مقيدة بشىء من الواجبات . ولا شك أن « دارتناى » سيتزوجنى ، واذ ذاك أخلص له .. ولكنى ، حتى الآن ، لست ملزمة نحوه بشىء ! »

وقد ثبت لى أنه ليست هناك وسيلة للسير فى الطريق القويم الا بالمحافظة على المبادىء بكل دقة !

- ٥ -

◆ وكان على بعد ذلك ان اقوم بزيارة القاضى الذى سيفصل فى القضية ، والمفروض انه يحاول ، بادىء ذى بدء ، أن يصلح مابينى وبين زوجى ويزيل كل خلاف، وكنت قد اتعظت بماحدث لى قبل ذلك ،فرأيت ان أستشير السيدة الصغيرة السن التى صارحتنى بكل شىء عن كارتلييه . وكان موعد نظر قضيتها يسبق موعد نظر قضيتى بثمانية أيام . وقد قالت لى تحدثنى عن القاضى :

— انه ليس شديد الخطر ، وهو متوسط السن على اى حال . وقد برع فى مظاهر التحية على طريقة المدرسة القديمة ! فاذهبى اليه دون خوف ولا وجل ، ويجب أن تتلطفى معه .. لأن فى وسعه — كما تعلمين — أن يعارض فى طلاقك !

يعارض فى طلاقى ؟! لو خطرت لى هذه الفكرة منذ اسبوعين لما تركت اثرا فى نفسى ، ولتقبلتها كما أتقبل اية فكرة اخرى دون أن احسب حسابا لأختى انيتا ! اما اليوم ، وبعد ما كان بينى وبين دارتناى وكارتلييه ، فقد كان يخيل الى أن اعادة السلام بينى وبين زوجى أمر مستحيل ، وعمل غير لائق من الوجهة الاخلاقية !

.. ولذلك فقد تلطفت مع المسيو « كودراى » القاضى ، عند ما ذهبت لأقابله. وقد وجدته رجلا متوسط الحجم ، احمر الوجه ، اطلق شعر عارضيه . وعند ما دخلت الى مكتبه وجدته منهمكا فى اعماله ، يقلب أوراقه الكثيرة ويدون آراءه فى مختلف الأزواج والزوجات .. وفى النهاية فتحت موضوع الحديث فى قضيتى فقلت له : « ان زوجى كان يتردد كل مساء يا سيدى القاضى على منزل فى شارع (باسانو) لدى امرأة اسمها هنرييت دى كوتنى .. »

فقاطعنى بقوله : « كل مساء ! كل مساء ! ان زوجك ليستحق الاعجاب اذا كان قد تمكن رغم ذلك من الاحتفاظ بعلاقته معك ! »

.. ثم بدأ يغازلنى ، فكان تارة يمر بيده على وجهى ، وهو يبتسم لى ويظهر لى عطف الأب على ابنته ، حتى بدأ يضيق صدرى فى النهاية ! ولكن لم يكن

لى وسعى ان اوقفه عند حده او امنعه من هذا العبث ، اذ تذكرت ما قالت لى السيدة الصغيرة السن من آن فى وسعه آن يعارض فى طلاقى !

ولما انقضت ثلاثة ارباع الساعة على هذهالحال ، عاد الى مقعده ، ثم قال لى : « اقتربى من هنا يا ابنتى ! »

واطعته .. فامسك بيدى ، وبدأ يلقى على عظة قصيرة كان فى اثنائها يمسك بيدى ، ويزداد اقترابا منى ، وهو يقول : « ان الطلاق يا ابنتى امر خطير ! تصورى مركز امرأة فى المجتمع ليس لها من يتولى حمايتها ، (وهنا شعرت بيده تتحسس ذراعى من أسفل الى أعلى !) وأنت شخصيا لايبدو عليك مظهر المرأة التى تكره زوجها (وهنا وضع قبلة على خدى !) او مظهر المرأة التى تريد أن تنفصل عنه لمجرد انه تردد بضع مرات على منزل بشارع « باسانو » . تذكرى يا ابنتى عدد الأيام السعيدة التى قضيتها الى جانب هذا الزوج .. استعيدى ذكريات الزواج الهنيئة (وهنا طوق خصرى بذراعه !) واذكرى كذلك شهر العسل . فما قولك بعد هذا ؟ »

يا للغرابة ! لقد اشتد تاثرى لهذه الذكريات التى اثارتها فى نفسى كلمات القاضى ، حتى اننى لم أبال بحركاته .. بل فكرت حينئذ فى زوجى بول !.. مسكين زوجى . لقد كان رجلا لطيفا ، كريما ، مسليا ، عطوفا ! ولقد بدا لى مما قاله القاضى أن فكرة العودة اليه والدخول تحت سيطرته مرة اخرى ، ليست الا شهر عسل جديد ساقضيه معه ! وكنت استمتع بهذه الفكرة الجميلة حين التفت منها وانا اصيح قائلة :

ـ سـيدى !

وكان الغضب قد استولى على ، لأن القاضى استغل الفترة التى غبت فيهـا عن صوابى وانا غارقة فى الحلم الجميل بقرب العودة الى احضـان زوجى .. استغل هذه الفترة وسمح لنفسه بأن يقبلنى فى فمى !

ويظهر آن القضاة فى بلادنا لايخافون شيئا ، لأن الرجل لم يرتـدع ، فلم يسعنى الا أن ارفع يـدى واهوى بها على خده فى صفعة قوية لم يتلق مثلها طول حياته ـ اننى على ثقة من ذلك !

لكنه لم يغضب لهذه الصفعة ، بل امسك بيدى وقبلها وهو يقول :« لحسن حظك اننى لا ارتدى لباسى الرسمى .

والا لكلفتك هذه الصفعة خمس سنوات من السجن ! »
وعند هذه الكلمة افترقنا ، دون ان يشعر احدنا بحقد يذكر ضد الآخر ـ اذ كان قد اكتفى بما حدث ، بسبب سنه ـ وأما من ناحيتى فانه كان قد حدثنى عن زوجى بول حديثا ممتعا اعاد الهدوء الى نفسى ، وذكر لى ما لم اكن اجرؤ على ان اعترف به لنفسى : وهو اننى .. ما زلت احبه !

- ٦ -

◆ وعدت بعد ذلك الى منزل شارع (فارين) الذى يضم جميع الغاضبات من أزواجهن ، الراغبات فى الطلاق منهم ، فوجدت شقيقتى « أنيتا » تنتظرنى وهى مسرورة قريرة العين بين هؤلاء النسوة اللواتى يكرهن أزواجهن ولا يتحدثن عنهم الا بالشر !.. وما ان رأتنى حتى بادرتنى بهـذا السؤال : « أرجو أن تكون قضية الطلاق سائرة فى طريقها المرسوم ؟ »

فأجبتها فى حدة : « دعينى وشأنى ! ان تحريضك لى ضد « بول » هو السبب فى كل شىء .. فأرجو ألا تتحدثى عنه بشر بعد اليوم ! »

ولكنها أجابتنى بذلك البرود الذى أحسدها عليه ، والذى لا نجده الا فى هؤلاء العانسات اللواتى يعرفن كيف يبعثن الكراهية الى القلوب ويسممن الأفكار : « ولماذا لا تذهبين للقائه اذن ؟!.. انك تعرفين مكانه ، فى ذلك المنزل الموجود بشارع (باسانو) ، ويمكنك لو ذهبت الى هناك أن تشربى الشاى مع عشيقته هنرييت دى كونتى ! »

عشيقته ! هنرييت دى كونتى ! ان هـذا حقيقى على أية حال .. وهذه المرأة مازالت حية ترزق ، وقد رأيت صورتها ! ولا شك أن زوجى بول لا يكاد يفترق عنها الآن !

واذ تذكرت كل ذلك قلت لشقيقتى انيتا : « أنت على حق .. يجب أن أطلقه ! » .. ثم انسحبت الى حجرتى وأخذت فى البكاء ، غير أننى لم أشعر بالحقد القديم ضد « بول » ، ولم

أحس بالغضب السابق لخيانته .. بل حدثتنى نفسى قائلة : « لم تعد لك الآن حقوق على زوجك تدفعك الى اظهار الغيرة والحقد عليه ! » .. ثم قلت لنفسى : « **وعلى أى حال ، ليس لى أن ألومه .. فقد خنته كما خاننى هو من قبل ، وأصبحنا « خالصين » !.. بل ربما كان لزوجى على بعض الدين !** »

وانقضت على ذلك ثلاثة أيام ، تلقيت بعدها دعوة المتوجه الى المحكمة . وعرفت انها دعوة لمحاولة ازالة الخلاف بينى وبين زوجى قبل السير فى اجراءات الطلاق .

وذهبت الى المحكمة فى عربة ومعى شقيقتى أنيتا . وسرت فى حجرات وردهات متعددة حتى وصلت الى حجرة الانتظار التى تؤدى الى قاعة المحكمة . وكان قلبى يدق بشدة ، ثم تزايدت سرعة دقاته ، لا لخوفى من أن يصدر الحكم ضد مصلحتى ، أو خوفا من الطلاق .. بل كان السبب هو توقعى رؤية زوجى بعد لحظة قصيرة !

وكانت حجرة الانتظار غاصة بالمنتظرين على اختلاف أشكالهم ، وخاصة من الفلاحين . وكان الرجال يجلسون على حدة وقد انتحى كل منهم ركنا من الأركان وجلس وحيدا كئيبا ، وعلى وجهه أمارات الحزن والكمد .. أما النساء فكانت تصحب كل منهن أمها ، أو احدى قريباتها ، أو صديقاتها المسنات (فلكل منهن « أنيتا » خاصة بها على وجه التأكيد !)

ودرت ببصرى أبحث عن زوجى بول ، فلم أره فى بادىء الأمر . الا أن انيتا ظلت تبحث عنه ببصرها حتى عثرت عليه .. فقبضت بكل قوتها على ذراعى وقالت : «هاهو التعس !.. اياك أن تهتمى بالنظر اليه ! »

ولم أهتم بالنظر اليه ، ولكنى مع ذلك اختلست نظرة واحدة ألقيتها على ذلك « التعس » !.. **كم كان جميلا ! لقد**

أصابه شىء من الهزال ، الا انه كان لا يزال محتفظا بجمـــاله وزانته • وكان قد وضع بعض زهرات البنفسج فى عروة سترته ، كما كانت قبعته أنيقة ، تزيده بهاء ، ورباط رقبته من أحدث الأنواع ! وقدخيل اليه أن كل المنتظرين فى المحكمة ينتسبون الى طبقة أقل من طبقته ، وأنهم لا يليقون الا بأن يكونوا خدما له ، ينظفون ملابسه ، أو يمسحون حذاءه ، أو يفتحون باب عربته !

ومر بخاطرى فى ذلك الوقت المحامى « دارتناى » ، ومحرر الدعاوى « كارتلييه » ، والقاضى •• فقلت لنفسى : « ان زوجى أجمل منهم جميعا ! » ـ وهكذا وجدت نفسى أتحدث عن بول بوصفه « زوجى » مرة أخرى ! ـ بينما بدأت أنيتا تكرر على الدرس فتقول : « يجب أن تتظاهرى بالثبات وعدم الاكتراث ، انهم سيحاولون الآن اصلاح ذات البين ، وسيحاولون الجمع بينكما ، فاذا انتابك أى نوع من أنواع الضعف فلتـــذكرى عشيقته هنرييت دى كونتى !•• ولكن ، أين تنظرين ؟ »

وكانت قد تنبهت أخيرا الى أن نظراتى تتجه الى « بول » ، ورأته وهو يغمز لى بطرف عينه • وكنت أفهم ما يقصد بهذه الغمزات ! كان ينظر الى بعينى العشيق لا الزوج •• وكأنه يريد أن يقول لى : « **حبيبتى بلانش ! لقد فعلت كل شىء حتى أمكنك أن تأتى بى الى هذا المكان ، ولقد أصابنى من وراء ذلك شقاء عظيم ! ولكننى رغم ذلك ما زلت أحبك !** »

وحاولت أنا أيضا أن أرد عليه بلغـــة العيون ، فقلت له : « **يازوجى العزيز ! اننى أكون سعيدة جدا لو أمكننى أن أقبلك الآن فى فمك ! ولكنى لا أجرؤ على ذلك أمام شقيقتى أنيتا** »

وكانت انيتا قد أكتشفت هذا الحديث الخفى ، فأوقفته فى الحال ـ بمنتهى القسوة ـ وألزمتنى بتحويل نظراتى الى ناحية

أخرى . وما لبثت أن سمعت صوتا يصيح : « قضية بلانش اردفيل » !

وهمست أنيتا فى أذنى قبل أن أدخل الى قاعة المحكمة : « تشجعى واذكرى عشيقته هنرييت دى كونتى ! هنرييت دى كونتى ! » .. وأخذت تـــكرز على مسمعى هذا الاسم البغيض حتى وصلت الى باب القاعة ، ودخـــل زوجى ، ثم دخلت أنا الأخرى . وقال لنا الحاجب : « انتظرا هنا الى أن يأتى الرئيس ونائبه .. وسيحضران فورا »

ثم خرج من القاعة وتركنى وحدى مع .. زوجى !

وجلس بول على أحد المقاعد . أما أنا فتوجهت الى النافذة وأخذت أطل منها على الفضاء ، كى أستعيد رباطـــة جأشى وهدوئى ، وأخذت أكرر القول لنفسى : « هنرييت دى كونتى ! هنرييت دى كونتى ! » .. حتى شعرت فى النهاية برغبـــة شديدة فى التوجه الى ذلك السيد الأنيق الجالس على مقعده فى الحجرة ، وصفعه على وجهه بشدة !

لـكننى شعرت بذلك السيد وهو يترك مقعده ويسير متجها الى ، فقد كان لحذائه صوت مسموع .. وأخذت رائحـــة البنفسج تدنو منى !

هل كنت غبية ؟

لم أجرؤ ، وأنا أشعر به يتقدم متجها الى ناحيتى ، على النظر اليه .. وأحسست اننى سأصاب بدوار وأسقط على الأرض ! .. بل انى تمايلت فعلا وكدت أقع ، لولا أن تلقانى « زوجى » بين ذراعيه !

فلتلصقى بى يا عـــزيزتى « أليس » كل أنواع التهم .. ولتقولى اننى امرأة لا أستحق الاحترام ! ولكن كان بودى أن أعرف ماذا كانت تفعل أى امرأة أخرى لو كانت مكانى ! — ولست أرى بأسا فى أن يوصف المرء بالجبن لأنه يحب شخصا

آخر ٠٠ بل ويجزل له الحب !

وسمعت صوتا أعرفه حق المعرفة ، يردد القول : « يخيل الى أن كل شيء قد انتهى على خير ما يرام ! » ٠٠ وكان ذلك صوت رئيس المحكمة القاضي « كودراى » ، الذى دخل لحظتئذ الحجرة فى سكون تام ، لكى يرى ما تم ! وكان معه مساعده ، وقد وجدانا جالسين على المقعد نتحدث فى هدوء ، واحدى يدى فى يد « بول » !

وقد أحسست عندئذ بشيء من الاضطراب ، منعنى من الحديث ، غير أن رئيس المحكمة توجه بالحديث الى بول فقال : « **ها أنت ترى يا سيدى أنه ليست هناك وسيلة لعقد الصلح بين زوجين أنجع من تركهما وحدهما مدة خمس دقائق ! ان الحب هو وسيلة الاصلاح فى هذا العالم ٠ وهذا موضوع حيوى أود أن أعالجه فى محاضرة عامة ألقيها على الناس !** »

وكم كان الرئيس بارعا ! فقد أمرنا أن نخرج من باب خلفى خاص حتى لا نمر أمام الحمقى فى الحجرة الخارجية فيثير مرورنا ابتسامهم الساخر !

وكان كل همنا بعد ذلك أن نفر من شقيقتى أنيتا ، ولذا فقد غادرنا دارالمحكمة بسرعة بعدأن ركبنا أول عربة مرت بنا ، كما يفعل العاشقان فى أول عهدهما بالحب !

والآن ٠٠ اسرع ! اسرع أيها السائق !٠٠ اسرع الى منزل بول ٠٠ بل منزلنا ! »

كل هذا حسن ٠٠ ولكن أنيتا ؟٠٠ ودارتنـاى ؟٠٠ وكارتلييه ؟٠٠ ماذا يكون شأنهم جميعا ؟!

أما أنيتا فاننى لم أرها بعد ذلك ! ولم تعن بالرد على خطابى الذى أرسلته اليها لأبرر موقفى ٠ وقد أحزننى موقفها هذا ، ولكن عزائى أن شقيقتى قد عرفت سبيلها فى الحياة وانضمت الى زمرة السيدات الغاضبات من أزواجهن فى المنزل الذى

تديره الراهبات بشارع (فارين) ، وكل مهمتها الآن أن تحرض كل سيدة على الانفصال عن زوجها وعلى طلب الطلاق اذا بدا منها أى ميل لعقد الصلح !

أما « دارتناى » و « كارتلييه » فكان يجب أن أعود اليهما كى أدفع لهما قيمة اتعابهما — اذ لم يكن من اللائق أن يذهب اليهما زوجى — ليدفع هذا الحساب ! — وهل يمكن أن يصدق أحد أن الاثنين خطر لهما بمجرد رؤيتى أن يعاملانى معاملة امرأة صغيرة السن فى متناول يدهما ، بعد أن رفعت الكلفة بينى وبينهما !٠٠ الا أنهما ما لبثا أن أدركا أن هذا لم يعد ممكنا ، فانتزعا الفكرة من رأسيهما !

وانني لأعجب حقا وأتساءل : هل فقد الاثنان وأمثالهما كل وازع أخلاقى حتى نسوا أو تناسوا ، رغم درايتهم بالقانون ، أن المرأة المتزوجة ليست الا شيئا صغيرا مقدسا يملكه زوجها٠٠ من أعلى الرأس الى أخمص القدمين ؟!

أما أنا ، وقد عرف عنى دائما التمسك بأهداب الأخلاق الفاضلة ، فقد أدركت فى الحال ما على من واجبات والتزامات ، وبدأت أتقيد بها دون عناء !٠٠ وقد أخذت أحس — والسرور يملأ قلبى — ان « بول » يحبنى ويهيم بى غراما ، كما كان الحال أثناء شهر العسل تماما ٠٠ بل انه قد استعاد حبى له وتأثيره على ، حتى كدت أقص عليه منذ اليوم الأول لعقد الصلح ، ودون مناسبة ، كل ما حدث لى خلال الأزمة التى تخللت حياتنا الزوجية وكدت فيها أطلق منه ٠٠غير **أننى — فى آخر لحظة — اغلقت فمى وامتنعت عن الاعتراف والخوض فى الموضوع ؟**

وأظن اننى أحسنت صنعا !!

« بلانش »

عندما ترتفع الستار..

روائع المسرح العالمى (التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارى :

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

◆ خطايا الحب : لأوسكار وايلد ◆ نزاهة الحكم : جوجول ◆ سلاح المراة : اريستوفان ◆ فولبون : بن جونسون ◆ جيوكندا : دانونزيو ◆ كلام الناس : جوزيه اشيجاراى ◆ مدرسة الفضائح : شيريدان ◆ سيرانو دى برجراك : روستان ◆ لعبة الحب والموت : رومان رولان ◆ مروحة الليدى وندرمير : وايلد ◆ فاوست : جيته ◆ اوديب الملك : سوفوكل ◆ فى سبيل الحب : جون درايدن ◆ وليم تل : شيللر ◆ الام : مكسيم جوركى ◆ الملك يلهو : فيكتور هوجو ◆ الجنس الآلى : كاريل كابيك ◆ الابن الاكبر : جالزورثى ◆ هرنانى : فيكتور هوجو ◆ ترويض النمرة : شكسبير ◆ الحياة نفاق : لويجى بيراندللو ◆ اغلال الحب : بستيف باسير ◆ المنافق (طرطوف) : موليير ◆ بيت الليل : تيرى مونييه ◆ علموهم الحب : روجيه فردينان ◆ زوج مثالى : أوسكار وايلد ◆ سالومى : أوسكار وايلد ◆ مدرسة الارامل : جان كوكتو ◆ برهان الحب : جان انوى ◆ لوسيد : بيير كورنى ◆ كيف نقع فى حبائلهن : بروفانس

واليوم ، آقدم لك هذه المسرحية الصينية الرائعة

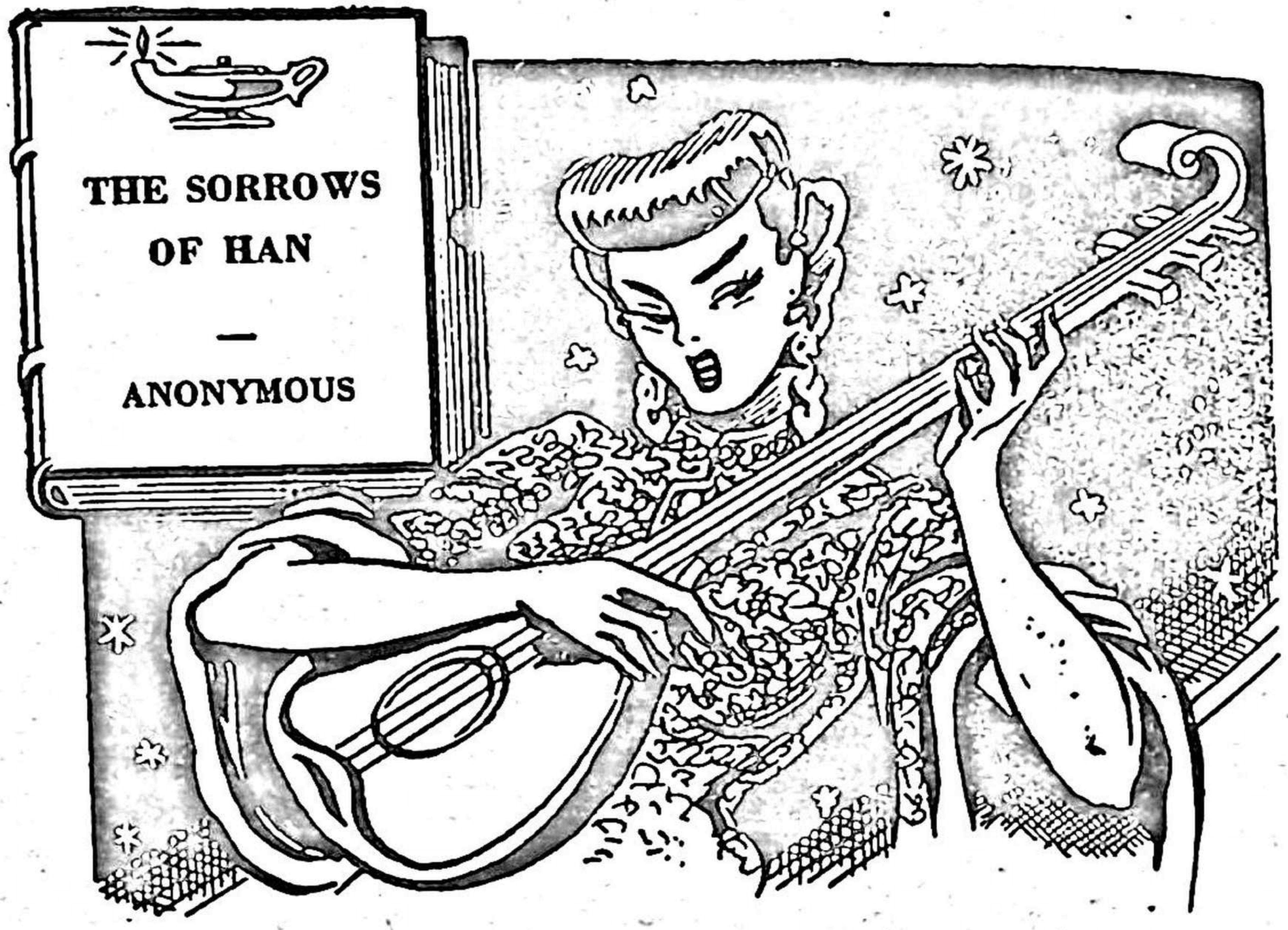

أحزان "هان"!

قصة تمثيلية من روائع المسرح الصيني

مسرحية مشهورة ٠٠ لمؤلف مجهول !

• تدور هذه المأساة التاريخية - التى لا يعرف احد اسم مؤلفها ! - حول أحداث وقعت فى الصين القديمة حوالى عام ٥٠ قبل الميلاد ، هى تضحية الأميرة العذراء « شاوكوين » بحياتها فى سبيل مقاومة غزو « التتار » !٠٠ وقد كانت هذه التضحية الفريدة بمثابة النبع الذى استمد منه شعراء الصين ورساموها ومؤرخوها الوحى والالهام ٠٠ كما ظل قبر الأميرة المشهور - طيلة أكثر من الف عام - كعبة الحجاج الصينيين ، يزورونه فيحنون امامه هاماتهم ، اجلالا وخشوعا لذكراها التى ما تزال حية عاطرة فى اذهان عشاق الشعر الصينى الى يومنا الحاضر !٠٠ بل ان اهل الصين يتداولون الاعتقاد بان قبر الأميرة قد ظل مزدهرا بالخضرة على الدوام ، حتى خلال صقيع الشتاء القارس وحر الصيف اللافح !

وتتميز هذه المسرحية - كما يتميز الفن المسرحى الصينى على وجه العموم - بالبساطة الاخاذة ، والخلو من التعقيد ، سواء فى العواطف أو فى المواقف التى تعرضها المسرحية ٠٠ فترى الأحداث تسير من البداية الى النهاية سيرها المفجع الذى لا مفر منه ، فى انتظام الخط المرسوم ٠٠ مع اقتصاد فى الاضاءة والظلال ، يتمشى به الاخراج مع هذه البساطة التامه فى التاليف

فتعال معى نعيش هذه الصفحات الممتعة فى جو الصين القديمة ، منذ اكثر من الفى عام :

- ١ -

• تبدأ الرواية بشبه مقدمة ، يظهر فيها على المسرح ثلاثة من أبطالها الرئيسيين كى يشرحوا للنظارة أدوارهم التى سوف يضطلعون بها فى سياق المأساة : **فنرى أولا زعيم التتار « الخان » يعلن ان جنوده هم « غول » الصين الرهيب ، وانه سيزحف بجحافلهم ليغزو مملكة « هان » الصينية ، ما لم يتلق من امبراطورها الأتاوة التى طلبها منه : وهى يد الاميرة الحسناء « شاوكوين » !**

ثم يترك « الخان » المسرح فيدخله فى اثره رئيس وزارة مملكة « هان » ، وهو سياسى شرير يصارح النظارة بأن مهمته هى أن يخدع رؤساءه ، ويضطهد مرؤوسيه !٠٠ **ولسوف يحاول اقناع الامبراطور باقصاء مستشاريه الحكماء والانغماس فى ملذات الخمر والنساء والغناء !٠٠ « وبهذه الوسيلة يمكننى ان أضاعف من قوتى وسطوتى ! »**

وينسحب رئيس الوزارة من المسرح ليظهر على خشبته الامبراطور نفسه ، الذى يحدد دوره فى الرواية بقوله : **« عندما مات أبى العظيم تبدد شمل « حريم » قصرنا ٠ لكن وزيرى المخلص قد أخذ على عاتقه أن يملأ جناح الحريم من جديد ٠٠ وسوف ينتقى لهذا الغرض أجمل عذارى المملكة وحسانها، ويزودنى بصورة لكل منهن تعيننى على اختيار التى تروقنى ، وهكذا يدخل الفرح والبهجة الى قلبى ٠٠ فالمجد لوزيرى من أجل خدماته الموفقة ! »**

ولكن لا يكاد يرفع الستار عن الفصل الأول حتى نعلم أن الوزير الأول غير قانع بالمجد الذى يريقه عليه مولاه ، وانما هو يطمع فى بريق الذهب ويفضله على سناء المجد : **« اننى أنقل الى حيازتى سبائك الذهب الضخمة ، ولا أعبأ بانهر الدماء التى تسيل من جراء خططى الشريرة ٠٠ كل ما أشتهيه أن تتراكم الثروات فى يدى مدى حياتى ، وليست تهمنى لغات البشر بعد موتى ! »**

وطبقا لهذه الخطة المرسومة يحرص الوزير على انتقاء العذارى بنسبة ثرائهن لا جمالهن ، فهو لا يقدم الى الامبراطور غير اللواتى دفع له أباؤهن الرشاوى الضخمة !٠٠ وبهذه الصورة وقع اختياره حتى الآن على تسع وتسعين عذراء ، ولم تبق على اكتمال « الحريم » غير واحدة !٠٠ ولقد رأى لتوه عذراء اسمها « شاوكوين » ، ذات جمال « يطعن القلب كالسهم » ، وليس فى المملكة باسرها من تضارعها جمالا ،

لكن أباها ـ لسوء الحظ ـ لا يملك الاتاوة المطلوبة .. والوزير يشكو من انه حين طالبه بالمائة أوقية من الذهب ، أجابه بان ثروة ابنته هى حسنها !

لـكن الوزير الشرير يفـكر فى خطة جهنمية للتخلص من هذا الحرج : « **سوف أشوه صورتها التى أحملها الى الامبراطور ، الى حد يجعله حين يراها يلقى بها فى زوايا النسيان ، فتعيش فى الحريم منبوذة حبيسة ، ولئن تعذر على أن احصل من هذه الفتاة على الذهب ، فسوف أقنع على الاقل بعملة الانتقام !** »

- ٢ -

◆ **فاذا** كان الفصل الثانى فنحن فى قصر الامبراطور ، حيث تقيم « شاوكوين » منذ أمد ، شبه منفية ، أو منسية ، بعد ان استبدل الوزير بصورتها صورة فتاة قبيحة ثم عرضها على مولاه .. فلم يعبأ هذا بالالتفات اليها بطبيعة الحال .

الوقت ليل .. وقد عمدت شاوكوين الى الغناء والعزف على العود ، كى تبدد وحشة وحدتها الـكئيبة وتحتال على انفاق ساعات الليل الطويلة ..

ويبلغ غناؤها سمع الامبراطور ، فيطرب له أشد الطرب ، ويرسل فى استدعائها من جناح الحريم .. ولا تـكاد تمثل امامه حتى يدهشه أن يجد وجهها أجمل من صوتها :

الامبراطور : كيف حجبت عن عينى هذه اللؤلؤة ذات الجمال الذى لا يقدر بمال ؟

شاوكوين : عندما اختـارنى وزيرك يا مولاى طلب من أبى رشوة كبيرة ، عجز أبى عن دفعهـا ، فعمد الوزير الى تزييف صورتى كى أظل ملقاة فى زوايا الاهمال والنسيان !

الامبراطور : آننى أجعل منـك أميرة من أميرات مملـكة

« هان » . ومنذ الساعة تكونين الجوهرة المدللة فى تاجى .. أما الوزير فسوف يقطع رأسه على الفور !

لكن الوزير يعلم بأمر الامبراطور قبل أن ينفذ .. فيلوذ بالفرار الى جهة أخرى ، ليجنى الثمار السامة لخطته الشريرة !

- ٣ -

◆ **فاذا** كان الفصل التالى فنحن فى خيمة « الخان » زعيم التتار .. وقد طلب الخان من امبراطور الصين ، بصفة أتاوة ، أميرة من حريم القصر ، لكن الامبراطور رفض طلبه .. ومن ثم نجد الخان غاضبا حانقا ، يهدد ويتوعد بغزو مملكة « هان » !

وفى تلك اللحظة يدخل الخيمة وزير الامبراطور ، الهارب من العقاب ، وقد أحضر معه الصورة الحقيقة للأميرة :

الوزير : تأمل ، أيها الخان العظيم ، هذه الصورة لأجمل عذراء فى قصر الامبراطور !.. عندما جاء مبعوثك ليطلب أميرة من المملكة نصحت الامبراطور بأن يرسل اليك هذه العذراء . قلت له : « لا تدع حربا تنشب بين شعبين عظيمين من أجل امرأة ، أيا كان جمالها ! » .. وبسبب هذه النصيحة أمر الامبراطور بقطع رأسى ، لولا أن هربت ومعى هذه الصورة التى أقدمها اليك الآن أيها الخان العظيم

الخان (ينظر الى الصورة) : لم يكن يدور بخلدى قط أن هذا الجمال يمكن أن يوجد على الارض! .. ومنذ الساعة ستكون امنيتى الوحيدة أن أحصل على هذه الأميرة ! سوف أجعل

زواجي منها شرطي الوحيد لاستمرار السلام بين الشعبين .. فاما أن تأتي هي الى خيمتي ، أو أغزو أنا قصر الامبراطور !

- ٤ -

◆ **فاذا** كان الفصل الرابع فقد عدنا الى قصر الامبراطور ، حيث أبلغ انذار الخان الى جلالته ، فوجد نفسه راغبا عن قبوله .. وفي الوقت عينه خائفا من عواقب رفضه !.. **فهو يحب الاميرة حبا يملك مشاعره ، ويجعله عاجزا عن فراقها .. لكنه أيضا يحب شعبه ولا يجرؤ على تعريضه لمخاطر الغزو وأهواله !..** ولكي يظفر الامبراطور الحائر بفسحة من الوقت يتدبر خلالها الأمر ، يقول لرسول الخان في لهجة الود الخالص : « يمكنك أن تمضي الى جناحك فتنال قسطا من الراحة بعد رحلتك الطويلة الشاقة .. وفي أثناء ذلك سنعقد مجلس وزرائنا تمهيدا لاتخاذ القرار الصائب »

وابان اخلاد الرسول للراحة ، تعرض الاميرة على مولاها أن يسلمها الى الخان كي ينقذ المملكة من غزو التتار : « **فانه لواجب على خادمتك الوفية يامولاي أن تواجه النفي بشجاعة في سبيل افتداء وطنها** »

لكن الامبراطور يتردد ، بينما يناشده مستشاره أن يقبل تضحيتها : « أتوسل اليك يامولاي أن تذكر حبك لشعبك ! »

حيال ذلك يوافق الامبراطور ، على مضض ، وتتأهب الأميرة للرحيل : « **انني أمضي الى المنفى مختارة من أجل وطني ، وان كنت لا أقوى على فراق مولاي الحبيب** »

- ٥ -

◆ **فاذا** كان الفصل التالي فقد دخل مبعوث الخان على الأميرة يستحثها على الاسراع :

الأميرة : فى البداية كانت صورتى المزيفة التى جلبت على التعاسة ٠٠ واليوم تجلبها على صورتى الحقيقية !٠٠ يبدو أن الهناء ليس من نصيبنا على الارض ٠٠ وعلينا أن ندفع ضريبة الجمال خبزاً ممزوجا بالدمع والألم !

الرسول : مرة أخرى دعينى أستحثك على المبادرة بالرحيل ياصاحبة السمو ٠٠ فلقد تأخرت عن الموعد الذى حدده لى جلالة الخان !

الاميرة : اننى لن أتجمل وأتزين من أجل الخان ٠٠ وسوف أترك كل ثيابى الجميلة ورائى ٠٠ فعندما أصير فى حضرته يجب أن يكون جسمى ، مثل قلبى ، متشحا بالأسى والحزن المرير ٠٠

وتمضى الأميرة فى ركابها ، تاركة الامبراطور فريسة لأفكاره السوداء :

الامبراطور : ان الجندى الوحيد الشجاع فى مملكتنا امرأة ٠٠ انها وحدها التى جرؤت على الاستسلام للمصير الذى يتراجع المحاربون عنه مذعورين !

المستشار : لا تطيلن التفكير فيها بمرارة يامولاى !

الامبراطور : اواه ، ان ذكراها لن تمحى من قلبى أو قصرى ٠٠ الليلة يجب أن تعلق صورتها فى القصر وتوقد الشموع فى ابهائه على الدوام ، تخليدا لتضحيتها المقدسة !

- ٦ -

• **فاذا** كان الفصل التالى فقد وصلت الأميرة الى ضفاف نهر « آمور » ، فى حراسة رسول الخان :

الأميرة : أى مكان هذا ؟

الرسول : انها مياه التنين الأسود ، الحد الفاصل بين بلاد التتار وبين مملكة الصين

الأميرة : وهـذا الرجل ، من يكون ؟
الرسول : الخـان العظيم ، زوجك المقبل
الأميرة (بينمـا يقدم الخان اليها كأسـا من النبيـذ) : اننى أشرب نخب امبـراطور مملكة « هان » ٠٠ آخر نخب أتنـاوله على هـذه الأرض ٠ وسوف انتظره فى العالم الآخر!
ثم تلقى بنفسها الى النهر ، فيحـاول الخـان جهـده أن ينقذها ٠٠ ولكن دون جدوى !
الخان : لقد ماتت ، سفيرة الأحزان والنوايا الطيبة ٠ ان الامبراطور قد دفع الأتاوة ، ولن أطالبه بأخرى !٠٠ وانى لأتبين الآن أن عداءنا مع مملكة هان كان عقيما ، ومنذ الساعة سوف يكون بيننا سلام ، وصداقة متينة توطد دعامتها ذكرى تضحية نبيلة !٠٠ أما وزير مملكة هان فقد أثبت أنه خائن لكل من وطنه ولى ، وسوف أسلمه الى مولاه كى ينال جزاءه الذى يستحقه !

- ٧ -

◆ **فاذا** كان الفصـل الأخير فنحن فى قصر الامبراطور ، الذى لم يعلم بعـد بنبـأ موت « شاوكوين » ، فجلس فى صومعتها بالقصر يستعيد ذكراها ٠٠ ويغلبه التعب والنعاس فينام ، وتظهر له الأميرة فى نومه :
الأميرة : بعد أن سلمت أسيرة الى العدو الغاشـم ، كى أخفف من حدة العداء البربرى بين المملكتين ، لذت بالفرار ٠٠

تخذنى يامولاى بين ذراعيك من جديد !

جندى من التتار (يظهر فى الرؤيا) : بينما كنت نائما عمدت الأميرة الى الفرار .. لكننى طاردتها حتى اقتنصتها ، وسوف أعيدها الى مولاى

ويحملها الجندى ويذهب ، فيستيقظ الامبراطور من نومه مذعورا :

الامبراطور : أهكذا لم أكد أستردها حتى فقدتها ثانية ؟ (**يسمع صيحات الاوز البرى**) لكأنها صيحات الضالين ، بين الشمال والجنوب ، صيحة الشجاعة التى لا تقهر والحب الذى لا ينطفىء !.. صيحة الأميرة التى فقدتها الى الأبد ، الى الأبد !

.. وكأنما جوابا على هذه الرؤيا الحزينة ، يدخل على الامبراطور رسول يحمل اليه نبأ موت الأميرة !

« كان الامر كله من تدبير وزيرك السابق يامولاى . وقد سلمه الخان الى أيدينا كى تنتقم منه ، وأرسل يعرض علينا السلام والصداقة الدائمين ، بين بلدينا ! »

الامبراطور : اذن فاقطعوا رأس الخائن ، وعلقوها فى صومعة الأميرة .. ان حياتى منذ الآن سوف تشوبها الاحلام الحزينة وتطاردها الأشباح .. وأوراق الخريف تتساقط حول رأسى ، فان غرام شبابى قد مات !.. **غرام شبابى قد مات .. لكن ذكرى تضحيتها النبيلة لن تموت !.. فليبق القبر الذى يضم تراب جسدها الفانى مزدهرا بالخضرة .. على الدوام !**

حدث ذات يوم

من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء :

فى هذا الباب ، قرات معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

فضيحة « كارولين » ملكة انجلترا
عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)
امراة وملك (مدام دى مانتون)
« تيبريوس » قيصر روما
الحب اقوى من الموت
لوكريشيا بورجيا
نيرون : الطاغية السفاح
ليدى هاملتون
مارى انطوانيت
مصرع القيصرية فى روسيا
بولين بونابرت : ملكة الغواية
مأساة ملك بافاريا
الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا
غرام الاميرة اليزابيث تيودور
ديزيريه : خطيبة نابليون
اوليمبيا : والدة الاسكندر
بيرينيس : ملكة فلسطين
تيودورا : الراقصة الامبراطورة
« سانوهى » او (المصرى)
كريستين : ملكة السويد
رمسيس الثانى

واليوم ، اقدم لك حيـاة الملكة العاشقة التى قتلت زوجها !

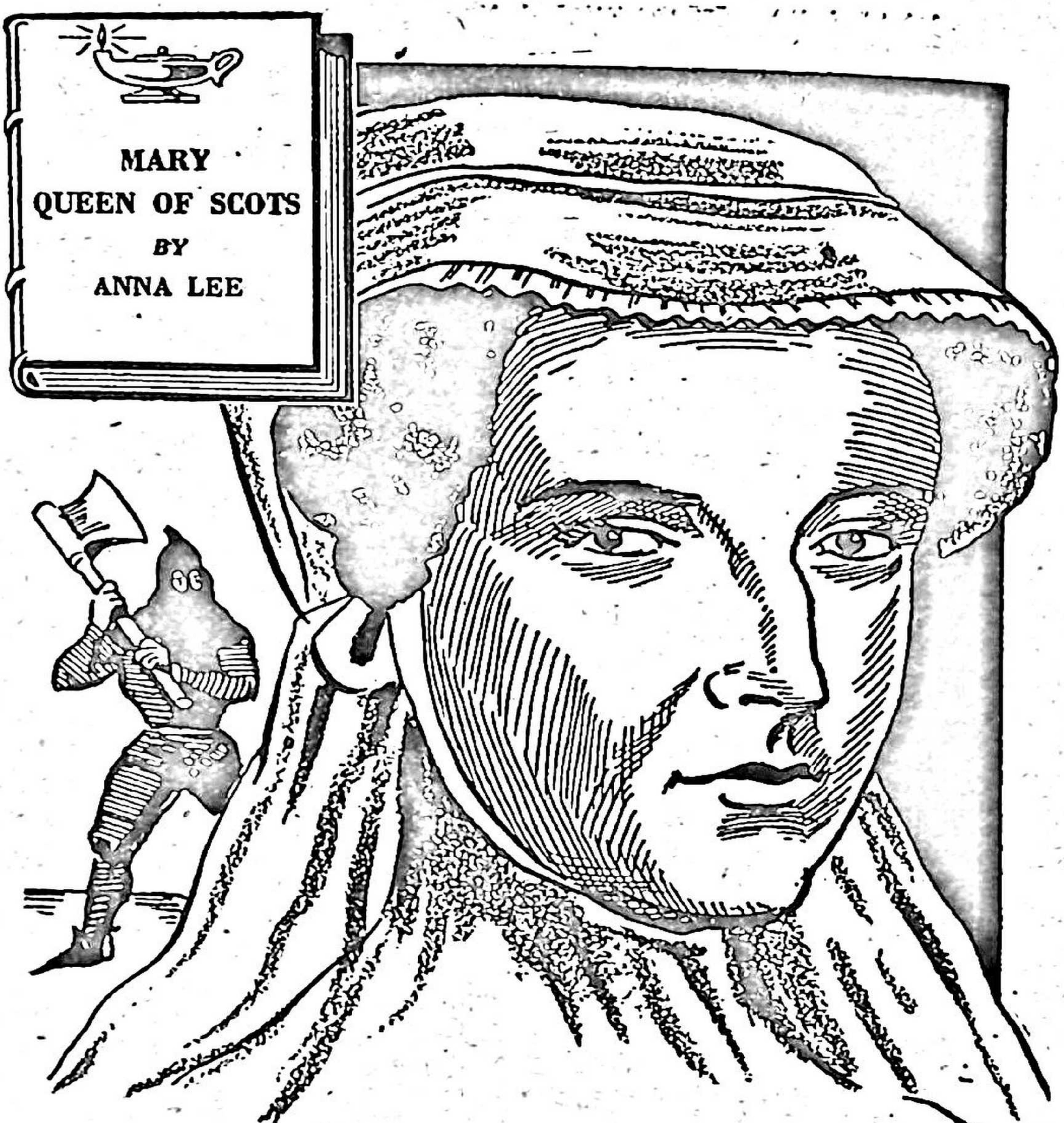

الملكة العاشقة التي قتلت زوجها!

ماري ستيوارت

قصة حياتها الدامية .. ونهايتها المفجعة!

طفولة كئيبة

◆ **عجزت** عن أن تلهو وتلعب فى طفولتها ، فاستعاضت عما فاتها باللعب واللهو في سن النضوج الكامل ٠٠ وكان ذلك أقوى عامل أدى الى انهيارها !

هى ابنة الملك جيمس الخامس ، فقدت أباها فى ذات اليوم الذى ولدت فيه !٠٠ وفى اليوم السادس من عمرها صارت ملكة اسكتلندة !٠٠ ومنذ البداية استخدمت كبيدق ـ أو كلب ـ فى لعبة « الشطرنج » السياسية لبلادها ! وكان اللاعبون الذين يحركون هذه الدمية الصغيرة الجميلة التى ماتزال فى القماط ، هم نبلاء اسكتلندة ، الذين قال فيهم سفير فرنسا يومئذ : « **ان المال والمصلحة الشخصية هما النفيران الوحيدان اللذان تستجيب هذه العصبة من الأنذال لندائهما !٠٠ أما أن تحاول اعادتهم الى صوابهم بتذكيرهم بواجبهم نحو ملكتهم ، أو أن تحدثهم عن الشرف ، والعدالة ، والفضيلة ٠٠ فهذا أمر لا يغريهم بغير الضحك !** »

وبين أيدى هؤلاء النبلاء ـ قاطعى الطريق ! ـ قضت الملكة الطفلة شطرا من طفولتها بلا حول ولا طول ، فى جو من الهمس المريب ، ومؤامرات الاختطاف ، والرحلات الفجائية من قصر الى قصر !٠٠ ففى بداية الأمر حاول جماعة منهم أن يبيعوها الى ملك انجلترا «هنرى الثامن» ، كى تصير عروسا لابنه ادوارد٠٠ بينما سعى فريق آخر لبيعها الى هنرى الثانى ملك فرنسا كى تصير عروسا لابنه فرانسيس !٠٠ لكن أمها أفلحت فى حمايتها من مؤامرة الفريقين بأن خبأتها فى قصر (ستيرلنج) ٠٠ فنفد **صبر الملك الانجليزى ، الذى كان قد دفع الثمن وأصر على استلام « البضاعة » ، لاحبا فى مارى نفسها بل طمعا فى ضم**

اسكتلندة الى التاج البريطانى !٠٠ فلما لم تصل الملكة الطفلة أرسل جيشه فغزا بلادها وقتل عشرة آلاف رجل فى معركة (بينكي) !٠٠ ولم تكن مارى قد أكملت الخامسة من عمرها حين تلقى وطنها هذه الطعنة « الأولى » الدامية ، من أجلها !

وعلى اثر ذلك نقلت الملكة الصغيرة اللاجئة فى رحلة سرية الى جزيرة تتوسط بحيرة (مونتيث) ، وكان قد جاء دور فرنسا فى ارسال قوة استكشافية تبحث عن مارى ٠٠ وفى هذه المرة سلمت أمها الغنيمة الغالية الى شاريها ، فنقلت الملكة الصبية - وكانت فى الشهر الثامن من عامها السادس - الى ميناء (بريست) يوم ٧ أغسطس سنة ١٥٤٨ ، كى تزوج من وارث العرش الفرنسى ٠ وكان عريسها ما يزال فى الرابعة والنصف من عمره !

زواج تعس !

◆ **واستقبلها** القوم بأبهة الملك الكاملة ، وأعطوها كل ما أرادت من مطالب أو أمنيات - عدا فرصة اللهو واللعب ، شأن غيرها من « الأطفال » ! - ثم لقنوها الاغريقية واللاتينية ، وعلموها كيف تنظم الشعر ، ودربوها على فن ادخال السرور على قلوب الآخرين - لا فن تلقى المسرة من الآخرين ! - وكتب رئيس أساقفة (اللورين) الى أمها خطابا قال فيه : « ان ابنتك مثالية وممتازة فى كل شىء ، بحيث لا توجد لها مثيلة فى كل المملكة ! »

وكان صادقا ٠٠ ففى فرنسا بأسرها لم تكن توجد مخلوقة أخرى فى مثل « تعاسة » هذه الصبية المراهقة التى لم تكن يوما طفلة !٠٠ هذه الملكة التى حرمت من متعة تستمتع بها بنات الفلاحين ، هى متعة اللهو الحر البرىء فى طفولتها وصباها ٠ وحين كبرت ، أنكروا عليها حتى متعة الحياة الزوجية السلمية من الشوائب ، **فان زوجها وارث عرش فرنسا كان فتى مريضا لم**

يستطع يوما أن يهبها حبه الكامل ، فعاشت متخمة بالمجد ، كملكة لفرنسا وملكة لاسكتلندة فى آن واحد ، لكنها قاست ظما الحرمان من شتى متع الزواج السعيد !

وانقضت سنوات وهى تسهر على راحة المريض وعلاجه كلما داهمته نوبة الحمى المتقطعة ، وأخيرا أسلمته ذات يوم الى الراحة الكاملة وارتدت ثياب الحداد !

وطبقا لتقاليد البلاط الملكى فى فرنسا وقتئذ بقيت محتجبة فى جناحها بالقصر أربعين يوما ، مغلقة نوافذه فى وجه اشعة الشمس ، حتى لقد صار مخدعها المضاء بالشموع ليل نهار أشبه بالقبـــو !

وحين انتهت فترة الحداد ، انسلت من ظلمة قبرها عائدة الى ضباب وطنها اسكتلندة ٠٠ وكانت الآن ـ بحكم التجارب التى مرت بها ـ « عجوزا » فى الثامنة عشرة !

تشبع ظمأها الى الحب !

◆ لكن العجوز عادت فتفتحت اكمامها كزهرة فى ربيع العمر ، فقد وجدت دمية مغرية تلهو وتلعب بها ، هى جسدها الدافىء الجميل ! لقد آن لها ان تعوض ما فاتها فى الماضى وتنتقم لطفولتها الكئيبة ، بالسعى لا الى السلطان والمجد فحسب ، بل والى اشباع ظمئها الى الحب والعواطف الحارة ، عن طريق زيجة مناسبة هذه المرة ، برجل ذى قوة ومكانة ٠٠ نبيل من سلالة ملكية ترنو اطماعه الى عرش انجلترا ٠٠ فقد ارادت مارى « ملكة اسكتلندة » ان تصبح « ملكة انجلترا » ايضا ، ولم لا ؟ ان « اليزابيث » صاحبة العرش المجاور ليست فى رايها سوى دخيلة متطفلة ، تنحدر من أم سليطة فاجرة هى (آن بولين) ٠ واذن فهى ـ مارى ـ احق منها بعرشها ٠٠ فضلا عن انها سوف « تطعم » دمها الملكى الأصيل بدم فى مثل نقائه واصالته ، يسرى فى عروق رجل خلق للحب والمرح ، زوج يصلح لأن يكون ملكا ٠٠ وبعدئذ يتعاون الاثنان على طرد الملكة الزائفة وانتزاع عرشها منها ، ثم يحكمان الجزر البريطـانية باكملها !

ولكن ترى هل يوجد الزوج الذى تتوافر فيه هذه الصفات والمؤهلات ! نعم ، انه « هنرى دارنلى » ، ابن « الايرل اوف لينوكس » ، ويبلغ من العمر تسعة عشر عاما ٠ وهو ـ مثلها ـ من احفاد الملك هنرى السابع ، ويمتاز

بجراة فى منادمة الملوك والأمراء ، علاوة على أنه (على حد تعبير مارى ذاتها) : جميل الشعر ، حليق اللحية ، ماجن فكه ، ولا يصبر على حقوقه ٠٠ بل انه اجمل الشبان طويلى القامة ، وأكثرهم تناسبا فى جسمه »

وتزوجت مارى من « دارنلى » المذكور ، وبذلك اكتسبت لنفسها دمية جديدة مؤقتة تلهو بها ، وعدوين داغين خطرين ، هما : جارتها الملكة اليزابيث ٠٠ وشقيقها غير الشرعى « جيمس ستيوارت »

كانت اليزابيث ابنة عم مارى ، تنحدر مثلها من سلالة هنرى السابع عن طريق أبيها ، لكنها كانت نقيضتها فى عدة امور : كانت مارى مغامرة مندفعة ، وخيالية حالمة ، ومقامرة جريئة حادة العاطفة ٠٠ او على حد تعبير البابا ذات مرة : « جسم امراة وروح رجل » !٠٠ اما غريمتها اليزابيث تيودور ، فانها كانت سياسية حكيمة ، وواقعية متزنة ، تسعى الى فريستها سعيا مبنيا على تقدير سليم ٠٠ او بعبارة اخرى « جسم رجل ، وروح غرة ! »

لكنهما كانتا تتشابهان فى شئ مشترك : ان كلاهما عاشت من اجل هدف واحد ، هو ان تزيح الاخرى عن طريقها !٠٠ ورغم ذلك فان كلا منهما حرصت فى رسائلها الى الاخرى على ان تغمر غريمتها بعبارات الحب والمودة . وتخاطبها بقولها : « يا اختى العزيزة » ٠٠ و « يا ابنة العم المحبوبة » ٠٠ و « كم يسعدنى ان اراك سعيدة » ٠٠ الخ

أخوها يتآمر ضدها !

◆ وطبقا لهذه الخطة كانت اليزابيث من اولى من هنان مارى بزواجها من اللورد دارنلى ، فى الوقت الذى ارسلت فيه ـ سرا ـ شقيق غريمتها غير الشرعى جيمس ستيوارت ، أو ايرل اوف موراى ، كى يبث الفتن ويثير القلاقل فى اسكتلندة ، بغية الخلاص من مارى باية وسيلة ، ولو بموتها !٠٠ وكان جيمس يحقد على اخته بسبب ظفرها بالعرش دونه ، وزاد من حقده زواجها من اللورد دارنلى ، الذى ابعد العرش عن قبضته أكثر فاكثر ٠٠ وهكذا رحب بالمهمة التى عهدت بها اليه اليزابيث ، وسارع فوضع نفسه على راس الوفد الذى انتدب لمحاربة اخته سرا ، ممنيا نفسه فى حالة نجاحه فى التخلص من مارى بأن يدبر بعد ذلك خطة مماثلة للتخلص من اليزابيث بدورها ، والانفراد دون الاثنتين بحكم انجلترا !٠٠ وهكذا لبث كل من الثلاثة يدبر خطته فى الخفاء ، ويحفر الحفر لأخته أو اخيه !

وفى شبكة هذا « العنكبوت » الثلاثى للكراهية المتبادلة ، كانت الملكة مارى هى المظلومة ، من حيث فرص النجاح التى هياتها الظروف لها ٠٠ فان عرشها كان دائما مزعزع الأركان ، غير آمن الجانب . كان أشبه بجزيرة « كاثوليكية » وسط بحر « بروتستنتى » هائج ! وكان وصولها الى اسكتلندة

عند عودتها من فرنسا قد قوبل من الشعب مقابلة غير ودية ، بل مقابلة جافة .. كان كل الذين خفوا الى استقبالها فى ميناء (ليث) نفرا ضئيلا من الصيادين والفلاحين ،وحين وصلت الى ادنبرة ــ العاصمة ــ كانت من اول تجاربها البغيضة فيها الحملة التى شنها عليها الكاهن ذو الطبع النارى « جون نوكس » ، زعيم حزب الاصلاح فى اسكتلندة . فطبقا لآراء نوكس كان ثمة سبيلان فقط للحياة : سبيله هو وسبيل الشيطان ! كان يعتبر نفسه المعبر الأوحد عن ارادة الله على الأرض ، والويل لمن يرفضون الانصياع لمقتضيات هذا الاعتبار !.. فلو نبذت مارى الكنيسة الكاثوليكية ــ التى كان نوكس يسميها « مجمع الأبالسة » ــ لوفرت على نفسها الكثير من المتاعب . لكنها برغم طيشها كانت جريئة فى التمسك بعقائدها الكاثوليكية ، فابت ان تتزحزح عن موقفها قيد أنملة !

على أن صلابة ايمانها كانت مقرونة باستهتار طائش بالعرف والتقاليد ، فكان فى مسلكها تناقض صارخ ، دعا البعض الى أن يطلقوا عليها : « مارى ذات العقل السماوى والقلب الأرضى ، أو الدنيوى ! » .. وقد أمدت اعداءها بفرص كثيرة واسلحة عديدة يهاجمونها بها . كانت تلهو بخاطبى ودها كما تلهو الصبية بالدمى واللعب التى تملكها !.. فاقترن اسمها فى البداية بشاعر فرنسى يدعى « شاستلار » ، لم يلبث أن ضبط مختبئا فى مخدعها !.. ثم تلاه سكرتيرها الايطالى « ريزيو » ــ وكلاهما دفع حياته ثمنا لجراته ! ــ وفى كلا المرتين زعمت مارى أنها بريئة ، برغم الظواهر المضادة لزعمها .. لكن احدا لم يؤمن ببراءتها ، وفى مقدمة الجميع اليزابيث وجيمس .. وهكذا بدات الحلقة تضيق حولها شيئا فشيئا !

ورغم ذلك فانها استهترت بسمعتها ومضت فى غيها ، وبين الغى والجريمة الجدية خطوة واحدة !.. وكانت مارى قد ملت زوجها ، وخاب املها فيه ، فلم تجد فيه المعين الذى يشد ازرها فى كفاحها من اجل عرش انجلترا .. لقد توسمت فيه أن يكون محاربا ، فاذا هو يتكشف عن « غندور » متأنق !

لكن اسكتلندة لم تكن تعدم الرجل المحارب ، والعاشق فى آن واحد !.. الرجل الذى يجمع بين الجراة فى الحرب والجراة فى الحب !.. انه يدعى « جيمس هيبورن » ، أو « ايرل أوف بوثويل » . انه جندى قوى الشكيمة ، ومغامر ليس احد من سيفه غير لسانه !.. فياله من رجل يصلح لأن يكون شريكا للملكة فى حياتها !

ولكن دون هذه الشركة الزوجية كانت ثمة عقبتان : زوج مارى .. وزوجة بوثويل !

اما زوجة بوثويل فقد كان الايرل مستعدا لأن يطلقها !.. واما زوج مارى فقد كان الايرل نفسه مستعدا لأن يقتله .. كى يخلفه !

وقد قتله فعلا ، بموافقة مارى .. بل بمعاونتها واشتراكها !

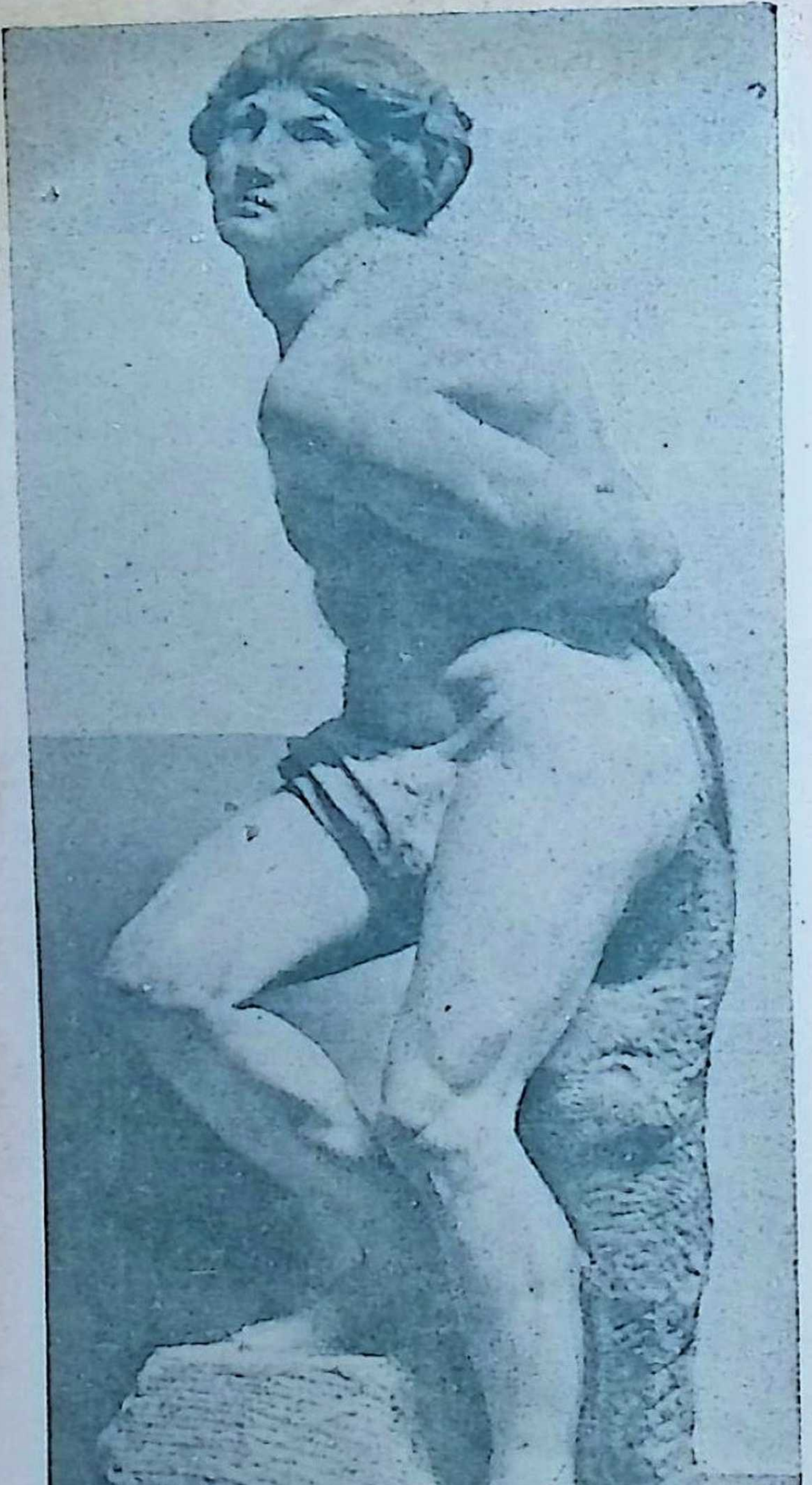

العبد فى الأغــلال !

تمثال من بدائع فن « ميكيل انجلو » ،
يعرض بمتحف « اللوفر » بباريس

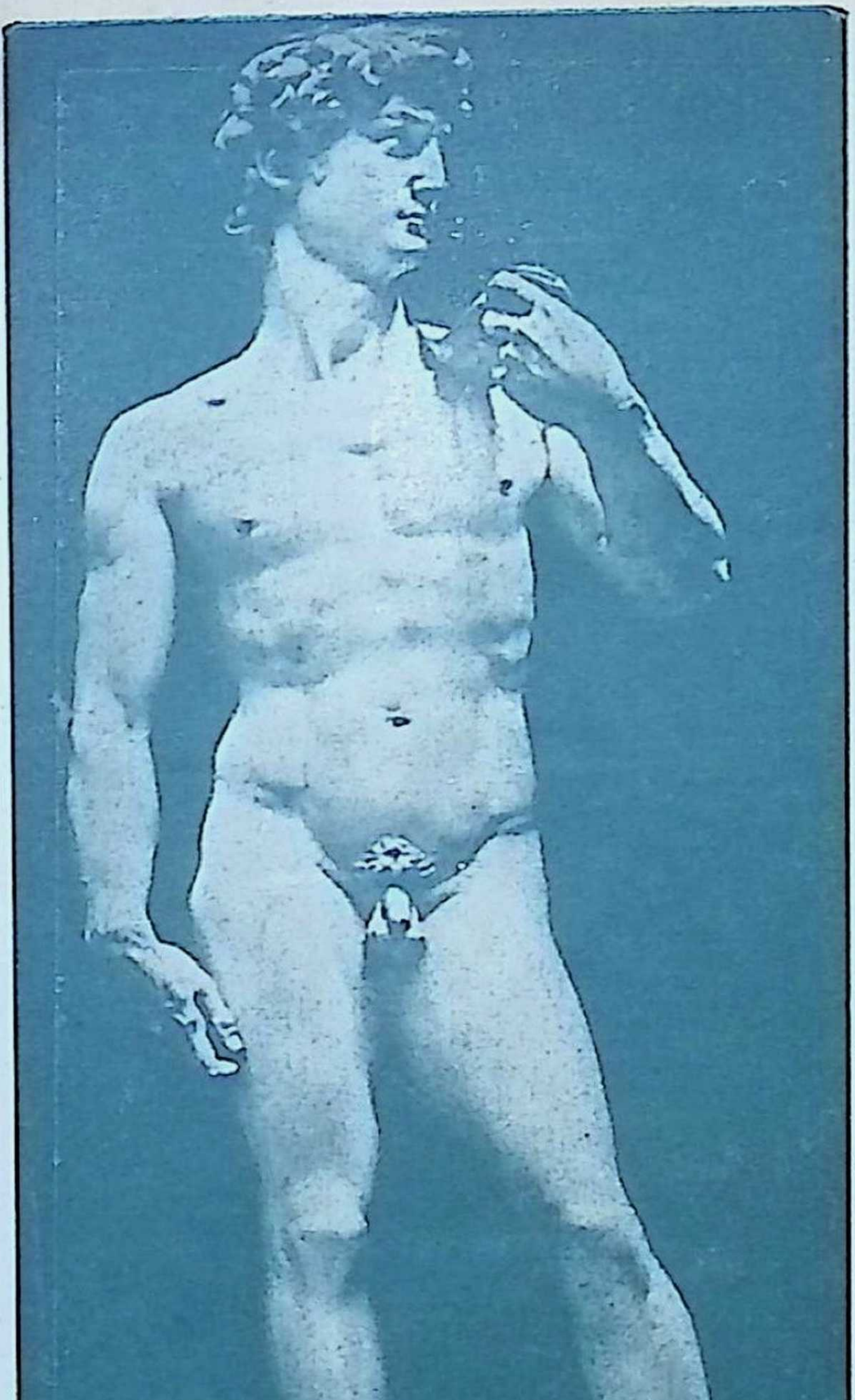

العملاق ! التمثال المشهور الذى نحته ميكيل انجلو للنبى « داود » وهو يتاهب لاطلاق مقلاعه على « جوليات الجبار » ٠ ويعتبر التمثال من اشهر معالم مدينة فلورنسا

الجريمـــة المروعة !

• كان « الملك » غير المرغوب فيه قد تبين نفور الملكة المتزايد منه وبغضها المتضاعف له ، فاوى الى قصر منعزل فى جلاسجو ، حيث عاش مع ابيـــه « ايرل اوف لينوكس » فى حراسة حامية من الخدم والحراس ٠٠ فكيف الوصول اليه فى قلعته الحصينة ، واستدراجه الى موعد خاص مع الموت ؟

تآمرت مارى وبوثويل معا فوضعا خطة عملية « جهنمية » !٠٠ كان صاحبنا يقضى فترة النقاهة من اصابة خطيرة بمرض الجدرى ، فذهبت مارى - بدافع من العطف المفاجىء - تزور زوجها « المسكين المهمل المحبوب ! » ٠٠ وربتت باناملها الرقيقة على جبينه ، وهمست بكلماتها المعسولة فى اذنه : « لم تبقى فى هذه القلعة الموحشة الكئيبة ، ذات الجدران الرطبة والهواء المكتوم ؟ دعنى آخذك الى دار هادئة فى ادنبرة ، حيث استطيع ان اتردد عليك كثيرا واسهر على تمريضك حتى تسترد صحتك !٠٠ »

واقتنع دارنلى بـــكلامهما ، وسمح بان يحملوه ، وهو ما يزال مريضا ، الى تلك الدار الهادئة فى ادنبرة ! - وكانت تقع فى بقعة منعزلة عن كل جوار ، وسط واد يطلقون عليه « وادى اللصوص » ! - وهنالك تطلع المريض الشاب، الذى كان وجهه مايزال يحمل بثور الجدرى ، وان بدت عيناه اجمل ماتكونان ضحكا ومرحا ، تطلع الى شهور عسل ثان مع المراة التى ما يزال يكن لها اعنف الحب واخلصه ٠٠ وفى خلوة معها ، رجاها ان تقطع له شريحة اللحم التى جاءوه بها ضمن طعامه ٠٠ ثم تعلق بها وقد اعماه الشوق عن ان يلحظ ارتعاشـــة الاجفال التى اختلجت بها شفتاها وهى تقبله ٠٠ قبلة يهوذا !

وتوسل اليها ان تقضى الليلة معه، لكنها اعتـــذرت بامر هام من امور الدولة يقتضى وجودها فى القصر فى نفس الليلة !٠٠ وفى ساعة متاخرة من الليل ، ليل الاحد ٩ فبراير سنة ١٦٦٧ ، عادت الملكة من حضور حفل زواج اثنين من خدامهـــا المخاصين - وكان بوثويل بدوره ضمن الحاضرين - وبعد ان استغرقت مارى فى النعاس ، دق الباب طارق ملح ٠٠من الطارق؟٠٠ الملكة لايمكن ازعاجها الآن ، فلقـــد تعبت من الرقص !

لكن الطارق يلح فى الطرق : « عندى أنباء هامة عاجلة ! » .. وتوقظ الملكة .. وتتلقى الأنباء : ان زوجها الملك « هنرى دارنلى » ، قد توفى على اثر نسف الدار « الهادئة » التى يقيم فيها .. والفعلة مجهولون !

الهزيمة .. والفرار الى المنفى !

◆ واقتربت مارى ستيوارت خطوة اخرى من قمة اطماعها : لقد صار لها زوج - بوثويل - يشاطرها جراتها .. وابن - من هنرى دارنلى - يرث عرشها .. لم تبق غير خطوة واحدة اخرى وتتحقق كل احلامها : التخلص من .. اليزابيث !

وانها لمهمة يسيرة فيما تحسب . ان بوثويل أكفا محارب فى الجزر البريطانية غير منازع .. وجنود جيشه من « قاطعى الرقاب » لايرهبون وحشا ولا انسانا ولا شيطانا ! وكان بعضهم قد تقدم الى السلطات ببلاغ يتهم فيه بوثويل بالاشتراك فى قتل دارنلى ، فتوجه« المتهم » الجسور الى القاعة المحاكمة فى شبه مظاهرة مؤلفة من اربعة آلاف من الرجال المسلحين ، الأمر الذى أرهب القضاة فحكموا « ببراءته من اية مظنة تتصل بالاشتراك فى نسف الملك ! » فخرج شاهرا سيفه فى وجوه الناس ، وراح ينهب شوارع المدينة متحديا كل من تسول له نفسه أن يتهمه ! .. ويومئذ قالت مارى وقلبها مفعم بالغبطة : « بقيادة رجل كهذا سوف يكتسح جنودنا كل من يعترضهم» ..

ولكن حين وقعت الازمة ، اظهر جنودها جعجعة أكثر مما اظهروا طحنا !.. صاحوا بالعدو ، وهددوه بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ! .. فلما التقوا به « ذابوا وتبخروا كضباب الصباح ! » .. فقبل بوثويل زوجته الملكة مودعا على عجل - وكانت قد خفت الى الميدان لتشهد المعركة عن كثب - ثم امتطى جواده ولاذ بالفرار .. الى المنفى !

وجعل ثمن لراسه ، حيا او ميتا ! .. فابحر الى « النرويج » فى قارب صغير ، نجا من الغرق بمعجزة ! .. ثم جازف بالذهاب الى الدنمرك ، حيث غرر بفتاة بريئة .. واخيرا وقع فى ايدى السلطات الرسمية فى (كوبنهاجن) .. وبعد عشر سنوات من الحبس الانفرادى ، مات مجنونا !

تلك كانت نهاية فارس « مارى ستيوارت » الثالث ، الذى خلفها وحيدة مع ضميرها ، فريسة تعسة لمطاردة حامية من جانب عدويها اللدودين : اليزابيث .. وجيمس ، الشقيق الغادر !

ولم يلبث الاخير ان بدد البقية الباقية من حلمها الامبراطورى فاجبرها - بموافقة اليزابيث - على التنازل عن العرش لابنها الصغير جيمس .. ونصب الخال نفسه وصيا على الملك الصبى ، وجعل يترقب الفرصة المناسبة كى يتبوأ العرش مكانه !

لكن حلمه ، هو الآخر ، تبدد على حين غرة .. فبعد سنوات من التآمر، وتدبير المكائد ، والولوغ فى دماء ضحاياه ، تلقى اخيرا جزاءه العادل عن جرائمه : ميتة عنيفة خطتها يد الاقدار ! .

الصراع الرهيب بين الملـكتين !

♦ وهكذا بقيت الغريمتان المتصارعتان تواجهـان كلتاهما الأخرى فى المهزلة المفجعة للمطامع الاشعبية •• وراحت اليزابيث تلهو بابنة عمهـا الاسكتلندية كما يلهو القط بالفار •• وكم امتعها أن تسقيها كاس انتقامها فى جرعات صغيرة ، وهى تمط شفتيها وتبتسم لعذاب ضحيتها !

•• فقد ورثت القاسية خبث ابيها ـ هنرى الثامن ـ وطبيعته الغادرة ، التى اغرته بأن يقتل الكثيرات من زوجاته ! •• ونشأت اليزابيث تعتقد أن الانسانية تتألف من بليون من الاصفار على رأسها رقم واحد صحيح هو : هى! •• ومن ثم راقها أن تأخذ حظها الكامل من اللهو بأحدى هؤلاء الاصفار ـ مارى ستيوارت ـ قبل أن تمحوها من الوجود محوا !

وتنفيذا لهذه الخطة اهدتها اول الأمر خاتمها الملكى « رمزا للصداقة من ملكة محظوظة الى شقيقة لها •• فى محنة ! » •• ثم اتخذت فى انتقامها خطوة أكثر جراة وقسوة ، بغية اطالة « المحنة » التى تعانيها « شقيقتها » ، فوسطت من رشا نبلاء اسكتلندة الذين انتهت اليهم مقاليـد الأمور ، كى يزجوا بمارى فى سجن قصر (لوخليفن) •• وحرصت على أن تتم الرشوة على يد وسيط ، كى لاتعلم يمينها ماتفعل يسارها !

واخيرا ، حين تمكنت مارى من الفرار من سجنها ، دعتها اليزابيث الى بلادها ، مخاطبـة اياها كما يخاطب العنـكبوت الذبابة : « هلا لجأت الى رحابى ؟ •• ان خاتمى الذى يحـلى اصبعك سوف يـكفل لك الامان دائما داخل بلادى •• وسوف تجدين فى : جارة طيبة ، وشقيقة عزيزة ، وصديقة مخلصة ! »

وبعد متاعب وعقبات وصـلت اللاجئة الى الشـاطىء الانجليزى : « لقد قاسيت مرارة الجوع ، والبرد والحر ، والاسر ، والجروح ، والفـرار على غير هدى اميالا طويلة على ظهـر جواد ، دون ما راحة ولو لدقيقة واحدة •• ثم استلقيت على ارض الطـريق الصلبة ثلاث ليال ، لاشراب لى غير لبن الوعول التى تعمر القفر ، ولاغذاء لى سوى طحين الشوفان ! »

واخيرا .. فى يوم ١٦ مايو سنة ١٥٦٨ وضعت الملكة المنفية قدمها على الساحل الانجليزى ، فاذا جارتها وشقيقتها وصديقتها الوفيـة اليزابيث تستقبلها .. لاكضيفتها ، بل كسجينتها ! .. ثم ابت ان تلقاها وجها لوجه، واعدة بان تحافظ على سلامتها من كل اذى ! وكعادتها مزجت جرعة الاسر المرة بقليل من السكر الزائف فكتبت الى سجينتها تقول : « اعدك وعد ملكة ان مامن اغراء او نصيحة من احد سوف تؤثر على كى انقلك الى مكان يعرض حياتك او شرفك للخطر ! »

١٩ سنة فى السجن !

• وفى غياهب السجن احتفظت اليزابيث بابنة عمها مارى تسعة عشر عاما ! .. ناقلة آياها من سجن الى سجن كافلة لها ابرع الاطباء كلما أصابها مرض ، مشجعة آياها حين تسترد صحتها على الخروج للصيد والقنص .. ودائما كانت تحيط بجوادها كوكبة من الفرسان السجانين أطلق عليهم « حرس الشرف » ، فكانوا يشيعونها بالتحيات ويسمحون لها بكل حرية عدا واحدة : الحرية !

لكن السجانة ضاقت آخر الامر ذرعا بسجينتها ، وقررت أن تتخلص منها خلاصا نهائيا ! .. وكان الدافع المباشر الذى بدأ الازمة حادث غاية فى التفاهة : فقد تلقت اليزابيث تقريرا من « الكونتة شروسبيرى » ـ الزوجة الشريرة لآخر حراس الملكة السجينة ـ تحدثت فيه كاتبته عن علاقات السجينة الغرامية مع زوجها « ايرل أوف شروسبيرى » !

.. فلما بلغ النبأ مسامع مـارى بادرت الى كتابة خطاب الى اليزابيث نفت فيه التهمة عن نفسها فى خيلاء وترفع .وانتهزت الفرصة فصبت جام غضبها وحقدها ، لا على رأس الكونتة الواشية فحسب ، بل وعلى رأس الملكة الباغية بدورها ! .. فقد عددت معايب غريمتهـا ، واخطاءها ، ونقائصهـا ، فى قائمة طويلة وافية شافية ، وان حرصت على أن تصوغ حملتها فى قالب مقنع فتزعم أنها قصدت بها أن تكون

تحذيرا وديا من « صديقة » تبغى الارشاد والنصح ! ..
وتحت ستار هذا الزعم نقلت مارى عن لسان الكونتة شروسبيرى انها نسبت للملكة اليزابيث قائمة حافلة بالتهم : منها انها أمرت يوما بقطع يد ساقيها لأنه أظهر « لحمة » وارتباكا أثناء تقديم الطعام والشراب لها ! .. ومنها انها تتهالك على الملذات غير المشروعة ، بدافع من انزعاجها بسبب شيخوختها الباكرة .. ومنها أن فى ساقها قرحة خبيثة – وهى اشارة توحى بأنها قد ورثت عن أبيها مرض الزهرى **ومنها أخيرا ، وهى أقسى طعنة فى القائمة ، انها « ليست مثل سائر النساء ! »** . **وكانت اليزابيث تعتقد أن أحدا سواها لايعرف سرها الرهيب ، سر شذوذها الجثمانى الذى يحرمها من المتعة الطبيعية التى تعرفها كل امرأة صحيحة البدن !** .. ولكن هاهى ألد عدواتها تقذف فى وجهها بالحقيقة الرهيبة !

الشرك !

♦ **ومنذ** تلك اللحظة ، لم يعد الصراع بين الغريمتين صراع لهو بين قطة وفأرة .. بل تحتم أن ينتهى العداء بينهما على وجه السرعة نهاية حاسمة . وتنفيذا لهذه الغاية وضعت اليزابيث خطة جهنمية خليقة بأن تنسب الى الداهية مكيافيللى ! : دبرت مؤامرة صورية على حياتها هى ، وساقت مارى – عن طريق الوسطاء كالعادة – الى تزعم هذه المؤامرة !

ووقعت مارى فى الشرك .. لم يكد يبلغها نبأ مؤامرة تدبر لقتل اليزابيث وتنصيبها هى على عرش انجلترا مكانها ، حتى انزلقت الى الفخ بقدمها ورحبت بالخنجر المقدم لها والمعد للقضاء عليها هى !

وكانت أداة التآمر « برميل بيرة » كان يرسل كل أسبوع الى السجن ، من أجل الحراس والجنود ، ومن ثم وضع

جواسيس اليزابيث فى تجويف سدادته المصنوعة من الفلين رسالة حسبتها السجينة صادرة من أعوانها الموهومين ..
وكان ذلك أول الخيط ، فقد انتظمت بين الطرفين بعد ذلك سلسلة من المراسلات الخطيرة التى تضمنت تفصيلات المؤامرة المعدة للقضاء على اليزابيث .. وغنى عن البيان أن تلك المراسلات جميعها قد وقعت فى يد مفتعلتها : اليزابيث !

وكان الحماس الذى الهبته المؤامرة فى دماء السجينة التى توشك أحلامها الضخمة أن تتحقق ، قد أغراها بأن تتورط فى سرد مشروعاتها المقبلة التى سوف تنفذها فورا بمجرد فرارها من السجن : انها ستعود الى اسكتلندة بغير ابطاء ، وهناك تجمع شمل قواتها المبعثرة وجيوشها القديمة ثم تغزو بها انجلترا ، بمساعدة فرقة من الجنود سوف يرسلها اليها ملك أسبانيا ، الذى ستكافئه بدورها بأن تهبه تاج العرش الاسكتلندى أثناء حياتها ، ثم حق وراثة تاج انجلترا ذاته بعد وفاتها !

واغتبطت اليزابيث بتقدم المؤامرة المدبرة خطوة بعد خطوة .. ولم يبق لبلوغها غايتها غير الحصول على مستند بخط مارى تصرح فيه باعتزامها اقتل غريمتها بعد انتصارها عليها ! .. وفى سبيل هذا الهدف راح زبانية اليزابيث يستثيرونها ويستحثونها على الوقوع فى الشرك .. حتى تحقق لهم ماأرادوا وكتبت مارى الرسالة المنشودة ، توافق فيها على اعدام اليزابيث « مغتصبة » عرش انجلترا!

وحين تمت الخطة المرسومة ، وافتضح أمرها للضحية التعسة ، طالبت مارى بأمنية واحدة : أن تعد لها ميتة لائقة فى موكب عظيم ! فان خيلاء الدم الازرق لم تفارقها حتى فى ظلال القبر !

٢٠٠٧

وكانت الميتة لائقة ، لا بمارى فحسب ، بل باليزابيث نفسها ٠٠ فقد مشت « مارى ستيوارت » الى الجلاد ، تختال فى أبهى حللها !

ولم تمانع اليزابيث فى اجابتها الى طلبها ٠٠ فانه لم يكن بالأمر الهين أن تنتصر على امرأة مثل ٠٠ « مارى ستيوارت » !

كتاب البحث الطبى

فى الأمراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم البروستاتا التى هى سبب العلل فى جسم الانسان ٠٠ وطريقة علاجها بجهاز فهجر الذى لايستعمله الا مخترعه مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمى جرس ٧٨ شارع الجمهورية (ابراهيم باشا سابقا) ، ت ٥٦٢٠٤

ويطلب من المؤلف (٥٠ مليما)

عندما يجتمع :

سوفوكليس

وأندريه جيد

وطه حسين

و«مطبوعات كتابى»

فى كتاب واحد .. تكون النتيجة

تحفة لم يسبق لها نظير فى عالم

المطبوعات العربية

« اندريه جيد »

ترقبها فى ١٣ ديسمبر الحالى .. لتقرأ فيها اروع نموذج من الأدب اليونانى القديم ، الذى يعد بمثابة المشعل الذى أضاء الطريق ورسم النبراس لأدباء العالم فى جميع العصور ، منذ ذلك التاريخ الى اليوم .. فما نبغ أديب الا وكان قد استمد زاده الفكرى من أدب اليونان .. وما تثقف قارىء الا وكان أدب اليونان هو الخميرة الأولى لثقافته .. وسوف تقرأ فى المقدمة الطويلة الممتعة التى صدر بها الدكتور طه حسين ترجمته لقصص « أوديب » الثلاث التى سيصدر بها العدد الجديد من مطبوعات « كتابى » ، كيف كانت قصة « أوديب » هى الموضوع الخالد الذى كتب فيه كل أديب عالمى الأفق جاء بعد سوفوكليس : كتب فيه فولتير ، وكورنى ، وعشرات غيرهم .. لكن احدا لم يبلغ فى قصته عنه ، ذلك المستوى الذى بلغه « سوفوكليس » فى الآداب القديمة ، و « أندريه جيد » فى الآداب الحديثة .. لذلك اختارت « مطبوعات كتابى » أن تجمع لك فى كتاب واحد ، زهيد الثمن ، اعظم ثلاث قصص كتبت عن « أوديب » فى جميع العصور ، وهى : « اوديب ملكا » ، وتكملتها « اوديب فى كولونا » (وكلاهما لسوفوكليس) ، ثم «أوديب» الحديثة ، لأندريه جيد .. واعتزمت ان تقدم لك القصص الثلاث مترجمة باقدر قلم فى العربية يستطيع ان يترجم عن سوفوكليس واندريه جيد ، وهو قلم :

طه حسين

..والى اللقاء على صفحات «أوديب» فى ١٣ديسمبر الحالى

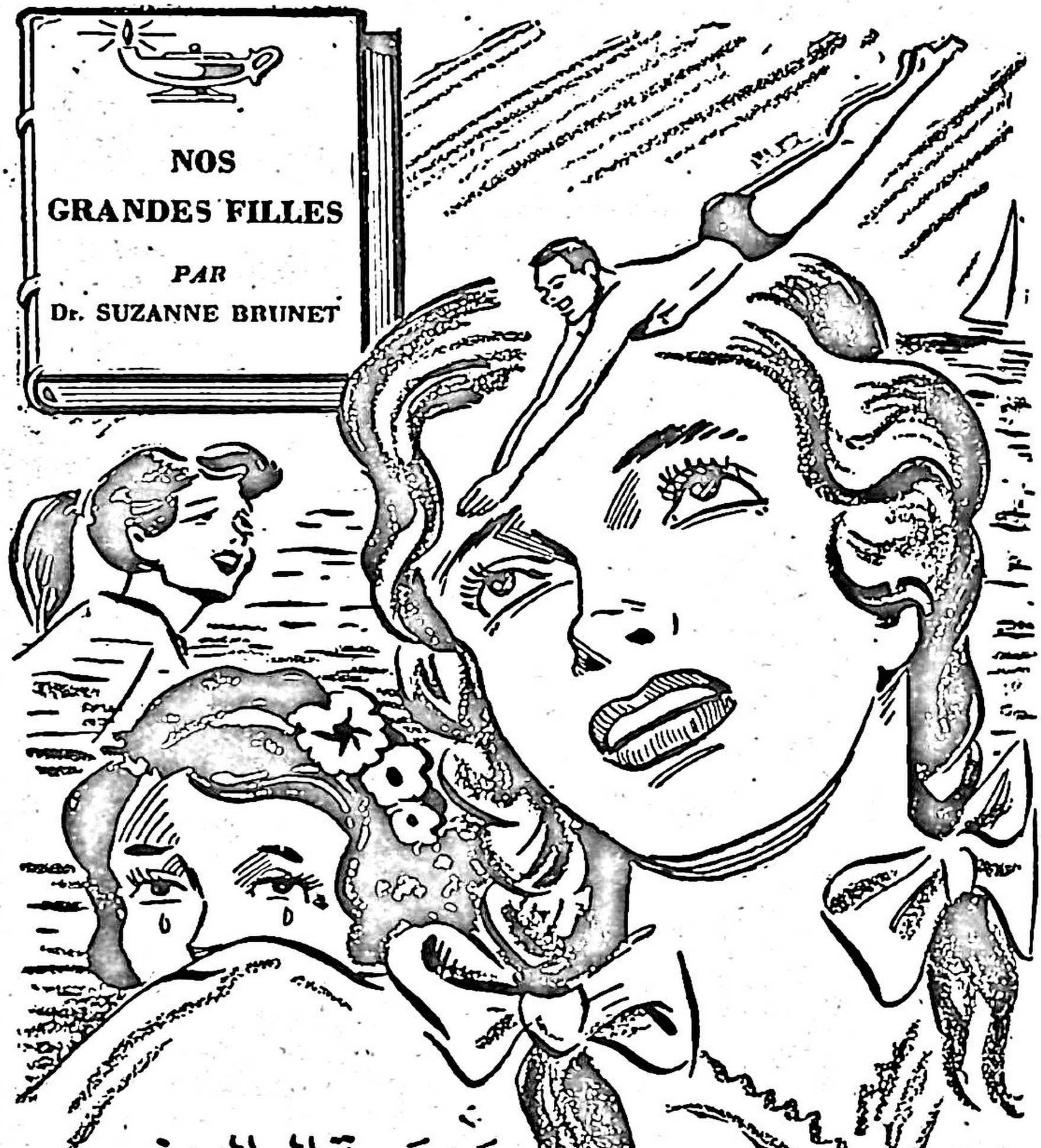

مدرسة الوالدين

للباحثة الفرنسية
الدكتورة سوزان برونيه

فتياتنا.. المراهقات!

تلخيص : كليم أبو سيف

فتياتكم المراهقات ٠٠ فى حاجة الى رعايتكم !

◆ قدمت لك فى العدد السابق من « كتابى » ، الجزء الأول من البحث الذى القته الباحثة الفرنسية الدكتورة « سوزان برونيه » ، فى سلسلة المحاضرات التى نظمتها « مدرســــة الوالدين » بجامعة باريس ، وتناولت فيه مرحلة المراهقة عند الفتيات ، فتحدثت عن أحلام المراهقات ، واشارت الى الفروق بين فتاة اليوم وفتاة الأمس ، وحذرت الآباء من اظهار أى شعور ينم عن سخريتهم ببناتهم ، فى تلك المرحلة المضطربة من حياتهن !

فاذا رأيت ابنتك وقد بدات تميل الى العزلة والانطواء على نفسها ، وقد أضحت متيقظة الى انفعالات جديدة تسرى فى كيانها ، فاعلم انها على ابواب تلك المرحلة الدقيقة ، وانها فى حاجة الى رعايتك الدائبة لها ٠٠

والبحث الذى اقدم لك الجزء الثانى منه اليوم ، يرشدك الى السبيل ٠٠ وينير أمامك الطريق !

نشوء فكرة الاستقلال عند الفتاة !

◆ من المؤكد انه ليس من السهل أن نسمو بالفتاة الى مراتب الحب المثالى الذى يشيع الحياة والنشاط فى طاقتها البشرية كلها ، ولكن هذا هو السبيل الوحيد الذى يعيد اليها اتزانها ، ويفتح أكمام نفسها الى ما فى الحيـــاة من سمو ونبل

ولما كانت الفتاة متاهبة للتحول الكبير الذى طرا عليها ، وواعية له تماما ، فان هذا يدفعها الى الرغبة فى الانفراد باتخاذ قرارات مستقلة ، لأنها تشعر بانها لم تعد طفـلة الأمس ، بل فتاة اليوم !٠٠ ومن هنـــا كان تمردها ، وعصيانها ، ولجاجتها فى مناقشة والديها فيما يصدرانه اليها من أوامر ٠٠ فهى تقول لا لتظهر بمظهر صاحبة الرأى المستقل !

ولنضرب لذلك مثلا : فهذه « فرنسواز » مشغولة باعداد حقيبة الكتب ، بعد أن انتهت العطلة المدرســية وفتحت المدرسة ابوابها ٠٠ ووقفت الأم لتراقبها ، فإذا بها تلاحظ انها تحشو الحقيبة باشياء تافهة لاتمت الى دروسها بصلة ، بينما تهمل وضع كتبها وأدواتها اللازمة فى الحقيبة !

وتغلق « فرانسواز » الحقيبة ٠٠وهنا تتدخل الأم لتفهمها بانها تركت كتبها وأدواتها المدرسية المهمة خارج الحقيبة التى حولتها الى سلة من المهملات ٠٠ فعليها أن تعيد فتحها وترتيبها من جديد !

٠٠ ولكن فرنسواز تجيبها بقولها : « اننى اعرف جيدا مايلزمنى ومالا يلزمنى ! »

والواقع ، ان الذى تريده « فرنسواز » هو ان تاتى غير الذى تريده امها ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ انك لو سالتها لما عرفت لذلك سببا بالضبط ٠٠ انما هى تستشعر

رغبة ملحة فى التصرف بمفردها ، مستقلة بآرائها ! .. وهى تحس بأن فى ارغامها على عمل شىء لاتريده ، حدا من حريتها . فكم من مرة تسمعها تخاطبك بقولها : « اننى حرة افعل ما اريد ! » .. فاذا اردت ان تفهمها بأن فى رفضها اتباع قواعد معينة للسلوك ، مايعرضها للسخرية ، ويثير حولها الشائعات والاقاويل ، اصمت اذنيها ، وابت الاصغاء الى اى نصح او ارشاد !

فلماذا نتخلى عنها ونتركها لنزواتها ؟ .. ولماذا نتنازل عن السلطات المخولة لنا عليها ؟

اننا لوفعلنا ذلك لارتكبنا خطأ فاحشا بلا جدال ، وسوف نزيد من متاعبها لأنها ما زالت فى حاجة الى ارشاد ، نظرا لقصر ادراكها ..

وهناك أساليب عديدة وطرق شتى للتفاهم معها ، دون استفزاز مقاومتها وثورتها ... فاذا رغبنا فى توجيه الأوامر اليها ، فما علينا سوى أن نخاطبها بلهجة « آمرة » جديدة . فلهجة الأمر العنيفة التى كانت تتقبلها وهى طفلة ، والصياح والتهديد والجز على الأسنان ، كل هذا لم يعد يخيفها ، بل انه يزيدها اصرارا على العناد !.. والذى ينبغى أن يتبع الآن هو الحزم فى غير خشونة ، والنصح المصوغ فى صوت قوى ، خال من الانفعال أو الغضب اللذين يبعثان على الخجل والاستخذاء

على اننا كثيرا مانسمع اما تقول غاضبة : « انها تثيرنى ! ثم كيف تريدون منى أن اخاطبها كما لو كانت اميرة صغيرة ؟! » .. هذه الأم الثائرة تنسى ان ابنتها تجتاز اقسى فترة فى حياتها ..ثم نحن نسال هذه الأم الشاكية : « اذا مرضت ابنتك وامرك الطبيب بموالاتها بعلاج دقيق لتشفى وتسترد عافيتها ، فهل تضنين عليها بالملازمة والعلاج ، مهما يكلفك ذلك من مشقة وتضحيات ؟ .. فاذا كنت تفعلين ذلك راضية من اجل صحة ابنتك الجسمانية ، فكيف تضنين به عليها من اجل صحتها المعنوية ؟! » وفى الحياة العائلية لحظات مؤاتية يستطيع الآباء اقتناصها ليتبادلوا مع ابنائهم احاديث قصيرة ، فى جو مشبع بالتفاهم والهدوء ، اللذين يساعدان مساعدة فعالة على اقناع الأبناء بوجهة نظر الآباء فى الأمور التى تكون موضع خلاف بينهما . والمهم ، أن يتصرف الآباء من جانبهم تصرفات قائمة على خطط مدروسة واسس حكيمة ، لا اثر فيها للشطط والجموح ..

أتركوا لهن .. بعض الحرية !

◆ ومن الحكمة ان نترك للفتاة حيزا من الحرية تجرى فيه تجاربها الأولى فى تحمل المسئولية . فالزجر المستمر ، والنصائح المتكررة فى كل ساعة من ساعات النهار ، ونقد كل حركة تصدر من الفتاة ، وكل مسلك تسلكه ، وكل كتاب تقراه ، وطريقتها فى تصفيف شعرها وفى زينتها ... كل هذا من شانه ان يستثير غضب الصغار ويستفزهم الى عدم الاحتفال باية نصيحة او الاصغاء الى اى توجيه !

وتميل الفتاة فى هذه المرحلة ، الى المعارضة .. للمعارضة فقط ، ولكن هذا لايعدو ان يكون « وعكة » نفسية عابرة ، هى وليدة الأفكار الأولى التى تمر بذلك العقل الصغير الذى يحاول ان يشق طريقه الى الحياة العملية . فهى اذا أبدت وجهة نظرها ، اصرت عليها بقوة ، اذ تعتقد ان آراءها كلهـــا جديدة ناضجة .. وهى تتمسك بها تمسك المخترع باكتشافه الأول ! .. ومن بواعث سرورها ان تشعر بانها اصبحت قادرة على الحكم بنفسها على الحياة ، والحب ، والمجتمع ، وجميع المشاكل التى تشغل بال الرجال . كما انها تقتنع كل الاقتناع بان فى مقدورها ان تعرف كل شىء ، وأن حكمها على الأشياء يفوق حكم الكبار الذين تعتبرهم قد شاخوا ، وباتوا متاخرين عن العصر الذى يعيشون فيه !

ومع ذلك ، فان افكارها تبدو متقلبـــة لاتثبت على حال .. فاذا حاولت اعتناق بعض الآراء ، تلقفت رايا من هنا ورايا من هناك ، دون ان تلقى بالا الى ما قد يكون فى تلك الآراء من تعارض او تناقض . فهى تؤيد هذا الرأى يوما ، وتؤيد رايا يناقضه يوما آخر . وهى تتطور اسبوعا بعد اسبوع ، وشهرا بعد شهر . وفى هذا تشبه اخاها المراهق ، فى التعبير عن الآراء بلهجة حاسمة قاطعة ، ضاربة عرض الحائط بالحقائق التى يتعذر عليها فهم كنهها !..

وتهدف الفتاة المراهقة الى أن تكون موضع اهتمام الآخرين ؟.. ولشد ما تجزع اذا رأت نفسها كما مهملا لايؤبه له اذ ينبغى - فى ادراكهـــا الصغير وطبقا لمنطقها - ان يعجب الناس بثيابها ، وان تصوب نحوها الأعين وهى سائرة فى الطريق ، وكانها تهتف لها قائلة : « كم انت جميلة .. كم انت جذابة ! ».. وتتطلع الى صور احدى نجوم السينما ، فتحاول ان تجعل زينتها على غرار زينة تلك النجمة السينمائية ، فاذا احست بانها لاتثير اهتمام احد والتفـاته ، غمرتها التعاسة وملأها القنوط !

.. كانت « اندريه » معجبة بنفسها ، واثقة من ذكائها ، تتوهم ان ليس بين قريناتها من تدانيها دقة احساس ، وعمق مشاعر ، وسعة ادراك لحقائق الأمور .. وكانت هذه الأوهام تسحرها وتسعدها الى ابعد حد ! ..وبينما هى غارقة فى هذه النشوة ، اذا بها تقرا مقالا عن المراهقة والمراهقين والمراهقات ، فتفاجأ بأن تعلم أن ما ينتابها ان هو الا شعور عام ، يستولى على جميع من فى سنها ، ومن يجتازون المرحلة التى تجتازها !

.. ويالها من خيبة أمل كبرى ، حين ترى نفسها كسائر الفتيات الأخريات ، لاتنفرد عنهن بامتياز خاص أو بذاتية مستقلة !

وتلك الرغبة فى « التفرد والامتياز » تتضح بمظاهر شتى ، كالطريقة التى تصطنعها فى الكلام والحركات والايماءات ، وفى ملبسها وزينتها ، وتزجيج حاجبيها ، وتلميع أظافرها وصقلها . وكلما ازدادت شكا فى جمالها وجاذبيتها ، ازدادت عناية بنفسها وهيئتها . وتظـــل على هذه الحـــال ، حتى اذا لم تات كل هذه المجهودات المضنية بنتيجة تلفت الأنظار اليها ، ضربت بكل تلك الادوات عرض الحائط ، ولجأت الى أساليب اخـرى لا تمت الى الأولى بصلة ، عساها ان تفلح فى بلوغ ما تصبو اليه !

واكثر مايخدش احاسيس الفتاة ويخجلها ، هو ان تحس بان رصيدها من الصفات والخصائص التى تلفت الأنظار رصيد محدود ، سواء أكان ذلك فى المدرسة أو فى المصنع ، او فى أثناء العمل الذى فرض عليها ان تزاوله . ولذا فان الملاحظ ان عدد الفاشلات وانصاف الناجحات يفوق عدد الناجحات اللامعات فى العادة وان كان شعور الصغار بمرارة الفشل أعمق واشد ايلاما من شعور الكبار ، لأن الميل الى الزهو عند الصغار اقوى منه عند الكبار !

كتبت « انى » فى مذكراتها السرية هذه العبارة : « لكم اود ان احرر نفسى من جميع القيود لأفرضها بعد ذلك فرضا ، واجعل الناس يعترفون بوجودى !.. ولكن ما اقصر باعى فى هذا المضمار ! .. اننى لااعرف كيف انفذ الى افهام الناس ، واحتل مكانى بينهم .. ولكن هذا لايعنى انى فشلت ، فاننى لم ابلغ بعد السابعة عشرة من عمرى ! »

ان هذه الفتاة تتعذب ، لأنها ترى نفسها فى موضع أدنى من الموضع الذى تطمع فيه ، وتصبو اليه .. وهى تتعذب لأن الآخرين لايريدون ان يقدروها حق قدرها .. فاذا اردنا منعها من الشطط والاسراف ، فان واجبنا يدعونا الى ان نبصرها بقيمتها الحقيقية ، التى تبالغ هى فى تقديرها ، غرورا بنفسها .. وعلينا ان نفتح عينيها على الحقائق مجردة من الزخرف والكذب ، وان نقنعها بانه لن يعيبها ان يكون حظها من التفوق والامتياز محدودا ، فكل مخلوق بشرى له هذا النصيب المحدود ، كما ان له حسناته وعيوبه ، وان الانسان مهما بلغ من نقص فى بعض نواحيه فان له قدرة عجيبة خارقة على التطور والتقدم والنمو !

الأبناء يجسمون عيوب آبائهم !

◆ وفتاتنا المراهقة ، اضحى اليوم فى مقدورها ان تحكم على حقيقة المجتمع والحياة : ان الحياة التى تعودتها فتاتنا وهى طفلة ، حياة زاهية ممتعة ، بريئة . اما الآن ، فقد بدا اللثام يسفر رويدا رويدا عن حقائق الحياة المجردة عن الزخرف والطلاء ، فاذا بها ترى ما فى الناس من مثالب ورذائل ، وما فى الخلق الانسانى من عورات : فمن ظلم ، الى احقاد ، الى انانية وشهوات وخيانة وغطرسة وبخل ..

اما اعنف ما يصدمها فى هذه المرحلة فهو اكتشافها ما فى ابويها من نقائص وعيوب • وهى ترى تلك العيوب مجسمة ، لأن الأبناء يبالغون عادة فى تقدير عيوب آبائهم ، اذ يعتبرونهم مثلا اعلى لكل شىء نبيل !•• فاذا صدموا باكتشاف عيب فيهم ، دفعتهم خيبة الأمل الى التهويل من هذا العيب !

فهذه « ماري كلود » تبدو عليها امارات التعاسة ، وينتابها احيانا شعور مبهم يجذبها نحو ذلك المجهول الذى يسمونه « الموت »!•• والسبب فى ذلك انها عرفت لسوء حظها - ان لوالدها نزوات خارج المنزل ، تكلفه وتكلف اسرته غاليا •• ولاحظت ان والدتها تتعذب من جراء ذلك ، وتتنازعها عوامل متناقضة متضاربة من التسليم بتلك الحال والثورة عليها •• ولذا باتت مارى كلود تتمنى ان ترى اليوم الذى يصلح فيه والدها من حاله •• ولكنها يئست من رؤية حلمها يتحقق ، فاذا باليأس يدفع الى نفسها بشعور عجيب •• انها هى ايضا : آثمة !

وهذه « هيلين » ابنة بالتبنى ، ولكن والديها يخصانها برعاية عظيمة ويبالغان فى العطف عليها •• ومع ذلك فهى توسوس الى نفسها بهذه الهواجس : « لماذا لايكون لها ابوان حقيقيان كالآخرين ؟•• وكيف امكن لابويها الحقيقيين ان يتركاها ؟ » •• ومن الطبيعى ان هذه الهواجس تجعلها تشعر بانها فى مرتبة ادنى من مرتبة زميلاتها وصديقاتها ، وينتج عن ذلك ان ينتابها الشك فى مستقبلها !

وكانت « هنرييت » ماتزال طفلة عندما ظهر فى افق العالم مايسمونه « السوق السوداء » • فلما كبرت ، واصبحت فتاة ناضجة ، وجدت نفسها مضطرة الى التحايل لتشترى حاجياتها من السوق السوداء •• ثم هى ترى امامها كيف برع الكبار فى هذا الميدان •• وعليه ، فانه يصبح عسيرا عليها - وقد نشأت فى هذا الجو - ان تخضع للمبادىء الخلقية القويمة !

تزعزع الايمان عند المراهقات !

◆ لماذا صنع العالم هكذا ؟!

هذا سؤال تجد جميع فتياتنا فى البحث عن جواب له ، كما يبحثن عن اجابات لكل الأسئلة التى تشغل اذهان الفلاسفة - والقليل من بناتنا من يحيين فى سن المراهقة حياة سلبية ، لايتساءلن فيها عن بعض الأمور الغامضة - وفى هذه المرحلة ، تتناول الفتاة بالنقد جميع الآراء التى فى طفولتها • وهذا هو السبب الذى يدفعها الى اجتياز مرحلة ازمة دينية فى هذه السن ، لأنها تقارن التعاليم الدينية التى تلقتها فى البيت بتلك التى تسمعها فى المدرسة او المصنع ، فتجد نفسها مدفوعة الى الشك فى كل ماكانت تؤمن به حتى اليوم • ومن ثم فعلى الآباء ان يتوقعوا حدوث مناقشات عنيفة تدور بينهم وبين بناتهم حول هذا الموضوع !

وليست كل فتاة تشابه الأخرى فى هذا الصدد • فبينما نرى «جنيفيف» وادعة النفس ، ترى فى المسيحية السلام الذى تنشده لروحها القلقلة ، وتستشف فيها الحب الالهى الذى يدعو جميع الناس الى احضانه ، اذا بالفتاة

«جان» تكتب في مذكراتها السرية ما ياتي : « ليس للحياة لون .. انها قاتمة .. فعندما مااقرأ كتابا ممتعا يخيل الى انني محمولة الى آفاق عريضة مملوءة بالنبل ، وانسى اثناء قراءته الفراغ الذى يمتد تحتى ، والذى سيجذبني اليه اذا ما فرغت من القراءة !.. ان العالم مفعم بالشناعات والحـــروب والدم والدموع ... انني لأتساءل دائما : كيف يستطيع الله النظر الى كل هذه الويلات؟!.. وكيف يطيق ـ سبحانه ـ رؤية الأطفال يموتون بالآلاف في الهند من الجوع؟!.. لا ! .. لم اعد قادرة على الايمان بوجود الله ! »

ولكن « رينيه » ترى غير هذا الرأى .. فقد كتبت فى مذكراتها تقول : « من حسن الحظ انني في هذا العالم المضطرب قد عثرت على حقيقة لايتطرق الى الشك فيها .. هذه الحقيقة هى : وجود الله !.. ولكنى أعترف بأننى أعرفه معرفة « مشوشة » للغاية وغير واضحة على الاطلاق ، وان الفكرة التى كونتها عنه صبيانية جدا . ولكنى قرات بعض الكتب والابحاث الدينية لأجعل الحياة تسرى فى ايمانى !.. وقد تمكنت عن طريق هذه الكتب ـ أو خيل الى انى تمكنت ـ من الوصول الى نتيجة مرضية : فقد عرفت بانك ، لكى تجد الله ، يجب أن تبحث عنه فى غيرك من الناس ، وذلك بأن تحب غيرك بنفس القوة التى يحبنا بها الله ! »

الا ما اجمل أن تتفتح اكمام تلك العقول الفتية عن هذه العبارات الاخاذة ، والأفكار التى مهما شابتها بعض الأخطاء فهى تبشر بمستقبل مشرق ، تهدأ فيه ثائرة نفوس فتياتنا القلقة ، ويعود اليهـــن الايمان قويا .. بالله .. وبالحياة !

المراهقات يتعجلن الشباب !

♦ وتتعجل فتاتنا قدوم الشباب والكهولة بصبر نافد لأن كل ما تصبو اليه لايتحقق فى حاضرها مادامت لاتزال بعد صبية . فهى ترغب فى أن تسرع بها السن الخطى ، لأنها ترى فى المستقبل : الزوج ، والأولاد ، والنشاط المهنى الذى يوائم مزاجها وملكاتها !

اما العاملات وفتيات الريف الصغيرات ، فانهن يتخيلن السنين القادمة من حياتهن اقسى من سنى حياتهن الحاضرة . ولهذا تجدهن اكثر من غيرهن بحثا عن الحياة العاطفية ، وجريا وراء الخيالات والاحلام !

وكثيرا ما تسائل نفسك فى دهشة : « ما أعظم التغيير الذى طرأ على ابنتى فى الأربع أو الخمس سنوات الأخيرة ؟! » .. والواقع أن لك عذرا فى دهشتك من عظم التغيير الذى طرأ عليها ، لأنك تعودت ان ترى أمامك فى السنين الماضية طفلة تعيش حياتها يوما فيوما ، فى غير قلق ولا اكتراث ، مطيعة ، واثقة فى كل من حولها ، معجبة بك فى غالب الأحيان ، تحترم آراءك ولا تناقشك فيها . اما الآن ، فانت أمام ناشئة صغيرة ، عاصية ، تهرب من الحقائق الى الخيالات والاحلام ، وتنظر الى حاضرها فتجده غثا ، فيدفعها ذلك الى التطلع الى المستقبل كالمحمومة ! .. وهى قلقة ، يدفعها القلق الى البحث عن الحب .. كيف لا وهى

تشهد مولد حساسيتها الجنسية كما لو كانت تشهد مسرحية من المسرحيات ؟!

.. بل انك الآن امام فتاة تريد أن تفرض نفسها على الآخرين ، وقد امتلأت بالمتناقضات .. فبينما تراها متغطرسة ، مغرورة ، معتدة بنفسها ، اذا بك تراها متشككة غير واثقة فى نفسها ، ولا مطمئنة الى آرائها !

ان الصغار جميعا ، ذكورا واناثا ، يجتازون هذه الأزمة التى هى نقطة تحول كبير فى نموهم الروحى . ولكن من السهل أن يصل الآباء الى تفاهم مع ابنائهم وبناتهم متى كبروا ، فان بناتك عندما يكبرن يصبحن أقرب اليك منهن فى عهد الطفولة . ففى استطاعتهن ان يشعرن بنفس شعورك وكل ما ينتظرنه منك ، هو أن تمنحهن ثقتك

ولا تنسوا - ايها الآباء والأمهات - أن تاثيركم عليهن شديد ، وسلطتكم عليهن واسعة ،وان قوة شخصيتكم ، وسلامة تفكيركم ، وآرائكم ، هى التى تحدد رد الفعل الذى يقع على فتياتكم

وكثيرا ماتتظاهر الفتيات الصغيرات باحتقار الفتيات الراشدات ! ..الاان هذا لايمنع ان يكون تاثير الراشدات على الصغيرات شبيها بتاثير السحر فى الوقت نفسه . فان الفتاة المراهقة فى حاجة الى غذاء لحساسيتها ، فاذا وجهتها الى شتى مناحى الفنون ، كالموسيقى والغناء والرسم والنحت مثـلا ، فانك ستساعدها على استنفاد طاقتها المكبوتة من تلك الحساسية .. وعندئذ تعود الى الاتزان . واذا عاونتها على التفكير فى مسلكها بتعقل ، فانك ستعاونها على التحرز من عبودية الغريزة ، والانفعالات التى كثيرا ماتكون سببا فيما تتخذه من قرارات رعناء فى أغلب الأحايين !

ان النشاط والحركة يشفيان من مرض الأحلام . والاختبار العملى يعين على الثبات ، والحكم على قدرة الانسان ، وادراك مدى مايحرزه من تقدم ونجاح . ومن ثم فعلينا أن نحدد لفتياتنا اعمالا معينة يقمن بادائها فى المنزل ، كما يجب أن نوفر لهن خارج المنزل نشاطا اجتماعيا ، كالاشتراك فى الجمعيات الخيرية التى تعنى بمساعدة الشيوخ والأطفال ، والاشراف عليها

ويستثنى من ذلك طبعا الحالات التى تميل صاحباتها الى الدخول فى مباريات ومسابقات علمية شائكة ، فان العناية بهن فى تلك الحالات يجب أن تقوم على أسس علمية مدروسة

ان الفتيات يجتزن فى سن المراهقة مرحلة حاسمة فى حياتهن ، تتنازعهن فيها عوامل شديدة .. فهن مترددات ، متضجرات ، قلقات ، مشتعلات الأحاسيس ، سريعات الذبول ! .. وان المجهود الذى يبذله الآباء والأمهات، لكى يتمشوا مع عقلية الفتاة فى سن المراهقة ، لاشك أنه يساعدهم على ايجاد العلاج المناسب لهن ، فى اللحظات الدقيقة التى يجتزنها خلال هذه المرحلة الخطيرة من حياتهن . ولكى ينجح الآباء والأمهات فى ارشاد بناتهن ، يتحتم عليهم أن يحتفظوا بصفات الشباب التى من أهمها : الحمية ، والهمة ، والحماسة، والارادة المشبعة بالقوة والثقة .. فبهذه الصفات يستطيعون تادية رسالتهم نحو أولادهم وبناتهم على السواء .

MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق والمغامرة

كازانوفا .. المنقذ النبيل !

◆ انقذ كازانوفا « براجادين » - وكان عضـــوا بمجلس شيوخ البندقية ، واسع الثراء والنفوذ - من مرض كاد يودى بحياته ، ولازم فراشه حتى شفى ، فلم يجد الرجل جزاء له خيرا من ان يتبناه ، واقام « كازانوفا » مع الشيخ وزميلين له لا يقلان عنه مكانة ونفوذا - هما مسيو « داندولو » ومسيو « باربارو » - فى رغد وهناءة . وفى ذات يوم ، التقى بحسناء من مدينة (ك) اقبلت هاربة من اسرتها النبيلة ، بحثا عن شاب من ابناء البندقية غرر بها على امل ان يتزوجها ، ثم تخلى عنها .. واشفق عليها « كازانوفا » ، فاستاجر لها غرفة فى نزل امراة طيبة ، ريثما يدبر امر عودتها الى اهلها ، بعد ان تبين ان الشاب قد غادر البندقية ..

عابد الجمال .. مخلص له !

◆ نفذت عبارات الثقة التى ابدتها الفتاة الى اعماق قلبى ، وقد كدت اهن للطيش والنزق .. على اننى حين زرتها بعد ظهر اليوم التالى ، الفيتها امام المرآة تتزين .. وكانت المرة الأولى التى أرى فيها وجهها باكمله ، ونحرها ، ونصفى ذراعيها اللتين اجادت الطبيعة صوغهما .. ورأيت على منضدة الزينة خــاتما فتناولته واخذت اتامله ، واذا بى اشهد فيه اطارا يحوى صورة سيدة تشبهها تمام الشبه ، وان كانت فى زى الرجال . وكانمـــا لاحظت ما دار بخلدى ، فقالت : « تخطىء اذا ظننتها صورتى .. انها صورة شقيقى الضابط فى الحرس البابوى .. انه يكبرنى بعامين » !

وسالتها ان تسمح لى بان اضع اصبعها فى الخاتم .. حتى اذا انتهيت ، وجدت من الشهامة ان اطبع قبلة على يدها ، واذا بها تسحبها وقد تضرج وجهها ، وخشيت ان تظن بى الظنون ، فرحت اؤكد لها احترامى .. وكانمـــا خشيت بدورها ان تكون قد آذت شعورى ، فجلســـت الى القيثارة التى ابتعتها لها ، واخذت تعزف بعض القطع ، فى دقة وبساطة المتمكنة من فنها .. واسكرتنى النغمات ، فتوسلت اليها ان تغنى .. وليس بوسعى ان اصف عذوبة غنائها !.. ثم الحفت فى ان تسمح لى بان اقبل يدها ، فكانت القبلة التى طبعتها مزيجا من الحب ، والتقدير ، والاحترام ، والاعجاب !

وغادرتها وقد اشتدت بى تباريح الهوى ، وعزمت على ان اسعى لمـكاشفتها بوجدى .. ولكنى كنت ارجىء عزمى يوما بعد يوم .. الى ان كان ذات صباح زرتها فيه ، فاعربت عن عجبى لأنها لا تعـرف عنى شيئا .. انا الذى انقذتها واخذت اغدق عليها من كرمى ! .. ومن ثم رحت اروى لها كل شىء عن نفسى ..

وما لبث ان تحول الحديث الى « ستيفانى » ـ الحبيب الذى غرر بها ـ وكيف أن أحدا لا يعرف له مكانا ، فى حين أن أباها ولا بد يظنها مختفية معه ٠٠ وكانت عند ذكر « ستيفانى » تبدى اشمئزازا بالغا ، وأردفت انها تحب أن تقضى ما بقى لها من عمر فى دير ناء ، حيث لا يعرف أحد فضيحتها المخزية !

السباحة ٠٠ فى بحر الهوى !

◆ ولكن القدر كان ينفذ خطة أخرى ٠٠ فبينما كنت و « أبى » وزميلاه حول مائدة العشاء فى ذلك المساء ، قال « باربارو » : « لقد جاءنى اليوم أحد رعايا البابا بتوصية خاصة ، كى أساعده بنفوذى فى مسألة دقيقة ، شائكة ٠٠ اذ يبدو ان أحد رعايا جمهوريتنا اختطف ابنته وفر بها ، وقد عزم الأب على أن يعرض المسألة على مجلس العشرة ٠٠ »

وخفق قلبى ، ولكنى تظاهرت بعدم الاكتراث ، حتى اذا كان الصباح التالى ، بادرت مبكرا الى حسنائى أحمل النبأ ، فتوسلت الى ان أحمل مسيو « باربارو » على أن يتوسط بينها وبين ابيها ٠٠ وأعطتنى التعهد الذى كتبه خادعها الوغد ، قاطعا فيه الوعد على نفسه بالزواج منها ، حتى يقوم دليلا لدى ابيها على انها كانت ضحية !

واخذت أفكر فى الخطة التى انتهجها ٠٠ فان تنفيذ رغبة الكونتة الشابة كان يقتضى البوح بانها تحت رعايتى ٠٠

وفى عصر ذلك اليوم جاء الكونت « ا٠ س٠ » ـ أبوها ـ يصحبه شقيقها ـ الذى كان صورة صحيحة منها ـ واختليا بمسيو « باربارو » ساعة ، حتى اذا انصرفا ، تحايلت حتى استدرجت مسيو « باربارو » ليسألنى ان أكتشف الغيب واستقرىء ما فيه بصدد هذا الموضوع ٠ وتظاهرت بالاستغراق فى التأمل ثم قلت فى هدوء تام : « من واجبك أن تنصح الأب بأن يغفر لابنته ، وان يتخلى عن كل فكرة ترمى الى اجبارها على الزواج من الشاب الذى خدعها ، لأن الله قضى على هذا بالموت »

وراق الرد للشيوخ الثلاثة ٠ وقال مسيو « براجادين » لمسيو « باربارو » انه يحسن به أن يدعو الكونت وابنه فى اليوم التالى الى الغداء ، ثم يسعى فى روية وحكمة لحمل الأب على الصفح عن ابنته ٠٠ واذ وعد الشيخ بذلك ، تعهدت بدورى أن أسأل الأرواح عن مكان الفتاة ٠ ثم أسرعت اليها أطلعها على التطورات ٠٠ وامضيت الأمسية فى صحبتها ، وقد استبد بها الاغتباط لقرب ارتدادها الى أبيها ٠٠ واخذت تعرب عن مدى تقديرها لى ، واعترافها بفضلى ، فقلت :

ـ كونى صريحة وقولى الحق ٠٠ انك ما كنت لتترددى فى الارتياب فى شخصى لو اننى وقعت فى هواك ٠٠

ـ بل اننى لا اخشى شيئا سوى ان افقدك !

وكان صوتها ووميض عينيها يؤكدان صدقها ٠٠ ووجدتنى احتويها بين ذراعى والصق شفتى بشفتيها ٠٠ وأسلمت نفسى للهوى الجارف ، اسبح على امواج النشوة التى يزخر بها بحره ٠٠ وضاعف من نشوتى ان قرأت على

وجه الحبيبة آيات الهناءة ، والحب ، والعاطفة المشبوبة !
واذ انتصف الليل ، استأذنت فى الانصراف ، حرصا على سمعتها ! !

الفتيات فى أمان .. مـــع كازانوفا !!

◆ وتناول الكونت وابنه الغداء معنا فى اليوم التــالى .. كان الابن آية فى الحسن ، ونبل الخلق ! وكان صورة طبق الأصل من اخته ، وقد سعيت لأكسب صداقته .. واذ راى الكونت الجو الذى كان يسود القصر ، اطمأن قلبه ، فراح يروى لنا قصته ، وكان من قبل قد قصر ثقته على مسيو « باربارو » .. ومضى يؤكد ان « ستيفانى » لم يلج داره قط ، وانه كان قد عـرف انه أمضى ليلة تحت نافذة مخدع ابنته يناجيها ويغازلها .. واخذ يتساءل : اى سـحر فى الشاب جعل الفتاة تستجيب له بهذه السرعة ؟ ! .. وكان الأعجب من هذا ان الشاب غادر المدينة قبل فرار الفتاة بيومين .. ثم اخذ يردد وجوب قسر الشاب على الزواج من ضحيته !

وهنا قال مسيو « باربارو » : « ليس هناك ما يؤكد ان الفتـاة تعيش مع الشاب الذى غرر بها .. ويخيل الى انه من الخير ان لا تصر على هذا الزواج القسرى الذى قد يقضى على ابنتك بشقاء ابدى ، اذ ان « ستيفانى » من احقر الشبان الذين يعملون فى حكومتنا ومن ادناهم قدرا »

وقال مسيو « براجادين » : « لو اننى كنت فى مكانك لتركـت ندم ابنتى وتوبتها يطفئان جذوة غضبى ، ولصفحت عنها »

– واين هى ؟ .. ما كنت لأتردد فى ان اغفر لها لو انها جاءتنى تائبة .. ولكن ، كيف اتوقع منها التوبة وهى معه ؟ .. لقد علمت من تحرياتى انهـا جاءت فى قارب صغير لنقل البضائع ، وهبطت على مسـافة عشرين ياردة من البوابة الرومانية ، حيث التقى بها شخص يخفى وجهه خلف قناع ، فسـار معها ، ثم .. اختفى كل اثر لها . على اننى لا املك الا ان ارتاب فى ان ذلك الشخص هو « ستيفانى » ، لأن الأوصاف التى نميت الى تخالف اوصـاف « ستيفانى » .. لقد راى هذا الشخص اربعة افراد ، وحصروا شبهاتهم فى اربعة شبان هذه اسماؤهم ، وسوف اتهمهم امام مجلس العشرة .. »

وقرا مسيو « باربارو » الأسماء ، فاذا اسمى بينها ! .. وضحك اصدقائى الشيوخ الثلاثة ، وقال مسيو « براجادين » : « ها هو ذا كازانوفا .. ابنى ، واقسم لك بشرفى ان لو كانت ابنتك فى رعايته فسوف تكون فى امان ! ! »

واستبدت الحيرة بالكونت وابنه .. واخذ الأب يلحف فى الرجاء والدموع تنساب من عينيه ، ان ارشده الى مقر ابنته.فوعدته بان اسعى للعثور عليها ، على ان يرجىء شكواه الى مجلس العشرة ..

واسرعت بعد هذا الاجتماع الى محبوبتى اروى لها باسهاب ما دار . وكانت تبكى فرحا وهى تستعيدنى ما قاله والدها ، فوعدتها بان اصحب اخاها الى مقرها فى اليوم التالى . وتناولت عشائى معها ، ثم امضينا ساعتين فى محراب الهوى . ولولا خشيتى من ان ترتاب صاحبة النزل ، ما فارقتها ! .. وما ان

بلغت بيتى بعد منتصف الليل ، حتى الفيت اصدقائى الشيوخ الثلاثة فى انتظارى ، وبادرنى مسيو « براجادين » قائلا ان نبوءتى قد صحت ، وان « ستيفانى » مات - بالنسبة للدنيا - اذ غدا راهبا • فانتهزت فرصة ايمانهم بصحة اتصالى بالأرواح - بعد هذا الدليل ! - وقلت :

- اذن ، فانا الآن فى حل من ان اصارحك يا ابى العزيز ، بما كانت الأرواح تضطرنى الى تكتمه من قبل ••

ورويت لهم ما كان من امر لقائى للفتاة ، ولم اكتم الا ما رايت ان ليس من شانهم ان يعرفوه •• وقال مسيو « براجادين » :

- اذن فلنبق مقرها سرا حتى نستوثق تماما من ان اباها قد غفر لها ، وانه سياخذها معه الى مدينة (ك ••)

قلت : « انه لا يملك سوى ان يغفر لها ، لأنها لم تفر من اهلها الا اعتمادا على وعد بخط الشاب تعهد فيه بان يتزوجها • وقد واتانى الهام من الأرواح بان اسعى الى «البوابة الرومانية» ، فى نفس اللحظة التى غادرت فيهاالقارب ، وان ادعوها لأن تتبعنى ، فسارت معى دون ان تمانع ، وكانها هى الأخرى كانت تطيع ارادة خفية روحية •• ومن ثم صحبتها الى بيت مامون ، وتركتها فى رعاية امراة تقية ••

ونصحتهم بان يدعوا الكونت فى اليوم بعد التالى للغداء •

رياضة غرامية •• فى الصباح !

◆ ولم انم الا ساعات قلائل •• وما ان انبثقت اولى ضياء النهار ، حتى بادرت الى حبيبتى •• وتلقتنى فى فراشها ، وعيناها تفيضان حبورا ، فلم نضيع الوقت ، ورحنا نثبت مدى حبنا ، وهوانا • وبعد رياضتنا الغرامية ، افضيت اليها بالجديد من الأنباء • واخيرا ادركنا ان وقت فراقنا لن يلبث ان يحين فى اليوم التالى ، فاشاع هذا اسى فى قلبينا ، رحنا نحاول اغراقه باطلاق عواطفنا تتدفق كالسيل يجرف كل ما امامه !

على ان الوقت مر سريعا •• وعندما عدت الى دارنا ، وجدت الكونت وابنه فى زيارتنا ، وقد اشتد القلق بالأب فعاد يتعجل الرغبة فى رفع قضيته الى مجلس العشرة • وكان هذا العزم سببا فى ان افضينا اليه بان ابنته فى رعـــايتى •

وفى الصباح المبكر التالى ، اسرعت الى معبودتى ، لغرقنا فى بحر الغرام حتى الظهر ، حين اضطررت الى مغادرتهـــا ، لأن اباها واخاها كانا مدعوين للغداء على مائدتنا ••

وعرض عليه مسيو « براجادين » الورقة التى كتبها « ستيفانى » للفتاة •• ومضى يشرح له قصتها مبررا فرارها ، فما كان من الرجل الا ان هتف متاثرا : « اواه ! •• اكدوا لها اننى غفرت لها •• ان سعادتى اصبحت تتوقف عـــلى رؤيتها »

واكدت له اننى سارد له ابنته فى اليوم التالى • ولكى يطمئن ، دعوت ابنه ومسيو « باربارو » الى ان يصحبانى لزيارتها ••

وكان اللقاء بين الشقيقين مؤثرا ٠٠ واخذت الفتاة تعرب لأخيها عن الصنيع الذى اديته لها ، واسمتنى « ملاكها الحارس » ٠٠ واذ تاهبنا للانصراف ، راحت تقول انها تتعجل اللحظة التى ترتمى فيها على قدمى ابيها !

وامضيت سحابة النهار التالى مع الحبيبة ، نغترف اكبر قدر من ملذات الهوى قبل ان يقدر لنا الفراق ٠٠ ثم بارحتها فى المساء ، لأعود بابيها واخيها ومسيو « داندولو » ومسيو « باربارو » وما ان رات اباها حتى ارتمت على قدميه ، فاندفع الرجل باكيا ، وانهضها ليحتويها فى احضانه ، ويغمرها بقبلاته ، ويؤكد لها صفحه !

مبارزة ٠٠ فى الليل !

◆ بعد ايام ، ذهبت مع الشيوخ الثلاثة الى « بادوا » لنقضى بضعة ايام ٠٠ وكاد الملل يقتلنى ، لولا ان وقعت فى حب غانية تدعى « انسيلا » ٠٠ وكان الذى قدمنى لها ، شاب من عشاق اللهو مثلى ، يدعى « الكونت مدينى » ٠٠ وكان مقامرا عريقا ، ومن ثم رحنا نقضى ليالينا نحن الثلاثة فى اللعب ، الى ان اكتشفت ذات مساء ، انهما متآمران على الغش لابتزاز نقودى ، فشهرت مسدسى فى صدر الكونت واجبرتهما على ان يردا كل ما اخذاه منى ٠٠

وبعد ان ردا المال ، اخذت « الكونت » العزة بالاثم ، فدعانى الى المبارزة ، وخرجنا نسعى حتى وجدنا بقعة مناسبة ، فرحنا نتبارز تحت ضوء القمر ، حتى اصبت غريمى بجرح فى كتفه ، واجبرته على ان يسالنى العفو

وافضيت الى ابى فى الصباح بما جرى ، فنصحنى بان اغادر (بادوا) فورا ، خشية نفوذ « الكونت مدينى » الذى ظل غريمى بعد ذلك طيلة العمر ومن ثم رحلت الى نابولى

وامضيت ما تبقى من سنة ١٧٤٦ دون ما مغامرة تستحق الذكر ، اللهم الا اننى وقعت فى هوى فتاة حسناء ، لم يلبث ان فرق بيننا زواجها من راقص فرنسى ، استوطن البندقية من اجلها ٠٠

زواج .. بدون عقـــد !

♦ وفى يناير سنة ١٧٤٧ ، وجدتنى فى ضيق شديد اضطرنى الى ان أسعى الى بلدة على بضعة أميال من البندقية ، تدعى (تريفيو) ، لأرهن خاتما لدى مراب كنت أثق فيه . ولهذا خرجت فى الصباح الباكر ، وسرت الى نهاية قناة (ريدجيو) ، لأستاجر « جندولا » يقلنى الى (ميسترا) ، فاستقل عربة تحملنى الى (تريفيو)

ومر بى « جندول » صغير ، رأيت فيه فتاة ريفية فى ثياب بديعة مع قس مسن ، فانحنيت لأتاملها . وظن النوتى اننى أريد أن أنضم الى راكبيهاقتصادا فى النفقات . ولم أتردد ، حين أوقف « الجندول » فى أن أهبط اليه . ودفعت له ضعف ما طلب كى لا يسمح لأحد آخر بمشاطرتنا « الجندول » . وأراد القس ان يتنحى عن مجلسه ، ولكننى أبيت فى تأدب ، ليتاح لى أن أجلس أمام الفتاة ، التى كانت غاية فى البهاء .

واتصل الحديث بينى وبين القس ، فما لبثت الفتـــاة ان اطمانت الى .. وسرعان ما عرفت ان اباها مات تاركا اياها فى رعاية عمها القس ، فورثت عنه ثروة لا بأس بها .. كما انها توشك ان ترث أمها التى طال بها المرض واقترب أجلها !

ورحت فى لباقة أطرى جمال الفتاة ، فاذا بها وعمها يضحكان .. وسألتهما فى دهشة عن سر الضحك فقالت « كريستينا » ، وهذا اسمها :

— لأن الغزل واطراء حسنى هما كل ما فزت به من رجال (البندقية) ، ولـــكننى لم أصادف بينهـــم من لديه الجـرأة على ان يثبـت صـدق تأثره بجمالى ، فيقودنى الى الكنيسة ليرتبط بى ويحظى بجمـالى ، له وحده الى نهاية العمر !.. لقد اضطررنا الى ان نغادر (البندقية) — بعد اسبوعين — كما أتيناها ..

وقال العم القس : « ان هذه الفتاة أهـل لخير زوج ، لا سيما وانهـا تملك ثلاثة آلاف جنيـه .. ولكنها تصر على ان لا يكون زوجهـــا من غير أهـل (البندقية) .. ولقد أمضينا فى المدينة اسبوعين ، ترددنا خلالهما على عدد من الأسرات ، والتقت الفتاة بكثير من الشبان ، ولكن الذين أعجبت بهم لم يسالوها الزواج ، والذين طلبوا يدها لم يروقوا لها !

واذ بلغنا نهاية الرحلة بالجندول ، قال القس انه سيسير على قدميه الى بلدته ، بعد أن يجد للفتاة مكانا فى احدى العربات ، اقتصادا للنفقات .. فقلت :

— إنكما تسديان صنيعا لى ، لو قبلتما دعوتى الى ان تصحبانى فى العربة التى ســاستقلها .

ودعانا القس الى القداس فى كنيسة القرية التى هبطنا بها ، وفى طريقنا اليها ، قدمت ذراعى للفتاة قائلا — اذ رأيتها تتردد موجسة : « ان أصول

المجاملة تقتضى ان اقدم لك ذراعى تعتمدين عليها ، خشـية ان يظن الناس اننا نجهل آداب السلوك »

ـ او لا تخشى ان يرانا احد من معارفك ، فيشي بك الى حبيبتك ..

ـ ليست لى حبيبة .. ولن تكون لى فى المستقبل حبيبة ، لأننى لن القى فى (البندقية) حسناء فى جمالك ..

ـ ليتنى التقيت بك هناك ، فكانت تتاح لنا الفرصة كى يدرس كل منـا صاحبه ، وكى يطمئن عمى الى مركزك ..

ـ اننى على استعداد لأن اتحمل نفقات عودتكما اليها ..

ـ اجاد انت فى قولك ؟ .. اذن ، فقل لعمى ..

ـ وهل تقبلين شابا مثلى زوجا ؟ .. هل تظنين انك ستحبيننى ؟

ـ اجل .. ساحبك كل الحب اذا ما تزوجتنى !

وتطلعت الى الفتاة ماخوذا .. كانت فاتنة .. وكانت ساذجة !

وتعمدت ان ادعوهما خلال الرحلة الى فندق ريفى صغير ، غير مطروق . وجلست امام الفتاة ، حين ضمتنا مائدة العشاء ، فاخذت اكتشـف مزيدا من آيات فتنتها ، ومن ثم قلت لعمها :

ـ اننى انصحك يا ابى بان تصحب ابنة اخيك ثانيـة الى (البندقية) ، وساتكفل بنفقاتكما ، كما سادلك على سيدة تقية ، طيبة ، تستطيع ان تاتمنها على الآنسة « كريستينا » ، فاننى اريد ان تتاح لى فرصة دراسة شخصيتها عسى ان اتخذها زوجة ..

واذ ابدى الرجل رضاءه ، وعدته بان اكتب له خلال اسبوع

ودعوت صاحب الفندق لأحجزغرفتين ، ولكنه قال انه لا يملك سوى غرفـة واحدة ، فاظهر القس الطيبانه لايمانع فى ان ننام معا ، فسـوف يشغـل وابنة اخيه سريرا ، ويدعان لى السرير الثانى ..

وسمعت الفتاة فى الظلامتتودد الىعمها وتلاطفه . وما لبث القس الطيـب ان ضحك قائلا : « اتعرف ماذا تحاول ابنة اخى ؟ .. اننى كنت ساعـرج على بلدة اخرى فى طريقنا الى بلدتنا ، وهى تحاول ان تقنعنى بان اعفيها من عناء السفر ، فاذهب لأداء مهمتى ثم اعود لأصحبها الى بلدتنا ، قائلة ان

بوسعى ان اطمئن عليها فى رعاية سيد نبيل كريم مثلك » !
قلت : « اننى اذ اشكر لكما هذه الثقة ، اعتقد ان ليس لك ان تخشى على فتاة عاقلة حكيمة مثلها »
قال : « الحق انكما أهل للثقة • اذن سادعها لرعايتك يا سيدى ، وساعود لى صباح بعد باكر »
وامضيت نهار اليوم التالى وانا احرم نفسى من استغلال اية فرصة ، وانا فى صحبة زميلتى الحسناء • ولكننى كنت ازداد تدلها ووجدا بها ، دقيقة بعد اخرى • وما ارانى بحاجة الى ان اذكر اننى عوضت نفسى عن هذا الحرمان ، حين انفردنا فى غرفتنا •• وكانت النشوة اقوى من أن نفطن فى غمرتها الى الحدود التى كان ينبغى أن نقف عندها ••
وهتفت « كريستينا » اذ افقنا من نشوتنا : « ماذا فعلنا ؟ »
- اصبحنا زوجين ! !
- وماذا يقول عمى حين ياتى ؟
- لا داعى لأن يعرف شيئا ، الى ان يبارك زواجنا
ولكنها ما لبثت ان اخلدت الى وجوم رابنى ، فسالتها عما اصابها ، واذ ذاك قالت : « ان ما جرى بيننا خليق بان يجعلنا نعمل على عقد الزواج باسرع ما نستطيع • ولكنك تعرف أننا الآن فى اواخر اعياد « الكرنفال » ، وسيعقبها الصوم الكبير ، ومن ثم فلن يتاح لنا ان نتزوج قبل عيد الفصح ••
قلت : « فى وسعنا أن تحصل على اذن خاص •• »
فقبلتنى فى تقدير •• ولا اكتم اننى ، وقد اشبعت وجدى ، بدات اشعر بالندم على التورط ، وبالرغبة فى البحث عن منفذ • على اننى لم اكن اقوى على ان اسلم تلك الفاتنة الساذجة للشقاء •
واذا عاد عمها ، وعدته بأن أتصل به فى الأيام الأولى للموسم الكبير •• واسرعت عائدا الى البندقية ، فوجدت اصدقائى الشيوخ الثلاثة أشد ما يكونون شوقا لرؤيتى ، وقلقا على ، اذ لم اكن قد انباتهم باننى ساتغيب عنهم ليلتين •

« كازانوفا » يبحث عن زوج لحبيبته !

◆ وفى اليوم التالى ، خطرت لى فكرة تمكننى من ان احقق السعادة لكريستينا دون ان اضطر الى الزواج منها • وفى المساء ، جلست الى الشيوخ الثلاثة ، الذين راحوا يسالوننى أن استشير الأرواح فى بعض المسائل • وفجاة قلت لهم : « بهذه المناسبة ، لقد تعهدت لفتاة طيبة بان احصل لها على اذن بابوى لعقد قرانها خلال الصوم الكبير ، فى كنيسة قريتها •• ان عمها يريد ان يزوجها ليطمئن عليها ، وان كان لم يجد لها بعد زوجا •• »
ووعدنى « ابى » بان يكتب الى روما ليطلب من سفير البندقية ان يسعى للحصول على هذا الاذن • واذ ذاك تظاهرت باننى استغرق فى غيبوبة روحية ،

ثم قلت : « ان الأرواح تكلفنا نحن الاربعة ان نبحث لها عن زوج ! »
ووتاني الحظ في اللعب بالف جنيه بندقي ، فسددت ديوني ، وبدات الراحة تعاود بالي . وان هي الا عشرة ايام ، حتى وصل الاذن البابوي لكريستينا بان تعقد قرانها خلال فترة الصوم الكبير . ولم يبق الا تعيين الزوج .
وبادرت أكتب الى القس كي يلقاني في (تريفيسو) .. ولم ادهش حين وجدت ابنة اخيه معه ، اذ ظنت اني اعددت العدة لزواجها مني ، حتى انها تلقتني بالعناق والقبلات . ولو لم يكن عمها حاضرا ، لانصهرت ارادتي ، وارتضيت ان اكون زوجها ، فقد عاد جمالها يخلب لبي .

العثـور على الضحيـة !

◆ وفي اليوم التالي ، سنحت لنا فرصة خلونا فيها ، بيد انني وقد عقدت العزم على ان لا اكون زوجها ، استطعت ان اكبح جماح نزواتي .. وغادرتها وعمها في ذلك اليوم ، على ان اعود اليهما بعد عشرة ايام .
وفي يوم الاحد الثاني في فترة الصوم الكبير ، عثر مسيو « داندولو » على شاب رشحه لان يكون زوجا لكريستينا .. وكان حسن الخلق ، مليح الوجه ، في الثانية والعشرين من عمره ، يتيم الوالدين ، وفي حاجة الى زوجة صالحة تعنى به ، وتكون ذات ثروة تمكنه من ان يؤسس مكتبا للمحاماه والتسجيلات القضـائية

وعرفني في اليوم التالي بالشاب فوجدته صالحا من كل النواحي .. وملت اليه ، فتوثقت بيننا اواصر الود . واذ انباه مسيو « داندولو » بان أمـر العروس التي ينشدها في يدي ، الح في ان اقدمه اليهـا ، فسالته ان يفرد يوما لهذه الزيارة . وصحبته في ذلك اليوم الى قرية القس ، فبلغناها قبـل منتصف النهار بساعتين . وما ان استقررنا بدار القس ، حتى أقبلت « كريستينا » فحيتني في شوق ، وهي تجهل ما دبرت . على انني ما لبثت ان تمنيت فرصة خلوت اليها فيها لأوصيها بأن تتحفظ اذا ما اجتمعنا حول مائدة الغداء ، لان زميلي قد يكون الزوج الذي اراده الله لها ..
وفي وسع القارىء ان يتصور مدى الألم الذي كنت اعانيه وانا افضي اليها بهذا . ولكن الأدعى للدهشة هو ذلك المسلك الذي واجهت به الموقف ، فقد تلقت النبأ في سكون ورزانة . وبعد وجوم قصير ، سالتني : « ان هذا التطور جد غريب . هل انبات عمي به ؟ .. ثم ، متى يتم الزواج اذا انا رقت في نظر صاحبك ؟ »

ووعدتها بان انبىء عمها بما جد ، وان اعمل على ان يكون الزواج خـلال عشرة ايام .. فقد ادركت ما كان يقلقها .. كانت تخشى ان تـكون علاقتنا ذات ثمرة !

« يتبع »

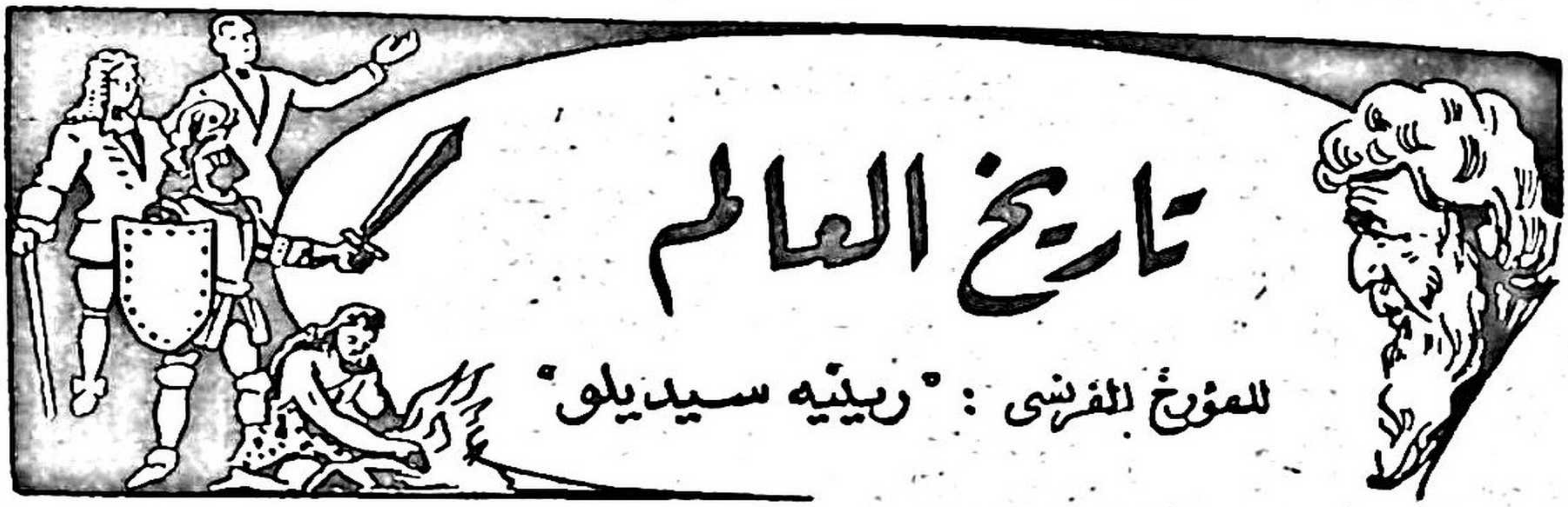

انهيار امبرطوريتى الاغريق والفرس

◆ كان الشطر الأكبر من تاريخ الاغريق ، تسجيلا لسطو مدن على مدن اخرى . واستقر الصراع اخيرا بين (اثينا) و (اسبرطة) ومع انهما عقدتا صلحا طويل الأجل ، الا انهما لم تلبثا ان نقضتاه فى سنة ٤٢١ ق . م . والآن ، تعال نتابع معا رواية التاريخ الرائعة ، كما وضعها المؤرخ والصحفى الفرنسى « رينيه سيديلو » .

حـــــروب مستمرة !

◆ وقامت حرب جديدة ، لم يفد منها سوى التجار الذين كانوا يمدون الجيوش بحاجاتها . واعقبها صلح لم يلبث ان خِرق من جديد . . فلقد ارادت (اثينا) ان تبسط سلطانها على (صقلية) ، فى حين هبت (اسبرطة) لمعونة (سيراكيوز) ، زاعمة ان من واجبها ان تساعد المدن اليونانية على التحرر من ربقة (اثينا) . وفى سنة ٤٠٤ ق . م . هزمت (اثينـا) وقبلت - فى معاهدة الصلح - ان تجلو عن كل اراضيها الأجنبيـة ، وان ترتضى التحالف مع (اسبرطة) بشروط مهينة . على ان هذا لم يغـير من جوهر الأمر ، فقد انطلقت (اسبرطة) - فى جشع - تفرض سلطانها ، وظلت (اثينا) متربصة ترتقب فرصة الانتقام ، حتى سنحت لها بالتعاون مع (طيبة) التى هزمت جيوش (اسبرطة) سنة ٣٧١ ق . م .

وهكذا ظلت الحروب والدسائس والمؤامرات تفت من قوى مدن الاغريق ، فى الوقت الذى كانت فيـه القبـائل البربرية تراقب الصراع وتتحين الفرص . . وكان اقرب هؤلاء الأعداء هم الفرس ، ورثة آسيا الأشورية - من الشرق - والعصابات الهندية الأوربية - المقدونيون والسـلت - من الشمال .

التبشير بوحدانيـة الله

◆ كان الفرس فى نظر بناة « البارثينون » ـ الاغريق ـ برابرة ، غير متحضرين .. وكان هؤلاء البرابرة قد انحدروا فى سنة ٥٤٥ ق . م . من ايران فهاجموا الامبراطورية الأشورية العتيقة واعادوا تنظيمها ، واستولى « سيرس » ـ الذى حرف اسمه فى كتب التاريخ المدرسية الى « كورش » ـ على بابل وليديا ، كما هزم « قمبيز » مصر والحبشـــة ، وقام « داريوس » بتنظيم هذه الامبراطورية الشاسعة فى سنة ٥٠٠ ق.م .

على أن هؤلاء الغزاة لم يكونوا همجيين فى الواقع ، كانوا على دراية ببناء القصور ، وان امتازت قصورهم بالترف أكثر من امتيـازها باناقة المبنى . وكانوا فى البداية يعبدون الشمس والقمر والنار والرياح ، حتى ظهر فيهم « زوروستر » ـ سنة ٥٥٠ ق . م ـ فراح يبشر بوحــدانية الله ، خالق الكون ، واذ لم يكن الفرس قد نضجوا الى الحد الذى يقرون فيه بوحدانيـة الاله ، فانهم اتخذوا نهجا وسطا بين معتقداتهم القديمة وتعاليم « زوروستر » ، فاقتصروا على « ميثرا » اله النور وحامى الملوك ، و « اورموزد » الاله القوى الجبار ، روح الخير . ثم ابتكروا لهذا غريما جعلوه روح الشر .

وامتاز الفرس بالبراعة فى تنظيم الحكم والادارة ، فقسموا امبراطوريتهم الى ولايات ، ووضعوا نظاما ماليا دقيقا استند الى ضريبة عـلى الأرض ، وسكوا نقودا من ذهب واخرى من فضة غدت متداولة فى جميع ممتلكاتهم . وامتازوا ـ على عكس الاغريق ـ بالاتحاد ، وبانهم الفوا جيوشا منظمـة . واغرتهم قوتهم على أن ينتهزوا فرصة ضعف اليونان ليغيروا على بلادهم . ولكن الاثنين استماتوا فى قتالهم حتى هزموهم فى موقعــــة (ماراثون) سنة ٤٩٠ ق . م . ذلك لأن الاثينيين ، وان كانت قواتهم مؤلفة من جماعات متطوعة مدربة تشبه (المليشيا) ، الا أن افرادها كانوا يستخدمون الدروع الحديدية والرماح والسيوف والخوذات ، فى حين كانت جيوش الفـرس تحارب وافرادها شبه عراة ، وليسوا مسلحين بغير السهام والمقاليع المصنوعة من السعف المجدول .

على أن النصر دفــع الخطر مؤقتـــا ، اذ لم يلبث « اجزركسيس » بن « داريوس » ان عاد فى سنة ٤٨٠ ق . م . فاقتحم ممر (ثيرموبيليه) الذى لم يحسن الاسبرطيون تحصينه ... واستمر خطر الفرس ماثلا ، اذ راحوا يساهمون فى الخلافات المحتدمة بين المدن الاغريقية . وفى سنة ٤١٢ ق.م. حالفوا الاسبرطيين ليوقعوا بالأثينيين الهزيمة ، ثم انقلبوا عليهم فى سـنة ٤٠٤ ق . م . محالفين الطيبيين . والفوا قوات مرتزقة من الاغــريق ، واقاموا من انفسهم وسطاء يحتكم اليهم الاغريق فى منازعاتهم ، فبرهنوا على أنهم دبلوماسيون بارعون !

والواقع أن الفرس لم يبدوا أقوياء الا لأن الاغريق كانوا ضعافا ، ولم تكن لهم فنون فى الحرب كما كانت لقبائل المقدونيين الذين لم يلبثوا أن اندفعوا الى كبد بلاد اليونان ، ثم خرجوا منها ليغزوا العالم !

الاتحاد .. تحت لواء الدخيل !

◆ تقع مقدونيا بجبالها ومراعيها وغاباتها فى شمال بلاد اليونان . وكان الاغريق يعتبرون المقدونيين غرباء عنهم ، بل كانوا يسخرون من حضارتهم التى لم تعرف الديموقراطية ، بل ظلت تحتفظ بالنظام الملكى . على أن هذه الملكية الوراثية قدر لها أن ترفع مجد المقدونيين ، اذ ارتقى العرش فى سنة ٣٥٩ ق . م . ملك طموح ، شغوف بالخمر والنساء والجياد والصيد ، هو « فيليب » ، الذى استغل مناجم جبل (بناجس) ، وسك عملة باسمه مكنته من أن يؤلف جيشا ومن أن يبتاع ضمائر الرجال ، ويشترى تحالف جيرانه الأقوياء . وكان جنوده مجهزين برماح طويلة ، وقد دربوا على أن يحاربوا فى صفوف متحدة ، ويتجنبوا النزال الفردى ، وان يتحركوا فى فرق . وفوق كل هذا ، كانت تشرف على الجيش هيئة اركان حرب ، تراقبه، وتعنى بمواصلاته وبعتاده . وبهذا الجيش أخذ « فيليب » يحرز نصرا أثر نصر ، حتى انتهى ، فى معركة (كيرونيا) ، فى سنة ٣٣٨ قبل الميلاد ، الى أن سحق قوات اثينا وطيبة معا . وفتحت له (كورنثه) أبوابها ، ولأول مرة ، اتحدت بلاد الاغريق ، ولكن .. تحت لواء الغريب !

معجزات « اسكندر » المقدونى !

◆ وتابع ابن فيليب - « الاسكندر » - عمله ، وكان فى التاسعة عشرة من عمره حين تبوأ العرش فى سنة ٣٣٦ ق . م . ومات فى الثالثة والثلاثين من عمره ، بعد أن قام باعمال جليلة ، بدت للناس كالمعجزات ، وخلفت ثروة من القصص والأشعار ، اذ قلبت الدنيا راسا على عقب ، وأعلت شان اليونان . فقد عبر الدردنيل ، وبعد ان امن خطوط مواصلاته - بان اكمل اخضاع بلاد اليونان لحكمه - وجد آسيا تفتح أبوابها . وكانت العلل قد أوهنت جسد امبراطورية فارس ، فلم يقو جنودها على الصمود فى وجهه . ودانت له آسيا الصغرى فى سنة ٣٣٣ ق . م . وفر « داريوس » تاركا دولته واسرته للغازى . ومضى الاسكندر فى طريقه - فى سنة ٣٣٢ ق . م - ففتح سوريا ، ثم مصر . وانشا خلال حملاته الاسكندرونة والاسكندرية . وارسل البعثات العلمية لارتياد أعالى النيل ، ثم ارتد فى سنة ٣٣١ ق.م . الى مابين النهرين ، فاستولى على بابل و (سوسه) ، وعبر دجله ، والفرات مطاردا « داريوس » فى فارس ذاتها ، حيث وجده ميتا فى سنة ٣٣٠ ق . م . وسار الى بحر قزوين ، موغلا فى البلاد التى تعرف الآن باسم (تركستان) ، ثم اجتاح ما امامه مندفعا نحو الهند فى سنة ٣٢٦ ق . م .

بيد أن التعب كان قد برح بجيشه ، وادركته سبعون يوما تدفقت فيها أمطار الصيف دافقة ، فابى الجيش ان يمضى قدما ، واضطر الاسكندر الى التخلى عن أحلامه ، فعاد فى سنة ٣٢٣ ق . م . الى بابل ، حيث قدر له أن يموت بعد أن عانى من « الملاريا » اسبوعين ..

ومع أن الاسكندر لم يحقق ماكان يصبو له من أن يبسط امبراطوريته

بحيث تشمل العالم باسره ، الا انه سحق امبراطوريات قديمة ، وحمـل العبقرية الاغريقية الى أطراف الأجزاء التى كانت معروفة فى ذلك الحين ، وكان الاسكندر ذا ذكاء فذ ، ومقدرة هائلة على الحكم ، وقد حرص على ان يصهر الأمم التى فتحها ويشكل منها عالما جديدا

الاسكندرية ٠٠ مركز الثقافة والحضارة

◆ على أن امبراطورية الاسكندر كانت أكبر من أن يقوى على حكمها من خلفوه ، فاقتسمها أعوانه ، وكانت اليونان من نصـيب « انتيجونوس » وآسيا من نصيب « انتيوخوس » ومصر من نصيب « بطليموس »

وأخذت بلاد اليونان فى الانهيار ، واشتدت الحروب بين مدنها ، والخلافات بين أحزابها ، ودبت فيها الانقلابات الاجتماعية والسياسية ٠ واشتد فى سنة ٢٧٩ ق ٠ م ٠ خطر قبائل البرابرة ، حتى لقد تقدمت قبائل « الليريا » و « تراسيا » و « السلت » حتى بلغت (دلفى) ، ولكنها ارتدت ثانيةنحو الشمال ، واستقرت أخيرا فى رقعة من الأرض محصورة بين (الـدانوب) و (بيزنطه) ٠

وكانت مصر هى التى حفظت التقاليـــد الاغريقية ، وان صاغتها فى قالب خاص ٠ كان الجو الفكرى اغريقى ٠ ومع أن الشعب ظل مصريا ، يناهض كل لون من الوان الحيـاة اليونانية ، الا أن البطالسـة أنفسهم ، وجنودهم ، ورجال حكومتهم ، كانوا من الاغريق ٠ وكانت اليونانية هى اللغة الرسمية ، واستطاعت الاسكندرية أن تحتل مكانة (أثينـا) الى حد كبير كمركز للثقافة والحضارة ٠ وتركزت عمليات التجارة فى مينائها التى قام عند مدخلها منـار ارتفاعه ٣٦٠ قدما ، وعمرت مكتبتها بنحو ٥٠٠ الف كتاب ٠ وقامت فى المدينة نهضة فى البناء والتخطيط ، وقسمت الى خمسة احياء ، اطلق على كل منهـا حرف من حروف الهجاء ٠٠ وهو نظام تنعـكس منه صورة مهتزة باهتة عـلى (نيويورك) اليوم !

على أن مصر ظلت رغم كل هـذا مصرية ٠٠ ظلت على ماكانت عليـه أيام الفراعنة ، ملكية ، ولكنها فى الوقت ذاته اشتراكية ٠ وقد أبقى البطالسة على هذا الوضع التقليدى ، فقرنوا الملكية المطلقة باشتراكية الدولة ٠ كانت الأرض كلها ملـكا لهم ، وكل أنواع الانتاج من حقهـم ، فاقاموا مندوبين حكوميين على الزراعة والصناعة والتجارة ، ووضعوا النظم للاحتفاظ باحتياطى للاطعمة ٠ واحتكرت الدولة انتاج الزيت ، والملح ، ودبغ الجلود ، وصناعة ورق البردى ، والغزل والنسيج ، وكذلك اعمال المنـاجم وسبك المعـادن ٠ وهكذا كانت الدولة هى الصانع الأول والتاجر الأول !٠٠ واحتكرت تصدير الزيت والخمور والغلال ، كما احتكرت استيراد وبيـع العطور والتوابل والأحجار الكريمة ٠ وفرضت على الواردات الأخرى رسوما جمركية بلغت ٢٥ فى المائة ٠

« يتبـع »

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة
رأيت وسمعت لك فى باريس : مشـاهدات وتعليقـات للمحـرر	١١
مسـألة ضمـير : قصـــة مصرية بقلم الاستاذ **يوسف جوهر**	٣٩
أعلام الفن (ميكيل أنجلو) : قصة حياة وكفاح الفنان الأعظم	٤٩
دنيا الحب والسـعادة : للأديب الألمـانى الأشهـر **اميـل لودفيج**	٦٧
النار الخالدة : قصة كبرى للروائى الانجليزى الكبير **هـ• ج• ويلز**	٨٥
أقصر طريق الى الطلاق (من رسائل النساء) : للكاتب الفرنسى **مارسيل بريفو**	١٣١
أحـزان هـان : قصة تمثيليـة من روائع المسرح الصيـنى	١٥١
مارى ستيوارت (الملكة العاشقة التى قتلت زوجها) : بقلم المؤرخة الانجليزية **آنـا لى**	١٦١
فتياتنـا المراهقات : للباحثة الفرنسـية الدكتورة **سوزان برونيه**	١٧٧
مذكرات كازانوفا : الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة	١٨٥
تاريخ العالم : (الحضارة التى افتتحت سجل التاريخ) للمؤرخ الفرنسى **رينيه سيديلو**	١٩٥

اقرأ فى « مطبوعات كتابى » يوم ١٣ ديسمبر الحالى

بقلم : طه حسين

ŒDIPE ROI

النصر .. تمثال رائع من نحت ميكيل انجلو ، يرجح النقاد انه يرمز بدوره الى انتصار « داود » على « جوليات »

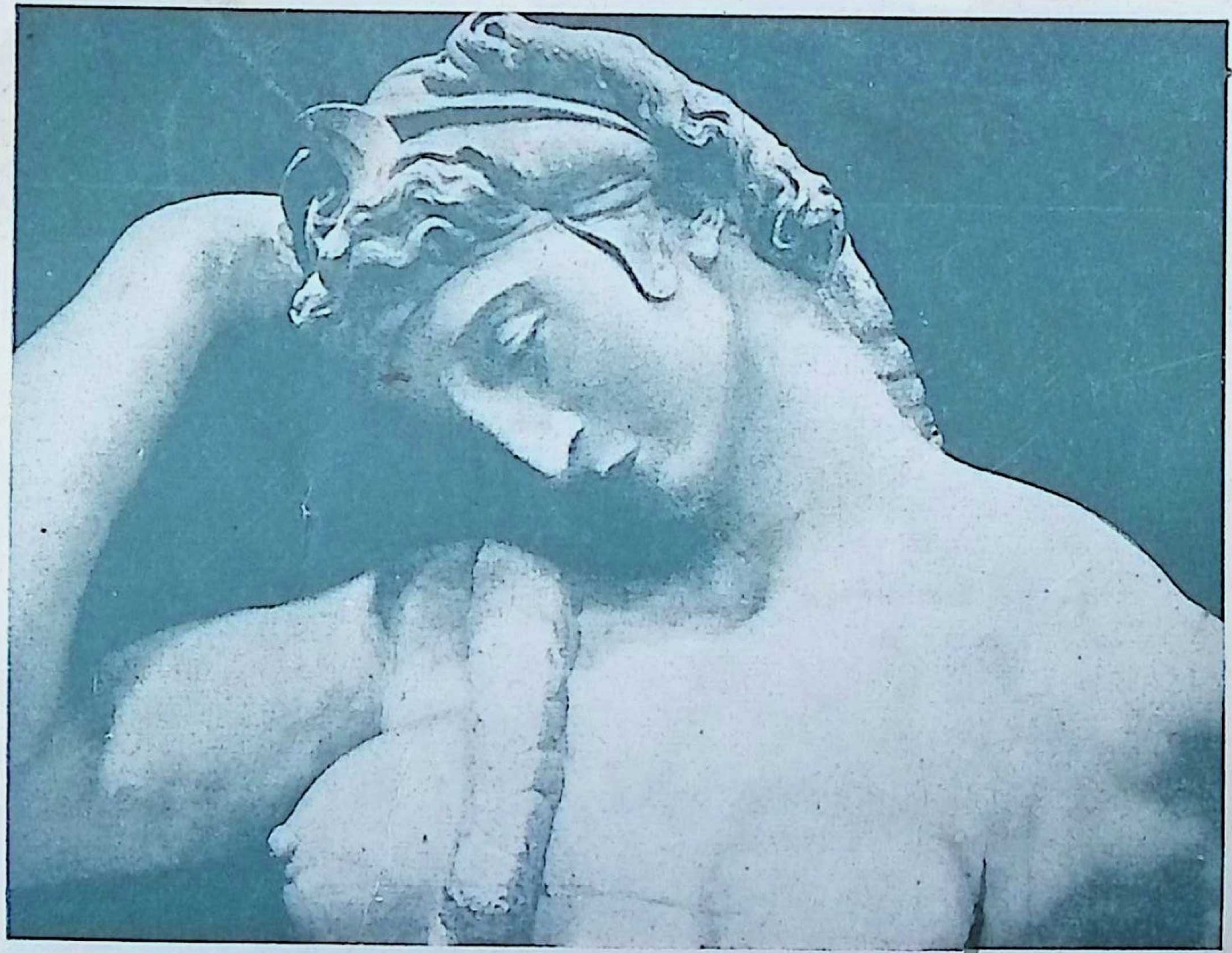

قطاع من تمثال الهة « الليل » ، أحد روائع « ميكيل انجاو » فى فن النحت ، وهو معروض بـكنيسة اسرة مديتشى بفلورنسـا

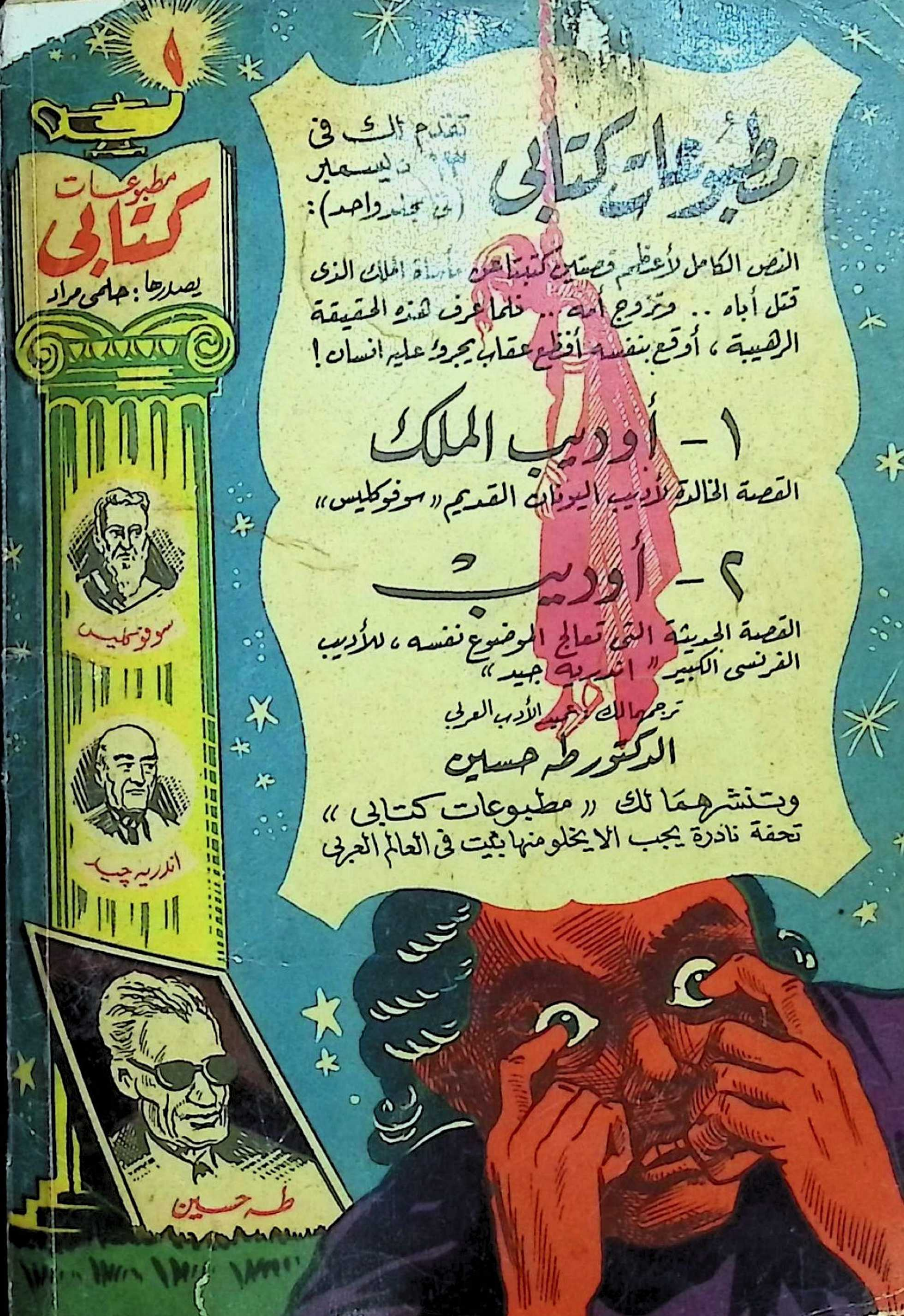

١
مطبوعات كتابى
يصدرها : حلمى مراد
سوفوكليس
اندريه جيد
طه حسين
مطبوعات كتابى
تقدم إليك فى ديسمبر
(فى مجلد واحد) :
النص الكامل لأعظم قصص كتبت عن أسطورة الملك الذى قتل أباه .. وتزوج أمه .. فلما عرف هذه الحقيقة الرهيبة ، أوقع بنفسه أفظع عقاب يجوز على انسان !
١ - أوديب الملك
القصة الخالدة لأديب اليونان القديم « سوفوكليس »
٢ - أوديب
القصة الحديثة التى تعالج الموضوع نفسه ، للأديب الفرنسى الكبير « أندريه جيد »
ترجمهما لك عميد الأدب العربى
الدكتور طه حسين
وتنشرهما لك « مطبوعات كتابى »
تحفة نادرة يجب الا يخلو منها بيت فى العالم العربى